

السنة الرابعة ديسمبر 2018 عدد 04

مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية
مجلة دورية علمية محكمة

ISSN: 2437-0592



مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية
يصدرها مخبر المجتمع الجزائري المعاصر بجامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2
Roua Journal for Epistemic and Civilisational Studies

رؤى

للدراسات المعرفية والحضارية

Roua Journal for Epistemic and Civilisational Studies

مجلة دورية علمية محكمة يصدرها مخبر المجتمع الجزائري المعاصر بجامعة محمد لمين دباغين، سطيف2

عدد 04

ديسمبر 2018

السنة الثالث

المدير الشرفي للمجلة

أ.د. الخير قشي

مدير المجلة

د. عبد الحليم ماهور باشة

مدير التحرير

د. أحمد عماد الدين خواني

رئيس التحرير

د. فروق يعلى

هيئة التحرير

د. عبد الرزاق أمقران

د. عبد الكريم عنيات

د. العمري عيسات

د. دريس نوري

د. فارس شاشة

أ. د. عبد الرزاق بلعقروز

أ. د. سامية عواج

د. نور الدين مبني

د. بوجمعة كوسة

د. حسان حامي

التدقيق اللغوي:

د. محمد غزالي

الهيئة الاستشارية

الأعضاء المحليون

أ.د. ميلود سفاري	جامعة سطيف2	أ.د. الطاهر سعود	جامعة سطيف2
أ.د. زراقة فيروز	جامعة سطيف2	أ.د. بلقاسم نويصر	جامعة سطيف2
أ.د. أنور مقراني	جامعة سطيف2	أ.د. عبد العزيز بوالشعير	جامعة سطيف2
أ.د. علاوة عمارة	الأمير عبد القادر، قسنطينة	أ.د. رشيد ميموني	جامعة الجزائر2
أ.د. فضيل دليو	جامعة قسنطينة2	أ.د. ناصر جابي	جامعة الجزائر2
أ.د. جمال مفرج	جامعة قسنطينة2	أ.د. مولود عويمر	جامعة الجزائر2
أ.د. نورة بوحناش	جامعة قسنطينة2	أ.د. عبد القادر بوعرفة	جامعة وهران
أ.د. مراد زعيمي	جامعة عنابة	أ.د. طيبي غماري	جامعة معسكر
د. الشريف طوطاو	جامعة خنشلة	أ.د. محمد شوقي الزين	جامعة تلمسان

الأعضاء الدوليون

أ.د. محمد محبوب	جامعة تونس	أ.د. محمد بوهلال	جامعة سوسة تونس
أ.د. أحمد وصال	جامعة مرمرة تركيا	أ.د. رائد جميل عكاشة	IIIIT الأردن
أ.د. عدي الهواري	IFPO ليون فرنسا	أ.د. أحمد محمود السماسيري	جامعة اليرموك
د. طارق لعجال	جامعة ملايا ماليزيا	أ.د. عبد القادر بخوش	جامعة قطر

هوية المجلة

- تتركز البحوث التي تنشرها مجلة رؤية للدراسات المعرفية والحضارية حول العلوم الإنسانية والاجتماعية (دراسات نظرية وميدانية تطبيقية).
- المجلة هي منبر لتناظر الأفكار ومحاورة مستجدات المعرفة والفكر والعلوم.
- تنشر المجلة الدراسات والبحوث التي تتوفر على الشروط العلمية وتنضبط بالأصول المنهجية.
- ترحب المجلة بكتابات الباحثين المبدعة التي تقدم إضافات نوعية.

أهداف المجلة

- الإسهام في تنمية التفكير والبحث العلمي وترسيخ الممارسة البحثية العلمية المنضبطة.
- بناء العقلية النقدية الحوارية.
- مواكبة مستجدات المعرفة وعرضها على الباحثين والمهتمين، وإنجاز قراءات تحليلية ونقدية للإنتاج العلمي المتداول.
- فتح جسور التواصل والتكامل المعرفي بين العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- تبني أدوات البحث الجديدة التي تزيد من دقة وموضوعية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- ترجمة النصوص والأعمال التأسيسية والراهنة للأعلام المتخصصين في حقول العلوم الاجتماعية والإنسانية.
- فتح ملفات بحثية في موضوعات متخصصة.

محاوير المجلة

تنقسم المجلة إلى المحاور الآتية:

- الافتتاحية.
- كلمة التحرير.
- دراسات.
- ترجمات.
- متابعات.
- ملف العدد.
- حوارات مع شخصيات علمية مبرزة في تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

قواعد النشر في المجلة

رؤى للدراسات المعرفية والحضارية مجلة محكمة يتم قرار النشر فيها بناء على توصية المحكمين من ذوي الاختصاص.

■ تنشر المجلة المقالات والأبحاث التي تتميز بالأصالة والموضوعية والتي لم يسبق نشرها بأي شكل من أشكال النشر.

■ ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر صاحبه ولا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

■ لا تتحمل مجلة رؤى أية مسؤولية عن الموضوعات التي يتم نشرها في المجلة، ويتحمل الكتاب كامل المسؤولية القانونية عن نصوصهم في حالة مخالفتها أو انتهاكها حقوق الملكية الفكرية للآخرين.

■ يقدم البحث- مع السيرة الذاتية للباحث- مطبوعاً على ورق في ثلاث نسخ مرفقاً بقرص مضغوط، أما الأبحاث من خارج الوطن فترسل على البريد الإلكتروني للمجلة.

■ ترتب المقالات المنشورة وفق اعتبارات فنية لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة الباحث.

■ لا تعاد المواد المرسله إلى المجلة نشرت أو لم تنشر، ولا تلتزم المجلة بإبداء أسباب عدم النشر.

■ تراعى في المواد المقدمة للمجلة القواعد المنهجية والأعراف الأكاديمية؛ إذ ينبغي أن يحتوي المقال على عنوان رئيسي وعناوين فرعية وملخص باللغة العربية وبلغه أجنبية (إنجليزية أو فرنسية) في حدود 100-150 كلمة، على أن لا يتجاوز حجم المقالات 7000 كلمة، وتكتب بخط (Traditional Arabic) حجم 16، و(Times New Roman) حجم 12، بمسافة (Simple) بين الخطوط. ويراعى في التهميش التابع عبر كامل المقال (1،2،3،4...) على شرط أن يكون الرقم الذي يشير للتهميش من دون قوسين.

■ كلمات المقال المفتاحية من 5 - 7 كلمات فقط.

■ توثيق البحث يكون على الطريقة المعتمدة في المجلة على النحو الآتي:

الكتب: اسم المؤلف، **عنوان الكتاب بخط مغلظ**، رقم الطبعة، عدد الأجزاء (مكان النشر: الناشر، تاريخ النشر)، الجزء، الصفحة.

في حالة الاستخدام اللاحق للمرجع نفسه، الاسم الأخير للمؤلف، عنوان مختصر للكتاب، رقم الصفحة.

المقالات: اسم المؤلف، عنوان المقال بين شولتين، **اسم المجلة بخط مغلظ**، السنة، المجلد، العدد، التاريخ بين قوسين، الصفحة.

الرسائل العلمية: اسم الباحث، "عنوان الرسالة" (الدرجة العلمية، القسم والكلية والجامعة التي نوقشت بها الرسالة، تاريخ النشر)، الصفحة.

محتويات العدد

كلمة التحرير بقلم رئيس تحرير المجلة: د. فروق يعلى 06

دراسات

09..... قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي" بقلم: د. نصيرة بوطغان
جدل العلاقة بين منطق القطيعة ومنطق التركيب في فكر "غاستون باشلار"

36 بقلم: د. عبد الحق بولخراص

45 بقلم: أ. ربحانة بلوطي
الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات الواصل الاجتماعي - الدراسة الميدانية
التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب - الدراسة الميدانية

63 بقلم: د. عبد الرزاق منيش
على عينة من الشباب المقاولين
عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

86 بقلم: د. حسان بوسرسوب
أدوات التهيئة الحضريّة في الجزائر: سياسة التخطيط الشامل وعوائق التنفيذ

115 بقلم: د. زهية شويشي
دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

131 بقلم: ط. د. ريمة مشطوب، ط. د. نورة لخويدر
دور المؤسسات العقابية في الإدماج الاجتماعي للمساجين - الدراسة الميدانية

155 بقلم: د. محمد أمين قيرواني
بمؤسسة إعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث سطيف
انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

186 بقلم: د. خديجة شناف / د. مراد بلخيري

204 بقلم: ط. د. جمال الدين عاشوري
الرقابة عن طريق تقييم أداء المواد البشرية في المؤسسة

.....كلمة التحرير

الإفتتاحية

بقلم: د. فروق يعلى

رئيس التحرير

يسرنا أن نتوجه في هذا العدد الرابع من مجلة "رؤى للدراسات المعرفية والحضارية"، إلى القراء بباقة من المقالات والدراسات العلمية والفكرية، أنجزها نخبة من الباحثين في حقل الدراسات الإنسانية والاجتماعية، قاربوا من خلالها بعض الموضوعات والإشكاليات الرهنة التي تحتاج إلى البحث والتقصي.

والمتفحص لللائحة المحتويات في هذا العدد الرابع، يُدرك طابع التنوع في الموضوعات والمقاربات التي جرى تناولها، وهذا ليس محض اتفاق، بقدر ما هو جزء أساسي من أجزاء رؤية المجلة لفلسفة المعارف في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومهاداً للصورة التي تنظم وفقاً لها هذه المعارف، ذلك أن الملمح الجوهرى لصورة المعرفة الحديثة هو التواجد الأرخيبي لها، وليس التواجد التنافسي أو النزاعي، سواء كنا أمام سؤال المنهج أم سؤال المحتوى، فالتجاوز والتداخل والتكيب؛ أضحت هي الملفوظات المستحدثة في مناهج التفكير والبحث الرأهنة. فضلاً عن أنّ المجلة بعامة وهذا العدد بخاصة، يستدعي جهود المفكرين من أجل تحليلها والإفادة من عدتها المعرفية والمنهجية، واستيعابها استيعاباً نقدياً، بخاصة الجهود المنتجة من التراث المعرفي الإنساني.

هذا، ويتضمن هذا العدد بحثاً تتعلّق بقضايا الفكر والمنطق، الذات والهوية، التعليم العالى والتكوين المهني، العمل والمقاولالية، التخطيط الحضري وادوات التهيئة العمرانية، الإرهاب والقضايا الأمنية، كتبها أساتذة من حقول معرفية متنوعة: الفلسفة وعلم الاجتماع وعلوم الاعلام وتاريخ الأفكار، تعكس في جملتها جهوداً معرفية، تقصد إعمال المنهجية في التفكير والبحث، والتجاوز بين العلوم كإطار معرفي ناظم لمحاججاتها الفكرية وموضوعاتها البحثية.

في الأخير أشكر كل من أعضاء هيئة التحرير وأعضاء الهيئة الإستشارية للمجلة وكذا كافة أعضاء اللجنة العلمية لمجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية على الجهد الذي بذلوه في متابعة وتقييم المقالات الواردة إلى المجلة، وعلى إخراجها على الصورة التي هي بين أيدي

..... كلمة التحرير

القراء، وأملني في أن يستمر جهودها ونشاطها أكثر، إدراكا منا بأهمية البحوث والدراسات التي تتناول قضايا المجتمع ومقاربتها ومقاربات تفكيكية، تحليلية، نقدية، واستشرافية على المستوى السوسيولوجي والتاريخي والإعلامي والثقافي والقانوني والفلسفي وموضوعاتها البحثية.



دراسات

 pdfelement

قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

بقلم: د. نصيرة بوطغان

□ امعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2

ملخص:

يحاول هذا المقال إجراء قراءة علمية متفحصة في أعمال المفكر عبد العروي من خلال عرض أفكاره في العديد من القضايا الراهنة ومحاولة مقارنتها مع أفكار مفكرين آخرين ونقدها من أجل وموضعها في الحقل المعرفي الراهن، وذلك وفق العناصر التالية:
أولاً- في إعادة تأسيس علاقتنا مع الغرب الحضاري:

ثانياً- سؤال الهوية والآخر.

ثالثاً- الماركسية حتمية تاريخية ام خيار منهجي.

رابعاً- الموقف الفلسفي من الحداثة.

خامساً- أشكال الوعي الذاتي و ظاهرة التخلف.

سادساً- الأيديولوجيا و ظاهرة الاغتراب.

سابعاً- مستقبل الحداثة العربية.

ثامناً- عوائق التحديث و امكانات التجاوز.

تاسعاً- في نقد أطروحة العروي.

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

تمهيد:

من الصعب الإمساك بمحددات أطروحة المفكر المغربي "عبد الله العروي" (1933م) لما امتاز به هذا المفكر من موسوعية فهو يكتب بثلاث لغات بالإنجليزية و الفرنسية و العربية، كما أنه حاور أغلب الفلسفات فكان مستمعا جيدا و ناقدا عنيفا. ضف الى ذلك أنه اعتمد أسلوبين مختلفين في التعبير عن آرائه، أسلوب الرواية، والأسلوب الفلسفي هذا ما يجعل من خطابه- العروي- متميزا عن الخطابات الفلسفية المعاصرة. لأنه حاول تأسيس نموذجاً (Paradigme) معرفيا مستقلا مختلفا عن باقي النماذج المطروحة في الساحة الثقافية والفكرية. عمل المفكر على تقديم دراسة شاملة لمكونات التاريخ الإنساني والأزمة الثقافية والفكرية. تعيشها المجتمعات العربية راهنا منذ عمله " الأيديولوجية العربية المعاصر 1967"، الذي أعقبه بجمله من الأعمال المهمة بالشأن العربي، عبر تبني المنهجية التاريخية في صورتها الماركسية على اعتبارها تحمل قيم بإمكانها توحيد البشرية. عمل يجمع فيه بين التنظير والعمل بين معطيات الواقع ومتطلبات المستقبل متجاوزا التيار السلفي المحافظ والتيار العلماني المعاصر عن طريق محاولته تقديم تفسيراً تاريخياً لأسباب تخلفنا وخروج مجتمعاتنا من التاريخ وتحولها من المركز الى الهامش وفق منهجية نقدية تاريخية صارمة، كما تركّز مشروع العروي في محاولة الانخراط في عمق الواقع العربي، لكونه نقدا جذريا للفكر السائد ومرجعياته ومسلماته، وفي المقابل يقترح فكرا بديلا يسهم في توجيه الفعل، بغية تحقيق شروط الحداث، ذلك في مجموعة أعمال هي عناوين لمكونات أزمنا أهمها:

" الإيديولوجيا العربية المعاصرة" (1967) ، بالفرنسية تم تعريبه من قبل محمد عيتاني وتقديم مكسيم رودنسون سنة 1970؛ "العرب والفكر التاريخي" سنة 1973؛ "أزمة المثقفين العرب" سنة 1974؛ "أصول الوطنية المغربية" سنة 1977؛ " مفهوم الإيديولوجيا" سنة 1980؛ "ابن خلدون وماكيافيللي" في سنة 1990؛ "مقاربات تاريخية" في 1992؛ "مفهوم التاريخ" جزءان سنة 1992؛ "مفهوم العقل" 1996؛ بالفرنسية (Islamisme Modernisme Libéralisme) سنة 1997؛ وبالفرنسية (– Le Maroc et Hassan II un témoignage) "المغرب والحسن الثاني" سنة 2005؛ "عوائق التحديث" محاضرة ألقيت في

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

2005/12/15 نشرت مع تعليقات عن طريق منشورات اتحاد كتاب المغرب سنة 2008؛ ويمكن أن نشير الى بعض الأعمال الأدبية: مثل رواية "الغربة" في 1971؛ رواية "اليتيم" 1978؛ رواية "الفريق" 1986؛ رواية "غيلة" 1998؛ "أوراق" وهي عبارة عن سيرة ذاتية سنة 1989؛ "خواطر الصباح" 2001؛ وغيرها من الأعمال التي تؤسس للحداثة العربية.

من خلال هذه الأعمال وغيرها حاول المفكر "عبد الله العروي" أن يقدم خطابا Discours فكريا يدعو فيه إلى ضرورة الدفاع عن الفكر التاريخي والتوجه التاريخي، قائلا: «إن الترياق الوحيد حتى الآن ... لكل مثقف عربي هو التاريخانية، فإنقراض قيمتها هو في نظرنا شكل من أشكال العدوان الثقافي»¹ لهذا مشروع "عبد الله العروي" يهدف إلى تجاوز التأخر التاريخي. ويعد من الداعين الى القطيعة المعرفية والابستمولوجية مع التراث الإسلامي وتبني الحداثة الغربية وقيمتها لأنها قيم كونية انسانية فكيف فسّر المفكر "عبد الله العروي" ظاهرة التخلف؟ وما هي الأسباب الفعلية التي أدت بمجتمعاتنا إلى الخروج من التاريخ؟ كيف تتم عملية التحديث والعودة إلى التاريخ؟

أولا- في إعادة تأسيس علاقتنا مع الغرب الحضاري:

لا يمكننا تحديد الأسباب الفعلية لتخلفنا إلا بالعودة إلى التاريخ في نظر "العروي" هذا ما يجعل من أعماله مهمة لكونها تحيلنا إلى دور الثقافة الفلسفية وعلاقتها بالعصر ومع الآخر ومعرفة مستويات التعامل مع الغرب الحضاري. ولفهم مشروعه نشير إلى أن المرتكز الذي يدور فكره حوله هو الحداثة. فكل ما كتبه إلى الآن يمثل أصول من مؤلف واحد حول "الحداثة"، ويستطيع القارئ أن ينتبه إلى هذا، فقد انطلق من نقد كل الأطروحات الحداثية بنقد مسلماتها الإيديولوجية ومرجعياتها الفكرية من اللحظة الأولى مبيّنا "طوباوية" بعض المشاريع وما انطوت عليه في نظرتها لهذا الواقع التاريخي الزّاهن. ليكشف لنا أن الكثير من الأطروحات تفتقر للنقد التاريخي لهذا عجزت عن خلق وعي حداثي شامل كما أسهمت في خلق تأخر تاريخي شامل.²

¹ - عبد الله العروي: أزمة المثقفين العرب تقليدية أم تاريخانية؟" ترجمة. ذوقان فرقوط، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت 1978 ص112.

² - عبد الله العروي: الإيديولوجية العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995، ص29.

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

والتأخر سببه غياب الوعي التاريخي المطابق لواقعنا مما جعل المثقف العربي يعيش منذ صدمة الحداثة تأخر مضاعف تمثّل في تأخر وعيه عن وضعه التاريخي. ومن مظاهر التخلف الأطروحات الانتقائية للمشكلات التاريخية. وفعل التجزئة وعدم الانفتاح على المناهج الحديثة في التحليل، وما هو معتمد تقليدي بعيد عن مكتسبات العقل الحدائى ومتطلّباته النقدية. كغيره من المفكرين -"عبد الله العروي"- الذين واجهتهم أسئلة اشكالية اقتضت منه إجابات واضحة مثل مكانة العرب في ظل التطوّر التاريخي، خصوصيته الحضارية، حقيقته الذاتية، أسباب تخلفهم الفكري والحضاري كيفيات التجاوز واستيعاب الآخر المتقدم؟

ثانيا- سؤال الهوية والآخر:

إن هم المفكر العربي الأول هو تحديد هويته وما يطلق عليها "العروي" "بمسألة الذات" لكن من المعلوم إن كل تعريف تحديد أي نفي واقصاء، فكلما قال العربي "أنا" فإنه يشير ضمنيا إلى "الغير"، ومن "الغير" بالنسبة للعرب سوى الغرب؟ فالذات العربية في نظر "العروي" مطالبة بالتواصل مع الغرب لتدرك ذاتها، ليصبح الآخر شرط لإدراك الأنا على طريقة المفكر الفرنسي بول ريكور Paul Ricoeur (2005/1913). ودعوة "العروي" إلى ضرورة الانعطاف على الآخر لمعرفة الذات، يعني أنه تحاور مع الكثير من الأطروحات الفلسفية، أنه يرفض مقولة امكانية اكتفاء الذات بنفسها، ليصبح سؤال الآخر أكثر أهمية من سؤال الوجود، فلقد أحس "العروي" كمفكر أن مسؤوليته تقتضي معرفة الآخر وكيف يقدم نفسه لكي نتقن نحن تقديم أنفسنا في صورة كونية مؤسسة على وعي ومعرفة، ولا يعني أنه من دعاة التماهي في الآخر، وهنا يلتقي مع أطروحة الفرنسي "ايمانويل ليفناس Levinas Emmanuel الذي يقول: "نحن محاطون بالموجودات وبالأشياء حيث نتعهد معها بعلاقات، عن طريق النظر واللمس والتعاطف وبالعامل المشترك، فنحن مع الآخرين. وكل هذه العلاقات انتقائية: ألمس أشياء، أرى الآخر، لكن أنا لست الآخر."¹

¹-Levinas Emmanuel. Le temps et l'autre. Edition PUF. Quadrige. Paris, 1983.p21.

د. نصيرة بوظغان الحدائة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي " عبد الله العروي"

إن التواصل مع الآخر هو شرط تمثل التاريخ، يقول الدكتور عبد الله العروي: « نستطيع أن نقرر أن التاريخانية هي فلسفة كل مؤرخ يعتقد أن التاريخ وحده العامل المؤثر في أحوال البشر، بمعنى أنه وحده سبب وغاية الحوادث¹ والتاريخ هو جملة الانتصارات والاختافات في علاقتنا مع ذاتنا الحضارية وقيمها الكونية، لتصبح مسألة التاريخ هي المشكلة الثانية بعد سؤال الهوية والذات، وهي تشتبك مع مسألة التعبير عن الذات وكيفية تقديمها للآخر في صورة أكثر كونية دون اقضاء المختلف، وتقديم الذات يقتضي منهجا صارما للإسهام في اغناء التجربة البشرية علميا وقيميا، ويلخص لنا "العروي" المشكلات التي يمكن أن تكون موضع اهتمام الباحثين في أنها لا تخرج عن البحث في الهوية، الماضي، العقل الكوني، الفن المطابق، ويجمل الاشكاليات في: "الأصالة، الاستمرارية، الكونية، التعبير"² لكن منهجيا كيف نشكل الوعي بالذات لنقدمها للآخر في صورة كونية؟

ثالثا- الماركسية حتمية تاريخية ام خيار منهجي:

اهتم " عبد الله العروي بمسألة المنهج عندما يقترب من قضايا ومشكلات الفكر العربي. لذلك توجهه كان توجهها معرفيا (إبستمولوجيا) وليس (أنطولوجيا). والمنهج يرتكز على جانبين أساسيين. الأول هو الجانب التاريخي (أو التاريخاني) أين يستعمل مواد التاريخ العربي خاصة في (مفهوم الأيديولوجية). والجانب الثاني أهم لأنه مرتبط بالبعد التأسيسي "Foundational"، وهنا نجد متأثرا بالفلاسفة التأسيسيين أمثال ديكارت، وكانط، هيغل، وماركس، وإذا أتينا الى مفكرنا عبد الله العروي فإننا نلاحظ هذا الجانب في سلسلة من المفاهيم نذكر بعضها (مفهوم الأيديولوجيا، مفهوم العقل، مفهوم الحرية، مفهوم التاريخ، مفهوم العقل، مفهوم الدولة).

يوضح العروي الجانب التأسيسي في منهجه، وطبيعة المفاهيم التعقيدية وسأورد قولاً مطولاً يوضح فيه هذا الجانب يقوله: "إننا لا نبحث في مفاهيم مجردة لا يحدها زمان ولا مكان، بل نبحث في مفاهيم تستعملها جماعة قومية معاصرة هي الجماعة العربية. إننا نحلل تلك

¹ - عبد الله العروي: مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت -الدار البيضاء، 1992، ج2، ص 349.

² - عبد الله العروي: الأيديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص25.

د. نصيرة بوظغان الحدائة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي " عبد الله العروي"

المفاهيم وناقشها لا لتوصل إلى صفاء الذهن ودقة التعبير وحسب، بل لأننا نعتقد أن نجاعة العمل العربي مشروطة بتلك الدقة وذلك الصفاء. لهذا السبب نحرص على البدء بوصف الواقع المجتمعي: آخذين المفاهيم أولا كشعارات تحدد الأهداف وتثير مسار النشاط القومي. وانطلاقا من تلك الشعارات نتوخى الوصول إلى مفاهيم معقولة صافية من جهة ونلتمس من جهة ثانية حقيقة المجتمع العربي الراهن. رافضين البدء بمفاهيم مسبقة نحكم بها على صحة الشعارات إلى جانب تخلينا عن لعبة تصور واقع خيالي نعتبره مثلا أعلى نقيس عليه الشعارات، لأننا نعتقد أن أي مجتمع هو مجموع شعارات ذلك المجتمع"¹.
والمفاهيم التي ينحتها العروي ليست مفاهيم جاهزة وانما هي كائنات تاريخية اراد عبرها التأسيس لنسق فلسفي منسجم.²

عمل العروي على استبعاد المنهجية التجريبية الساذجة، والطريقة الوضعية لأنها خارجية. فالأولى تركز في الثقافة دون الانتباه الى بعدها التاريخي، في حين الثانية تتنكر لكل الدراسات السابقة وتكتفي بالوصف من الخارج دون البحث في الأصول والمنشأ، معتمدا سلما قيميا يعتقد أنه صارما يتمتع بالصلاحية المطلقة، والوضعية تفترض ثبات الواقع المدروس، معتمدة مناهج العلوم الطبيعية حتى في مواضيع غير طبيعية، لهذا تتعارض والمنطق الجدلي الذي يفترض أن الواقع دائم التحول، وغير قابل للتعريف وهنا وجه " العروي" نقدا لوضعية " أوغست كونت".

وتنتهي المنهجية الأولى الى أحكام ذاتية وعن الثانية تحليلات سطحية جامدة، وكلا المنهجين يتنكر للتاريخ، فتكون النتيجة عدم فهم الواقع، بقدر ما يتم تخريبه، هذا الخطأ المنهجي والمعرفي وقع فيه الكثير من الباحثين العرب، بسبب تعاطفهم مع الواقع دون قراءته في التاريخ يقول: "إننا نعيش كلنا، اجتماعيا وثقافيا، تحت تأثير خارجي، نفكر بمفاهيم، نعبر

¹ - عبد الله العروي: مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي بيروت، ط5، 1993، ص05.

² - عبد الله العروي: مفهوم العقل، المركز الثقافي العربي المغرب، ط3، 2001، ص14.

د. نصيرة بوطغان الحداثة العربية المعطلة وممكّنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

بأساليب وأمثلة كلها مستقاة من واقع غيرنا. اذ لم نبدأ بتحليل دقيق وصارم لكل الأدوات الذهنية التي نستعملها.¹ لهذا يوصف "العروي" الفكر العربي بالفكر السطحي الساذج. كما توجه بالنقد للمنهجية الأنثوغرافية أو السوسولوجية التي تحاول دراسة الأعمال الثقافية دراسة موضوعية مجردة، فإن هذه المنهجية مؤسسة على مفهومين متداخلين، مفهوم العقل الموضوعي على الطريقة الهيغلية، التي تفيد أن الفكرة مجسدة في المادة (الطبيعة)، ومفهوم "البنية الذهنية" التي تقابل في فلسفة "ماركس" Marx البنية الاقتصادية والاجتماعية، فالمفهوم الأول ينسجم مع الحضارات الجامدة الساكنة، أين استقل العمل الثقافي عن الطبيعة وعن مبدعيه، وأضحت العلاقة علاقة تماهي حتى تختفي الأبعاد الانسانية، في حين البنية الذهنية التي تطلق على مجموعة من النشاطات الانسانية الراقية من أدب، فن، فلسفة، عقيدة، قانون، فيها لا يمكن التمييز بين الوعي النقدي والبعد المادي، لأن الوعي النقدي يتجه الى البنى الاجتماعية لتغييرها، خاصة اذا توجه صوب الماضي وعمل على اختراق المنغلق، لذلك مفهوم البنية يكون له دور ايجابي في المجتمعات التي تتجه صوب المستقبل بثبات وبهدوء.

هذه المفاهيم لا تصلح في نظر "العروي" للمجتمعات العربية الراهنة التي تعيش مرحلة تاريخية عنيفة، لا هي جامدة ولا هي متطورة، فالعنف يهدد كل ما هو انساني، يهدد كل ما هو عقلائي منطقي، يقول: "العنف يزرع الرعب، والرعب يؤدي الى الخضوع والانقياد، هناك علاقة عضوية، قائمة ودائمة بين الخوف والاستبداد."² فالمجتمعات العربية انتقلت من استبداد الانظمة الى استبداد الشعوب ضد نفسها، ضد مقومات انسانيتها، انها تعيش اقصى انواع واشكال عنف مكونات الهوية، لهذا يطرح "عبد الله العروي" اشكالية موقع المفكر في ظل هذا الوضع المضطرب؟ كيف يفكر بهدوء في ظل الغليان؟ كيف يمارس الوعي النقدي على وضع يعادي الانوار؟ وضع اضحى فيه المستقبل حاضر والماضي حاضر والحاضر مفقود؟ إننا مسلوبو

¹ - عبد الله العروي: الايديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص 26.

² - عبد الله العروي: من ديوان السياسة، المركز الثقافي العربي المغرب، (د.ت)، ص 12.

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

مؤشرات النقد لتسيطر الأيديولوجيا والرغبة والتمني، لهذا استبعد "العروي" المنهجية التجريبية والوضعية.

رابعا- الموقف الفلسفي من الحداثة:

تعد المفاهيم والمقولات النظرية لفكر الحداثة الغربية وفكر الأنوار الذي عرفته المجتمعات الأوروبية في مرحلة من مراحل صيرورتها التاريخية ما بين منتصف القرن الخامس عشر (15م) والثامن عشر (18م). بمثابة الأنموذج الذي ينبغي على العالم العربي والإسلامي اعتناقه بعد وعيه دراسة وتحليلا ونقدا، في نظر "عبد الله العروي" وتعد أطروحات الفيلسوف كارل ماركس Marx المرجعية التي يستقي منها العروي تصوراته باعتباره منظرا أولا للحداثة وناقدا لمآلاتها ومشكلاتها ثانيا إلى جانب (فرويد ونيتشه) في القرن التاسع عشر. وقد أشار العروي الى ذلك في عدة مواضع فنجده يقول: "لا مبرر لهذه الدعوة إلا فرضية واحدة، مستخرجة من واقع التاريخ ذاته، وهي أن الدور التاريخي الغربي الممتد من عصر النهضة إلى الثورة الصناعية هو المرجع الوحيد للمفاهيم التي تشيد على ضوءها السياسات الثورية الرامية إلى إخراج البلاد غير الأوروبية من أوضاع وسطوية مترهلة إلى أوضاع صناعية حديثة. ليست هذه الفرضية فكرة مسبقة بل نتيجة استطلاع التاريخ الواقع. وهي المبرر الوحيد لحكمنا على السلفية والليبرالية والتقنوقراطية بالسطحية وعلى الماركسية بأنها النظرية النقدية للغرب الحديث، النظرية المعقولة الواضحة النافعة لنا في الدور التاريخي الذي نعيشه"¹.

يرى "العروي" في أعمال "ماركس" خلاصة عصره ومهندس الخارطة الأوروبية في جانبها الفكري ومنظر للحداثة وناقدا لها ومصححا لمصارها، لهذا يدعو الى قراءة ماركس قراءة علمية وجعله بمثابة المعلم والمنقذ لوضعنا الثقافي الراهن. وبناء على هذا الموقف الفلسفي من فلسفة ماركس Marx حاول العروي التعامل مع مشكلات الحداثة العربية والأطروحات المختلفة التي قدمها الحداثويين العرب ومن ثم الحكم على التراث العربي الإسلامي. وهو مدرك الى درجة الوعي بأنه سيتعرض للنقد في هذه النقطة لأنه يحاكم التراث باستخدام مفاهيم

¹ - عبد الله العروي: مفهوم الأيديولوجية، مصدر سابق، ص 125.

د. نصيرة بوظغان الحدائفة العربفة المعطلة وممكنات انجازها: قراءفة فف مشروع المفكر المغربف "عبء الله العروف"

خارفة عنه، لا تنتمف الى فضائفه الثقافف والمعرفف وحتف المنهف، ورغم ذلك رأى العروف فف موقفه الفلسفف موقفا عقلانفا وصحففا وذلك بطبفةة الحال بناء على مقولة وحدة الإنسانفة والمصفر المشترك. فقول لهذا: "أحكم على التراث انطلاقا من مفاهفم ففر نابفة من صلبه. وأءف أن كل من ففشف فف زماننا هذا، من ففءفر نفسه ابن هذا الزمان، لا ففسطفح أن ففعل ففر هذا.. فف أنطلق من مفهوم هو ولفء تطور تاريخف وأطبقه على مافة افترض أنها سائرة إلى التطابق معه. أفعل ذلك وأنا واع بالصعوبات المترتبة على هذا الإءراء، إلا أنني أءف أن لا إءراء ففره، للسبب المذكور سابقا. أفف أنف أءعل من سفرورة ففر مؤكءة ءلفل صحة تطبفح المفهوم."¹

فكر العروف فف مشكلات العالم العربف انطلاقا من رؤفة كونفة عبر الماركسفة كحتمفة تاريخفة لا ففءفر مستقبلا بالاتنفات مسفففءا من منءرات العلوم الانسانية والاجتماعفة الفف فرى ففها منتج انساني فنبغف اعتماده ل تعمفح ففمنا لأزمئنا الحضارفة.

العالم العربف ففتقد الى الحس التجرفءف النظرف بغفة التفكفر عبر الأنساق، هذا ما ففر فف عند العروف بـ"الأءلوفة" الفف تسعى إلى تجاوز منطق الأحكام الجاهزة. وبعء مفهوم الأفءفولوجفة من أكثر المفاهفم ءءلا ففءء المفكر كارل مانهافم فرى بأن "الأفءفولوجفا هف الوءف الزائف بالءات"، والأفءفولوجفا تحمل شحنة ماركسفة لأن الماركسففون فرون أن ءوهر الأفءفولوجفا هو إراءة الفعبفر عن المصالح الحفوفة لءماعة أو لطففة اجتماعفة. كما نءء رفمون أرون فرى أن هناك التباس كبفر فف اسءءءام كلمة أفءفولوجفة، ففها تارة فكون ءات معنف حفاءف وطورا بمعنف مبعءل، فقول: "أن هناك ءءبءبا فف اسءءءام فعبفر أفءفولوجفا فتراوح بفن المعنف الحءافف: الأفءفولوجفا هف الافكار المزففة، هف فرففر المصالح والأهواء، وبفن المعنف المءافء: الصفاغة العلمفة لموقف معفن اءءاء الواقع الاجتماعي أو السفاسف"² هذا الءتباس فف مسءوى المفهوم ءفع بالعروف إلى نقء الأفءفولوجفات كمرفلة أولى فف ففهم الأطروءات الفف تسعى إلى اسءفعباب الواقع العربف وسر فشلفها، لأن الأفءفولوجفا ارءبءت بالوءف الاجتماعي والءوراء

¹ - عبء الله العروف: مفهوم العقل، مصدر سابق، ص 17.

² - Raymond Aron. trois essais sur l'age industriel. Paris .1966, p 215.

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

الاجتماعية بداية من الثورة الفرنسية(1789م) ويعد (دستوت دوتراسي) في نظر "أدري لالاند" واضع مصطلح الايديولوجيا، في اعقاب الثورة الفرنسية وتم توظيفه خلال القرن التاسع عشر. كعلم يهتم بدراسة الأفكار بالمعنى الواسع لكلمة أفكار وخصائصها وعلاقتها بالوعي الاجتماعي واكتسى المفهوم طابعا ثوريا لتزامنه مع الثورة الفرنسية ليصبح في مرحلة مرادفا لمفاهيم مثل العدالة والاخوة والحرية¹.

ونقد " العروي " بدأ من نقد المفاهيم المستعارة لمعرفة بنيتها والفضاء الذي تشكلت فيه، لأنها لا تنتهي للفضاء الذي استوردها، وقد يكون لها أثر سلبي لأنها في مرحلة ما تتحول إلى مؤشر للحكم، ويطلق "العروي" مصطلح الأيديولوجية أو "الأدلوجة" على ثلاثة أشياء يقول: "أولا ما ينعكس في الذهن من أحوال الواقع انعكاسا محرفا بتأثير لا واع من المفاهيم المستعملة. ثانيا نسق فكري يستهدف حجب واقع يصعب وأحيانا يمتنع تحليله. ثالثا نظرية مستعارة لم تتجسد بعد كليا في المجتمع الذي استعارها لكنها تتغلغل فيه كل يوم أكثر فأكثر"².

يعتقد "عبد الله العروي" أنه يتعدى تجاوز ظاهرة التخلف الحضاري إلى بناء نهضة دون مشروع يمس جميع جوانب الحياة بإمكانه تقليص الفوارق بين الآخر المتقدم وبيننا والمدخل يبدأ بإنجاز ثورة ثقافية تمكنا من تأسيس حضاري. لهذا ينبغي في نظر "عبد الله العروي" احداث القطيعة مع كل الممارسات التقليدية التي أصبحت عائق يحول دون تأسيس وعي حضاري، كما ينبغي تجاوز الأسئلة المطروحة على الفكر العربي لأن استمرارها يؤكد على عجز الأطروحات السابقة على تقديم إجابات تاريخية.

إن كل الإجابات المقدمة بالنسبة لـ"عبد الله العروي" إجابات لم تؤسس لفهم سليم على مبادئ علمية مما يعني أن هذه الإجابات كانت إيديولوجية حول "الهوية" وهذه الخلفيات الإيديولوجية تخترق الفكر العربي من مستوى التفكير في الواقع إلى مستوى التنظير يقول: "

¹ - André Lalande .Vocabulaire technique et critique de la philosophie. Ed. PUF Paris 1976 p.458.459

² - عبد الله العروي: الايديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص29.

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

الأيديولوجيا دائما وأبدا عبارة عن مصالحي¹. وظل السؤال المسيطر من هو الآخر ومن نحن؟ وما السبيل لتجاوز هذا الواقع؟

اللحظة التي تعيشها المجتمعات العربية تقتضي الاعتماد على المنهج الماركسي يقول: إن الحاجة تدعو العرب أو المثقفين العرب على وجه التدقيق. إلى الكلام بلغة ماركس دون الاعتراف وربما الوعي بذلك² لكن الأشكال أن المفكر العربي لم يتمكن من قلب ماركسية ماركس، لم يتمكن التحول من اللاوعي إلى الوعي، ينبغي تجاوز التجزئة وتبني فكر تاريخي شامل والماركسية أفضل مدرسة في تراث العالم العربي وهي موجودة في "ماركس الشاب" في مؤلفه: "الإيديولوجيا الألمانية في (1948) و"عبد الله العروي" يعتقد بأن وضعية العالم العربي اليوم تشبه وضعية ألمانيا في عام (1948)، وإحداث تحول يطرح "العروي" جملة من الأسئلة الماهوية: هل القاعدة المادية هي المحدد لثقافة مجتمع ما؟ هل كل مجتمع قادر على إنتاج أدلوجته؟ كيف تتجاوز الثقافات المختلفة؟

بدأ "عبد الله العروي" بممارسة النقد على أسس الإيديولوجيا المعاصرة وتوصل إلى التمييز بين ثلاثة أشكال أساسية من أشكال الوعي التي بها حاول العقل فهم واقعه.

خامسا- أشكال الوعي الذاتي وظاهرة التخلف:

1- الوعي الديني:

ويمثله الفقهاء ورجال الدين الذين يقرأون الصراع القائم بين الغرب والعالم الإسلامي اليوم في إطار الصراع التقليدي أي صراع ديني لذلك نجد من يرفع شعار "حوار الأديان"، ورجال الدين يوظف النصوص الدينية لتبرير النجاح كما لتبرير الفشل، وهو الأمر الذي اعتمده "محمد عبده" في رسالة التوحيد، ص 177، الآية 16 من سورة الاسراء قوله تعالى: "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا". وهنا يتحول الزمن إلى علاقة بين الله والانسان، وليس علاقة بين الانسان والانسان او الانسان والطبيعة.

¹ - عبد الله العروي: العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1998، ص 4، ص 18.

² - عبد الله العروي: الإيديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص 31.

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكّنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

إن رجل الدين في نظر "عبد الله العروي" أرجع سبب تأخرنا التاريخي لابتعادنا عن قيم العقل والحرية التي أقرّها الإسلام. وهذه القيم أصبحت أساس قمة الغرب وتحضّره فدعا إلى ضرورة العودة إلى تلك القيم الإسلامية الأصل والتي كانت أساس تقدّمنا في الماضي والقيم السائدة في الغرب وهي أساس تقدّمه دائما مفقودة في عالمنا العربي الاسلامي اليوم، فينبغي استعادة الذات.

هذا التّيار يعمل على "قراءة التاريخ" في الصراع الغربي- العربي، والشيخ السلفي يسمع أن سبب تفوق المسيحية على الإسلام راجع إلى عجز الإسلام، فيعود رجل الدين إلى النصوص محاولا استخراج معاني التسامح متهجما على المسيحيين بأحداث تاريخية كسجن "غاليلي" واضطهاد "ج. ج. روسو" ، ويعتمد رجل الدين على الانتقائية التي تقوم على (رؤية الغرب في لحظة تاريخية معينة لافتقاده الرؤية الشمولية، فيرى أن المسلمون قد انفتحوا على الفلسفة اليونانية وعقلانية المعتزلة، وينهي إلى وصف الإسلام بالعقلانية والمسيحية بالتعصب، لكن هناك سؤال يطرح على رجل الدين إذا كان العقل من الإسلام والتعصب من المسيحية فلماذا تأخر الإسلام وتقدم الغرب والتعصب مسيحي؟¹ ورجل الدين يستمر في القراءة الانتقائية ليبرر أن الضعف سببه عدم فهم العقيدة وتطبيقها فعليا في الواقع دون النظر في الأسباب العلمية والموضوعية والتاريخية التي جعلت من الغرب غربا ومن الشرق شرقا. والخطر في هذا التيار أنه "يختزل حياة البشر في الانقياد، يحول العقيدة الى سياسة، كما أنه يحول السياسة الى عقيدة"² ويتساءل العروي أي مستقبل لمجتمع هذه هي عقيدته أو سياسته؟

2- وعي رجل السياسة (الليبرالي):

دعا رجل السياسة إلى النهضة بعد رجل الدين ورهن النهضة والحداثة بالإصلاح السياسي مؤكدا أن قيم الحرية والعقلانية لا تؤدي إلى نهضة في ظل استبداد سياسي وقيم الديمقراطية والحرية السياسية التي بُنيت عليها أنظمة الحكم الحديث في الغرب وهي شرط لنهضتنا وأساس حداثتنا العربية، والفرق بين رجل الدين والسياسي هو أن السياسي لم يدعي

¹ - عبد الله العروي: الأيديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص 41.

² - عبد الله العروي: ديوان السياسة ، مصدر سابق، ص 57.

د. نصيرة بوظغان الحدائنة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

لنفسه أن هذه القيم موجودة في تراثنا الإسلامي لكنه اجتهد في نفي تعارضها مع الإسلام، كما عمد الى التمييز بين الإسلام القابل للتكيف مع أي نظام حكم يختاره المسلمون وبين تاريخ الإسلام الذي لا يخلو من الاستبداد حتى في عصر ازدهاره. وعليه فالسياسي وجد في الفساد والاستبداد التخلف الحضاري وفي ديمقراطية الغرب وحرياته تحررنا من الجهل وتطوير مجتمعاتنا.

وموقف رجل السياسة يرى فيه "عبد الله العروي" موقفا تجزئيا لا تاريخيا لأنه استبعد أن تكون العقيدة من أسباب تخلفنا، كما لا ينكر الليبرالي أن من أسباب تخلفنا التاريخي الاستبداد، ولكن النموذج الليبرالي مشكلته أنه يعتمد على الغرب في تفسير تاريخنا الخاص وأصبح الآخر هو الذي يحدد الأنا من خلال الإعجاب بفلسفة الأنوار وبفلسفة "مونتسكيو" الذي فكك الاعتقاد أن التخلف سببه استبداد قديم كرسه الحكم المطلق. ولهذا وجد الحل في أفكار "روسو" و"مونتسكيو" والتخلف لا يكمن في تطبيق الشريعة من عدمها وإنما في غياب الحريات السياسية. لكن ينبغي أن ندرك أن الاختلاف بين الشرق يصل حد التناقض فالغرب هو الحرية والشرق الاستبداد. الغرب هو العقل والشرق الحيوانية (المرحلة الطبيعي) ما قبل المدنية، الغرب هو الحاضر والشرق الماضي.¹

3- وعي رجل التقنية أو التكنوقراط.

اختزل رجل التقنية قوة الغرب في العلوم التطبيقية وإنجازاته الصناعية مقلدا من شأن إصلاحاته الدينية وثوراته السياسية يقول: "ليس الغرب دينا بدون خرافة ولا دولة بدون استبداد، الغرب بكل بساطة قوة مادية اصلها العمل الموجه المفيد والعلم التطبيقي. هذا ما يقرره بعنف الزعيم الجديد ساخرا من اوهام الشيخ والسياسي الليبرالي."² وقد قال " موسى سلامة" في احدى محاضراته للطلبة في الجامعة " أن الفرق بيننا وبين الأوروبيين المتمدنين هو الصناعة، وليس شيئا غير الصناعة وكثيرا ما يستدل رجل التقنية على أطروحته بما حققه اليابان متسائلا عن خروج اليابانيين من عزلتهم وتخلفهم في فترة قصيرة من الزمن لماذا

¹ - عبد الله العروي: ديوان السياسة، مصدر سابق، ص 06.

² - عبد الله العروي: الايديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص 47.

د. نصيرة بوظغان الحدائنة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

استطاع البيانيون في فترة قصيرة أن يتفوقوا على أمم كثيرة من الجنسين الأبيض والأصفر؟ لأنهم أدركوا أن سر الحضارة الغربية يكمن في التقنية فلماذا لا نفعل مثلهم ونقوم بضغط التاريخ بدلا من اعادته.

ورجل التقنية يرفض أفكار رجل الدين والسياسة لأن كليهما ربط تقدم الغرب إما بالإصلاح الديني أو غياب الاستبداد، ويجعل التقني نموذج النجاح الأخذ بأسرار التكنولوجيا وتوظيفها في تقدم المجتمع. ويقدم مثلا على بريطانيا التكنوقراطية نجحت في عهد المستبد (كرومول)، وإنجازات فرنسا في عهد (نابليون) ليصبح التفاوت التاريخي سببه التفاوت التكنولوجي والصناعي والمعرفة العلمية التقنية، مستبعدا أهمية نقد التاريخ الإسلامي ولا داع في نظره لإعادة تفسير الدين ونصوصه فمثل هذا النقد لا معنى ولا قيمة حضارية تُرجى منه في التقدم. كما أن رجل التقنية لا يهتم ماضي العرب وحقائقهم التاريخية ليصبح سؤال سبب التأخر التاريخي لا معنى له وامتلاك المستقبل بامتلاك التقنية. مثل هذا الوعي في نظر "عبد الله العروي" هو وعي مقطوع عن التاريخ لأنه انتقائي، والتكنوقراط رأى أن الغرب في لحظة تفوقه التقني معزول عن سياقه التاريخي. لكن هل هذه المستويات من الوعي هل تعكس مراحل التطور السياسي والاجتماعي؟

سادسا- الأيديولوجيا وظاهرة الاغتراب:

يجيبنا "عبد الله العروي" في قوله: "كثيرا ما نلاحظ تفاوتنا في الوتيرة بين تحولات الثقافة وتطورات السياسة عندنا كما لم يلاحظ قط في أية بقعة من المعمورة تطابق زمني قام بين المذاهب الفكرية والمجتمعات الملائمة لها والأشخاص الداعين إلى اعتناقها"¹ فالشخصيات الثلاث التي اختارها العروي (الشيخ، الزعيم السياسي، وداعية التقنية) تمثل لحظات ثلاث يمر بها تباعا الوعي العربي وهو يحاول منذ نهاية القرن الماضي ادراك هويته وهوية الغرب، لكن هذه النماذج لا تجتمع في رجل واحد أو في لحظة تاريخية محددة أو مجتمع معين، وهنا نجد أنفسنا أمام اشكالية علاقة الوعي بالمجتمع؟ أو علاقة

¹ - عبد الله العروي: الأيديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص 50.

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي " عبد الله العروي"

النخب بالمجتمع الذي تنتمي اليه وتعبّر عنه؟ كل هذه الأشكال تعبر عن علاقة الأنا بالآخر، لكن هل هذه النماذج من الوعي تتعاقب داخل التاريخ أم لا؟

استوحى " العروي " هذه النمذجة من ثلاث شخصيات (محمد عبده، لطفي السيد، سلامة موسى) وهذا التحقيب المقترح ثقافي لا يطابق بالضرورة مرحلة التطور السياسي، لأن الشيخ لا يختفي بانتهاء الاستعمار، والليبرالي لا يتوارى مع دولة الاستقلال، وداعية التقنية لا ينتظر تأسيس الدولة القومية، فكثيرا ما نلاحظ تفاوت بين الأطروحات الفكرية وبينتها الثقافية، لأن بعض الأفكار تتمتع بالقدرة على الإختراق والتجاوز، والعروي يجعل من رجل الدين بمثابة صوت الواجب ومن السياسي صوت الواقع ومن رجل التقنية صوت المستقبل، لكن الوعي في مختلف اشكاله لا يطرح سؤال المستقبل والمصير إلا في حالة تعرضت البلاد لغزو خارجي، حينها يصبح وعي رجل الدين فعالا كما هو اليوم، في زمن ما بعد الحداثة وما بعد الانوار اين انكفأ العقل الغربي على مراجعة ذاته عبر النقد نلحظ كل نقائص العقل تشتغل في أوطاننا وتخفوا كل الأصوات ليرتفع صوت رجل الدين، هذا هو الزمن الرديء. زمن تتفكك فيه النخب ليشغل الوعي السياسي في تشكيل الوعي دون قلة ويشغل فيه وعي التقنية في عهد الدولة القومية أين تسيطر فئة برجوازية على مقدرات البلاد، لكن في حالة العالم العربي الراهن كل أشكال الوعي تتشابك وتستمر في تزييف الواقع يقول العروي: " لا سبيل الى انكار تساكُن أشكال الوعي في الدولة الواحدة ومع ذلك يبدو ذلك التساكن (ما يسمى أحيانا بالسانكرونيا) أقل أهمية منهجيا من التعاقب الزمني. (الدياكرونيا). إن التعاقب. ان لم نقل التولد، هو الذي يعبر لكل شكل وعي وزنه النوعي."¹

إننا مطالبون اليوم بضرورة فهم طبيعة العلاقة بين هذه النماذج من الوعي لكي لا نستمر في تشويه الواقع وتعميق الأزمة، هذه النماذج لا شك تختلف في اجابتها عن السؤال ما هو الغرب؟ حسب مرجعياتها، لكن ينهنا العروي الى أن الوعي العربي يواجه غرب اليوم بوعي القرن الثامن عشر والقرن العشرين وعي لم يعد الغرب يعتمد على ذاته، وهنا اشكال منهجي بسبب التفاوت الحضاري مما أوقع الوعي العربي في التجزئة، لأننا نريد ادراك الغرب في

¹ - عبد الله العروي: الايديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص52.

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكّنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

لحظة الأنوار والغرب تجاوز تلك اللحظة، كما يعني أننا لم ندرك لحظة عنفوان العقل الغربي وجرأته وحالة خروجه من ذاته يقول العروي: " إذا ما أصبح العقل العربي نقديا بالفعل وتوصل عندئذ الى نظرة انسانية شمولية، سيوفي الغرب حيث يراوح هذا الأخير خطواته منذ القرن الماضي، فيمكن لأول مرة أن يتعرف العقلان الواحد على الآخر ويدشنان عهد حوار حقيقي"¹.

العقل العربي أمامه مهمات ضخمة لإنجازها وتتعاظم هذه المهمات يوما بعد يوم خاصة بعد سقوط بعض الأنظمة الشمولية ما يستدعي من المفكر إعادة النظر في علاقته مع الواقع وهذا لا يعني أن الوعي العربي (المفكر\المثقف العربي) مقطوع الصلة بواقعه نهائيا لكن "عبد الله العروي" يرى أن هذه العلاقة سطحية غير مباشرة ومن ثمة فالوعي لا يعبر عن الواقع لأنه يستند إلى بنية اجتماعية مغايرة. ويصر العروي على ضرورة ربط الوعي العربي بالوعي الغربي وتطوره ويكون العروي بهذا قد أنكر الأصالة والإبداع عن الفكر العربي لأنه مجرد ظلال باهتة للآخر. لأنه فكر مستقل ومستقبل لا يعكس حركة المجتمع العربي الذي يتحدث عنه ولذلك فتحليل بنية الفكر العربي مشروطة بأن تمر عبر تحليل بنية الفكر الغربي وكأن الغرب أصبح أحد بنيات الفكر العربي لأنه لم يساير تطوّر المجتمع وتغيّره في التاريخ، والنخب تعيش حالة الاغتراب المزدوج وحالة الاستيلاء الحضاري تمظهر في الإخفاق في فهم الواقع وتحديد الذات لكن الآخر كان عامل هام في تحديد الذات وانتقالها من الدولة الدينية إلى الدولة المدنية. فما الحل وما العمل الذي يقترحه "عبد الله العروي"؟

يرى "عبد الله العروي" أولا: ضرورة وعي التفاوت الحاصل بين المجتمعات العربية لكي نعرف مبررات استمرار خطاب ما في مجتمع معين وفي مجتمع آخر خطاب مغاير. فمثلا نعرف لماذا استمر "محمد عبده" في مجتمع ما؟ واستمر "سلامة موسى" في مجتمع آخر كما ينهنا ثانيا "عبد الله العروي" إلى إشكالية علاقة الإيديولوجيا العربية المعاصرة بالمجتمع وقدرة تأثيرها وعلاقتها بأشكال الوعي الغربي لأن موقف المثقف العربي من الغرب يعكس مستوى الوعي

¹ - عبد الله العروي: الإيديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص 255.

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

العربي ومرجعياته وفكرتنا عن الغرب كامنة في وعي كل مثقف منا فما هي عوامل ضعف الإيديولوجيا العربية؟

سابعاً- مستقبل الحداثة العربية:

يعتقد عبد الله العروي أن المجتمعات العربية تمتلك إمكانات النهضة وتحولها إلى مجتمعات حداثوية. لكن تحولها وانتقالها إلى الحداثة مرهون بتمثل قيم ومقولات الفكر الغربي الحديث التي أنتجت الأنوار من عقلانية وحرية ومسئولية الإنسان عن نفسه، ومن نقد وفردانية، وعلمانية والفكر الماركسي والدولة المركزية¹، على المستوى النظري والعملي. ويقترح عبد الله العروي آلية نظرية لحصول عملية الانتقال والتحول الجذري وهي مفهوم "القطيعة المعرفية" مع التراث. والقطيعة الاستيمولوجية تفيد نهائياً القطع مع الطرائق والمناهج العقلانية للبحث الفكري الفلسفي التي استخدمت في التراث، لأنها لم تعد تستجيب لمشكلات الواقع الراهنة وهذا موقف سلبي واضح من التراث، والاستعاضة عنها بالأساليب والمناهج العقلانية العلمية الحديثة والمعاصرة. والحداثة حتمية تاريخية في نظر العروي مما يعني أن مفكرنا يفكر مع ماركس ومن خلاله فأخذ بالتاريخ وبالزعة التاريخية انطلاقاً من مفهوم حتمية التاريخ لهذا لا بديل للشعوب العربية عن تبني الحداثة في شكلها الغربي لأن «العالم العربي لا يستطيع أن يقدم بديلاً للحداثة التي نشأت في الغرب... وغدت حتمية عالمية»²

وهذا المفهوم والتحديد المنهجي هو مفهوم مركزي في مشروع العروي يخترق كل أعماله يقول: "حاولت في كل ما كتبت أن أوضح أن الوضعية التاريخية التي نعيشها، والتي لا نستطيع أن ننفيها، تجعل من كل أحكامنا على حالات خاصة أقوالاً هادفة، مصلحية تبريرية. لا فائدة في الحكم عليها بأنها حق أو باطل. بالنسبة لأي مقياس؟ فهي إما مساوقة لأهدافها المعلنة وإما معاكسة لها، فتصبح المسألة متعلقة فقط بالتماسك في المنهج والانطباق على الواقع. إذا اتضح أن عهد التقرير (اعلم أن..) قد انتهى بانحلال قاعدته المادية والاجتماعية والفكرية،

¹ - عبد الله العروي: الحداثة وأسئلة التاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك الدار البيضاء، ط1، 2005، ص103.

² Driss Mansouri: "Penseurs Maghrébins contemporains", Ed. Eddif. Maroc 1993. p.213.

د. نصيرة بوطغان الحداثة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

وكذلك عهد منطق المناظرة (إذا ... فالجواب..)، يتضح عندئذ أنه لم يعد هناك بداهة جاهزة، ضرورة منطقية، يركن إليها الجميع تلقائيا وتتماسك بها الأفكار. لا بد إذن من امتلاك بداهة جديدة. وهذا لا يكون إلا بالقفز فوق حاجز معرفي، حاجز تراكم المعلومات التقليدية، لا يفيد فيها أبدا النقد الجزئي، بل ما يفيد هو طي الصفحة.. وهذا ما أسميته ولا أزال أسميه بالقطيعة المنهجية¹.

العالم العربي يعيش مأزق على مستوى المنهج لأن المنهج موضوع مجموعة من المفاهيم، تتعلق قضاياها بوضعنا الذي نعيشه منذ أكثر من قرنين، والمأزق سببه القطيعة التي حدثت بيننا وبين منجزات تراثنا الثقافي والفكري والفلسفي والعلمي وحتى السياسي. وي طرح العروي اشكالية تموضع الباحث المنهم بمشكلات العالم العربي هل يضع الباحث نفسه قبل أو بعد هذه القطيعة مع التراث؟ وهي قطيعة تعمقت في التاريخ. هل ينبغي أن يشعر بها، ويعترف بها، أم لا؟ ويميز العروي بين المنهج والأسلوب. مقدا لنا مثال فالأسلوب موضع اختيار نستطيع مثلا أن نفاضل بين المدارس الاقتصادية، ولكن هناك منهج أساسي واحد هو الأصل في علم الاقتصاد، وعلى هذا المستوى لا يوجد خيار: إما العلم وإما الرأي. ويقصد العروي بالمنهج منطق الفكر الحديث والمعاصر بعد الثورة على مقولات العلم القديم. ما الشروط العلمية والعملية لتحول المجتمعات العربية الى الحداثة هي ضرورة البدء بإنشاء الدولة الحديثة. بعد وعي المفهوم في مستواه النظري وعيا شاملا والعروي يرفض محاولات التحول الجزئي (الديمقراطية، الليبرالية، المجتمع المدني... الخ) إلا بعد إقامة الدولة الحديثة، وهذا هو الموضوع المركزي في (مفهوم الدولة). يقول: "كل منا يكتشف الدولة قبل أن يكتشف الحرية... تجربة الحرية تحمل في طياتها تجربة الدولة"².

وتوجد علاقة عضوية بين الحرية والدولة فلا حرية الا داخل الدولة ولا حرية الا الحرية المسؤولة المعقنة، ويوجد تلازم بين هذه المفاهيم والدولة الحديثة هي دولة الديمقراطية والديمقراطية مبنية على الحرية، يقول: "لقد كتبت كتابا عن موضوع الدولة

¹ - عبد الله العروي: مفهوم العقل، مصدر سابق، ص 12.

² - عبد الله العروي: مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، ط9، 2011، ص05.

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكّنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

القومية، ودافعت فيه عن الدولة الاقليمية¹ ويطلق مفهوم الدولة الاقليمية على الدولة القومية، الدولة في تصور العروي أولا هي "أدلوجة" ومعطى بديهي لأنها ضرورة أنطولوجية، وكل سؤال حول الدولة هو اعتراف بأسبقيتها عن السؤال، انها ظاهرة اجتماعية وكل تفكير في الدولة لا يخرج عن التفكير في محاور ثلاثة" الماهية، التطور، الوظيفة" وسؤال الدولة سؤال هو موضوع للفلاسفة والمؤرخين وعلماء الاجتماع، فالسؤال ماهي الدولة؟ سؤال ماهوي يطرحه الفيلسوف بغية النفوذ الى الأسس، وسؤال كيف تتطور الدولة؟ هو موضوع للمؤرخ لمعرفة أسباب التطور والتحول، أما سؤال ما الوظيفة؟ فهو سؤال يطرحه علماء الاجتماع لتحديد دور الدولة وعلاقتها بالمجتمع وكيف تعمل على تنظيمه، والعروي يستعير التصور الهيجلي لمفهوم الدولة باعتبارها "تجسيد للإرادة العامة الجوهرية، وهي العقل في ذاته".²

وللعروي موقف سلبي من هيغل لأن هيغل لم يدرك البتة مفهوم الدولة لانصرافه عن الواقع الى الدولة المثلى، كما توجه بالنقد لعالم الاجتماع "ماكس فيبر" الذي رأى في مفهوم الدولة ظاهرة غربية، ويكون بهذا عبد الله العروي قد طرح الأسئلة الثلاثة، لأنه يضع نفسه في خانة المؤرخين، ويصرح أنه يميل للدراسات الاجتماعية، وفي نفس الوقت يقرأ للفلاسفة³، رغم محاولاته الابتعاد عن الفلسفة، لكنه لم يستطع التفكير خارجها، وهذا ما يؤكد عبد السلام بنعبد العالي في قوله: «إلا أننا نلفي عندنا مفكرين أقرب إلى الفلسفة لا يكتبون فيما عهدنا أن نطلق عليه مؤلفات فلسفية مثل الخطيبي الذي يصرح بأنه يكتب على هامش الفلسفة، والعروي الذي يوظف مفاهيم الفلسفة ويتغذى من منابعها، ويرفض صراحة أن يلقب فيلسوفا، فيميز بين اجتماعيات الثقافة وبين ما يطلق عليه الإغراق في التأمل النظري»⁴ ولكن إذا كانت الدولة ترادف الأدلوجة فإن الأدلوجة وظيفتها أن تكون انعكاس للواقع المعاش لا

¹ - عبد الله العروي: التعايش بين التقليد والحداثة ..غير ممكن، حوار مجلة اطروحات، العدد 16، 1990، ص21.

² - عبد الله العروي: مفهوم الدولة، مصدر سابق، ص 47.

³ - عبد الله العروي: الحداثة وأسئلة التاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك الدار البيضاء، ط1، ص 11.

⁴ - عبد السلام بنعبد العالي: الفكر الفلسفي في المغرب "دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص 8.

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكّنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

كحقيقة في ذاتها، فالأدلوجة تعني قدرة استيعاب الواقع، لتصبح الدولة هي معيار تخلف وتقدم الشعوب. إلا أم "الدولة العربية مبنية على أساس اجتماعي معين، تهدف بالضرورة إلى المحافظة على توازن القبائل والعشائر والأسر، وبالتالي المحافظة على الجنس".¹

ثامنا- عوائق التحديث وامكانات التجاوز:

عمل العروي على اجمال عوائق تحول المجتمعات العربية إلى الحداثة بعد القراءة التاريخية والنقدية وسنشير إلى أخطرها:

1- العائق الأول: اشكالية الاصلية وتعني تمسك النخب العربية الباحثة بأساليب فكرية تقليدية لم تعد قادرة على فهم الواقع ولا مسايرة منجزات الحداثة مما أسهم في ثبات المجتمعات ورفضها للتطور وكل ما هو حديث، وانعكس هذا الوفاء للماضي على اللغة وبنيتها الاصطلاحية، في أولوية الاسم على الفعل. يقول إن: "خلاصة القسم الأول هي أن عقل المطلق، رغم اختلاف المشارب والمسالك، يؤدي حتما إلى عدم التمييز بين المفهومين. العقل فعال بطبعه: يقول ذلك بعبارة متباينة غير متناقضة الحكيم والمتكلم والمتصوف والفقير والمحدث. تحارب هؤلاء فيما بينهم حروبا عنيفة لكن على الأطراف والتخوم لا على المعادل والحصون. اختلفوا حول العبارات والأحكام، أما التصورات والتوجهات فكانت واحدة..."²

2- العائق الثاني: أخطر لأنه متعلق باعتقاد بعض النخب بإمكانية تجاوز الحداثة الغربية لأن الحداثة الغربية تجاوزت ذاتها إلى ما بعد الحداثة، وكأن التجاوز عبر النقد دليل على عدم ضرورتها تاريخيا. لكن العروي يرى أنه لا يمكننا القفز فوق التاريخ وفوق مرحلة الحداثة. ويعتبر الحداثة قدر الشعوب العربية كغيرها من المجتمعات، ويقترح العروي آلية علمية لتجاوز الحداثة عبر استيعابها، فلا يمكننا أن نسير ضد الحداثة فتلك مخاطرة كبيرة، لذلك يرى أن معارضة الحداثة من أكبر العوائق وفعل غبي نابع عن جهل³، كما أن التأييد الماكر يعطل فعل

¹ - عبد الله العروي: مفهوم الدولة، مصدر سابق، ص 123.

² - عبد الله العروي: مفهوم العقل، مصدر سابق، ص 359-360.

³ - عبد الله العروي: الحداثة وأسئلة التاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك الدار البيضاء، ط 1، 2005، ص 54.

د. نصيرة بوطغان الحداثة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

الحداثة. وهذا لا يعني أن العروي تماهى مع الحداثة ومقولاتها وإنما عمد إلى نقدها. لتذليل كل ما يعطل فعل التحديث من استبداد سياسي واجتماعي (العائلة، القرية، القبيلة...) وثقافي ضد الحريات المدنية والسياسية. وكل ما يعوق الديمقراطية في سيادة الشعب¹. يقول: "إن الديمقراطية الحديثة مبنية على منطق الإنسان الاجتماعي الذي يحاور ويناقش، ويصوت في شؤون الجماعة مقيدا فقط ببنود الميثاق الاجتماعي²" وينبغي مقاومة كل ما يعوق العقلانية العلمية بفعل سيطرة الغيبيات والأسطورة في حياتنا. كما ينبغي على المجتمعات العربية المعاصرة تجاوز فكرة الخلافة وحكم الشورى نهائيا لأنه لا يحتكم لمنطق المجتمع، وإنما لمنطق الجماعة، فعلينا كمجتمعات التحول من الحق الالهي إلى الحق المدني ومن القانون المستوحى من النصوص الدينية إلى القانون المستوحى من العقل والعقد الاجتماعي، لكن العروي يتساءل عن امكانية التجاوز والتحديث في لحظة دخول المجتمعات العربية عصر الفوضى الفكرية؟.

3- العائق الثالث: من العوائق يشير العروي إلى اشكالية الاعتقاد أن شراء أشياء الحداثة في صورتها المادية يكفي لفعل التحديث، أو ما يسميه بالتطبيق الشكلي للأنظمة الحداثية، وهذا أكبر خطأ لأنه ينبغي وعي الحداثة فكريا والغوص في أعماقها، والتحول ينبغي أن يكون تحولا في منظومتنا الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية والعقدية حداثا شاملة. لأن المجتمعات العربية لا تزال تعيش على هامش الحداثة ويوجز العروي سمات الحداثة الشاملة التي جعلها بنية تاريخية وفكرية مختلفة نوعيا وجذريا عن التقليد حيث يقول أنها "تنطلق من الطبيعة معتمدة على العقل، لصالح الفرد، لتصل إلى السعادة، عن طريق الحرية"³ والحداثة في مشروع العروي هي مجموعة من السيرورات المتعاقبة فكريا وزمنيا تطل كل البنى دون استثناء. فهل نملك شروط انجاز الحداثة؟

4- العائق الرابع: العوامل اللاتاريخية وتتمثل في لا تاريخانية أشكال الوعي العربي ويقصد به العروي ضعف الوعي العربي وكذا لا تاريخية علاقة أشكال الوعي العربي بالوعي الغربي التي

¹ - عبد الله العروي: التحديث والديمقراطية (حوار)، مجلة أفاق، 1992، ع 4 - 3، ص 161.

² - عبد الله العروي: العرب والفكر التاريخي، الدار البيضاء 1998، ص 40.

³ - عبد الله العروي: العرب والفكر التاريخي، ص 108.

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

استقى منها المفكر أفكاره وفُرضت عليه. والمقصود بلا تاريخانية أشكال الوعي العربي أن المجتمعات العربية منذ صدمة الحداثة تواجه غربا تجاوز أشكال الوعي الأصلي (وعي جون لوك ومونتسكيو فلاسفة الأنوار في القرن (18م)¹ ووعي سان سيمون، والاقتصاديون، والوعي الذي يتحكم في غرب القرن (19م)، و(20م) هو وعي صاحب رأس المال والغرب لم يعد يتعرف على ذاته في وعي القرن (19) وأفكاره الاجتماعية والسياسية وقيمه الإنسانية. ولم يعد يقدم نفسه للآخر (العرب) من خلال الأنوار. لأن الوعي العربي لم يستطع التعرف على الغرب في كليته كتاريخ مباشر وإنما تعرف عليه عبر الاختزال والانتقاء والتفصيل والهوامش والاستشراق.

الوعي العربي (المثقف) وجد غربا مزدوجا مطابقا للواقع ووعي آخر مخالف ومنحرف عن الواقع (الأدلوجية)، لكن الغرب أدرك واقعه التاريخي وجدد وعيه بذاته بوعيه الخاص لا بوعي الآخر، في حين أن العرب أدركوا واقعهم في العصر الحديث بوعي الغرب لذلك الوعي العربي غير مطابق للواقع لأنه لا تاريخي يقول "عبد الله العروي": «اللاتاريخانية واقع لا يجب التغافل عنه إن كنا نمسك بمبحث الحداثة والتطور الإيديولوجي»².

تاسعا- في نقد أطروحة العروي:

لم تسلم مواقف العروي الفكرية من النقد فالبعض أمثال جابر عصفور وهو من بين المهتمين بأعمال العروي رأى أنه -العروي- وقع ضحية أفكاره لاعتماده على مناهج غريبة لتفسير واقعنا، "حتى وإن دأى المفكرين الى وعي انتقادي والى التشكيك في تكنوقراطية الغرب وعاطفة العرب"³. لم يستطع العروي في نظر منتقديه التخلص مما دأى اليه رغم اسهاماته في الفكر العربي عبر مؤلفات وفي جوهرها تعبير عن هم وقلق اتجاه مآلات مجتمعاتنا، جهد كبير من حيث الترسانة المفهومية والمصطلحية والمنهجية لكن لم ينزل للواقع ويلامسه، يقول حسن حنفي "تحولت ثقافتنا الى وكلاء حضارية وامتداد لمذاهب غربية اشتراكية ماركسية وجودية وضعية

¹ - عبد الله العروي: مفهوم العقل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2001، ص 23-24.

² - عبد الله العروي: العرب والفكر التاريخي، ص 88.

³ - جابر عصفور: ترجمة الايديولوجيا العربية المعاصرة، العربي، مجلة تصدرها وزارة الاعلام الكويت، ع455، اكتوبر 1996، ص08.

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

شخصانية بنويوية، حتى لم يعد أحد قادر على أن يكون مفكراً أو عالماً أو حتى مثقفاً، إن لم يكن له مذهب ينتسب إليه فتفرقنا شيعاً وأحزاباً وضاعت الثقافة الوطنية¹. ومشكلة العروي أنه رأى في الماركسية حتمية منهجية وفي الحداثة الغربية حتمية تاريخية، ينبغي أن تمر بها المجتمعات العربية، وكأننا أمام نموذج حضاري واحد، في حين توجد نماذج حضارية مختلفة تماماً مثل النموذج الياباني الذي لا يمكن فهمه بمنطق الحتمية التاريخية، نموذج استند على مكونات هويته وطبيعة أفراده ليؤسس لنمط حدائمي مختلف، ويكون بهذا العروي قد نادى بالحرية لكن عمل على تضيقها إلى درجة نفي نقائصها، ولم يترك للعربي حرية الاختيار.

ومن بين مواطن ضعف أطروحة العروي تجاهلها للسياقات واختلافها، فنجده يدعو إلى الماركسية وبعدها التاريخي، والماركسية تهتم بتطور المجتمعات في التاريخ، في حين مفكرنا يدعو إلى القطيعة مع التراث، وهو نفسه يأخذ بتراث الماركسية، التي لم تعد تستجيب للواقع، والغرب يعيش لحظة ما بعد الماركسية في ظل مدرسة فرانكفورت المعاصرة، فكيف تفشل الماركسية في بيئة أنتجتها وتنجح في بيئة غريبة عنها، لم تنجح الماركسية في ألمانيا ولكنها نجحت في روسيا لمدة قصيرة من الزمن. يقول حسن حنفي في أشكالية التبيين المفهومية "إذا درسنا الفلسفة الغربية فإننا ننتزعها من بيئتها وكأن ديكرت وكانط وهيغل وماركس ونييتشه وهوسرل وبرغسون وسارتر وميرلوبونتي وهيدجر نجوم لامعة تتأملها ونعجب بها، بل ونحكم عليها على صدقها أو بطلانها بحجج الذوق السليم أو العقل الصريح"². دعانا العروي إلى التخلص من ذهنية التقديس والتأليه لنجده يرى في الماركسية الحل لولا حل خارجها.

إن دعوة العروي للماركسية وللحداثة الغربية يعني أنه يتنكر لمنجزات الحضارة العربية الإسلامية، التي أعطت درساً للبشرية في العقلانية والانسانية مع المعتزلة وابن رشد وابن مسكويه والتوحيد في العلوم الانسانية، ومع ابن الهيثم والخوارزمي في العلوم العقلية والطبيعية، فيكون "العروي استلهم الجواب من الماركسية ليمارس بذلك عنفاً على النص التراثي بمحاولة

¹ - حسن حنفي: الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الأول، تنظيم الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، نوفمبر 1987، ص31.

² - حسن حنفي: الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، ص18.

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكّنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

تخليص الوعي العربي منه وتقويض السند الذي يسند الخطاب السلفي، الذي يشد الانسان العربي الى التخلف، وهو لا يستمد مفاهيمه الأساسية بل يشرحها¹. ومثل هذه المواقف لا تؤسس لفكر مستقل في اطار الكوني، لان الفكر الحقيقي هو الذي يمتلك القدرة على الانسجام مع واقعه واستيعاب مكوناته، فالفكر تعبير عن هوية حتى وان اعتنق الكوني، يقول عبد الرحمان بوقاف "هذا يؤدي بالفلسفة العربية الى ان تنشأ مقطوعة الصلة بالهوية والانحياز للأخر دون معرفة بدلالات القديم وتقليد الجديد الغربي، المتمثل في فلسفاته التي تزرعها فلا هي أنبتت فلسفة في أرض جديدة ولا هي احتفظت بحياتها في أرضها القديمة"².

ويتساءل الدكتور اسماعيل زروخي الا تبدوا هذه الدعوة ذاتها اغترابا في فكر العروي؟ اذا كيف يمكن الاعتماد على فكر هو ذاته يعاني اغترابا في منظوره؟ لكن "حتى وان سلمنا مع العروي بأخذ الفكر التاريخي النابع من غرب الحلم فهل فعلا يستطيع هذا الحلم ان يخلصنا من الأمانا التي هي نابعة من الغرب ذاته في كثير من جوانبها"³. كما تعرضت دعوة العروي للحداثة الغربية الى انتقادات لتجاهلها لمآلات الحداثة الغربية، لأن الغرب يعيش لحظة ما بعد الحداثة، فإذا أردنا أن نقلد الغرب أو نعيد تاريخه فلماذا لا نتبنى غرب ما بعد الحداثة. يقول وميض مضبي: "كانت كتابات العروي سجالاتا ضد الفكر العربي المعاصر او الأدلوجة العربية المعاصرة، لأنها أوهاام وتخيلات لم ترقى إلى التعبير الحقيقي للواقع العربي أي عدم مطابقة الفكر للواقع وهذا السجال يكون العروي قد ازدردى المجتمع العربي بالدرجة الأولى"⁴. إن هذه الانتقادات ضرورية تموضع أطروحة العروي في مرحلة النقد، وممارسة الأطروحات النقد على بعضها البعض ظل غائبا في ثقافتنا لعدة قرون من الزمن، الى درجة عدم تحاور المشاريع نقديا

¹ - عبد الرحمان بوقاف: التيارات الفلسفية الغربية الحديثة واثرها على الفكر العربي، اشراف اسماعيل زروخي واخرون، منشورات المخبر الدراسات الفلسفية والتاريخية، جامعة منتوري قسنطينة، جويلية 2003، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ص 21-22.

² - عبد الرحمان بوقاف: التيارات الفلسفية الغربية الحديثة واثرها على الفكر العربي، ص 23.

³ - اسماعيل زروخي: التيارات الفلسفية الغربية الحديثة واثرها على الفكر العربي، ص 37.

⁴ - وميض مضبي: قضايا اشكالية في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط3، 1995، ص 109.

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

على خلاف مايجري في الثقافة الغربية التي تطورت بفعل قوة النقد. مثل ما حدث مع أساتذة الشك (ماركس، نيتشه، فرويد).

خلاصة:

وكخلاصة لهذا المقال الذي حاولنا فيها لاسماك بالخيط الناظم لمشروع المفكر عبد العروي، عبر الاستماع للمفكر في عديد من القضايا الراهنة قبل تسليط النقد، فركزنا على ظاهرة الوعي الذاتي العربي وكيف تتفاعل في قراءة الواقع وفي تأويله وتفسيره وفي إعادة تشكيله، وأشكال الوعي في أطروحة "العروي" لا حظنا أنها مجرد تعبير عن علاقة نخبنا ومفكرينا وفلاسفتنا بواقعهم، نخب في غالبيتها لا تزال في حالة اغتراب عن الواقع لم تقرب منه وملتامسه للتماهي فيه، خاصة اليوم ومآلات مجتمعاتنا الظلامية نتيجة تأخرنا في الاستثمار في منجزات العلوم الانسانية والاجتماعية الحديثة ونتيجة غياب التفكير النقدي والفلسفي.

لكن هذا العنف ضد العقل والوعي والحرية والانوار هو اعتراف أن المستقبل يتشكل وكأن بالعنف يصبح ضرورة بلغة "نيتشه" ليحصل تحولا لهذا اعتقد "عبد الله العروي" أن الحداثة تقتضي القطع مع الماضي نهائيا يقول ينبغي أن: "نودع المصطلحات جميعها، نكف عن الاعتقاد أن النموذج الإنساني وراءنا لا أمامنا، وأن كل تقدم إنما هو في جوهره تجسيد لأشباح الماضي، وأن العلم تأويل لأقوال العارفين، وأن العمل الإنساني يعيد ما كان ولا يبدع ما لم يكن ... صبرورة الواقع الاجتماعي، نسبية الحقيقة المجردة، إبداع التاريخ، جدلية السياسة تلك هي معالم الفكر العصري وقوام المجتمع العصري"¹، كما وجه العروي نقدا لمنتقدي الحداثة والداعين لما بعد الحداثة في الفكر العربي، والمفكر العربي لا يمتلك حق تصحيح مسار الحداثة لأنه لم يعيش في كنفها، وأطلق العروي لفظ الردة الفكرية على النقد الذي تمارسه النخب العربية على الحداثة الغربية، وهناك ثلاث ثورات لم ننجزها بعد وهي: الثورة الدينية (بالقطع مع التراث)، والثورة الصناعية (استعارة التقنية) والثورة الديمقراطية (بناء الدولة الحديثة).

¹ -عبد الله العروي: الايديولوجيا العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص16.

د. نصيرة بوطغان الحداثة العربية المعطلة وممكّنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي "عبد الله العروي"

* قائمة المراجع:

أ- باللغة العربية:

- 1- جابر عصفور: ترجمة الايديولوجيا العربية المعاصرة، العربي، مجلة تصدرها وزارة الاعلام الكويت، ع455، اكتوبر 1996.
- 2- حسن حنفي: الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الأول، تنظيم الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، نوفمبر 1987.
- 3- عبد الرحمان بوقاف: التيارات الفلسفية الغربية الحديثة واثرها على الفكر العربي، اشراف اسماعيل زروخي وآخرون، منشورات المخبر الدراسات الفلسفية والتاريخية، جامعة منتوري قسنطينة، جويلية 2003، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.
- 4- عبد السلام بنعبد العالي: الفكر الفلسفي في المغرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1983.
- 5- عبد الله العروي: أزمة المثقفين العرب تقليدية أم تاريخانية؟، ترجمة. ذوقان قرقوط، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1978.
- 6- عبد الله العروي: الايديولوجية العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995.
- 7- عبد الله العروي: التحديث والديمقراطية (حوار)، مجلة آفاق، 1992، ع 4 - 3.
- 8- عبد الله العروي: التعايش بين التقليد والحداثة.. غير ممكن، حوار مجلة اطروحات، العدد 16، 1990.
- 9- عبد الله العروي: الحداثة وأسئلة التاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك الدار البيضاء، ط1، 2005.
- 10- عبد الله العروي: العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط4، 1998.
- 11- عبد الله العروي: مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، 1992، ج2.
- 12- عبد الله العروي: مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي بيروت، ط5، 1993.
- 13- عبد الله العروي: مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، ط9، 2011.
- 14- عبد الله العروي: مفهوم العقل، المركز الثقافي العربي المغرب، ط3، 2001.

د. نصيرة بوظغان الحداثة العربية المعطلة وممكنات انجازها: قراءة في مشروع المفكر المغربي " عبد الله العروي"

- 15- عبد الله العروي: من ديوان السياسة، المركز الثقافي العربي المغرب، (د.ت).
16- وميض مضي: قضايا اشكالية في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط3، 1995.

ب- باللغة الأجنبية:

1. André Lalande .Vocabulaire technique et critique de la philosophie. Ed. PUF Paris 1976.
- 2- Driss Mansouri: "Penseurs Maghrébins contemporains", Ed. Eddif .Maroc 1993.
- 3- Levinas Emmanuel. Le temps et l autre. Edition PUF. Quadrige. Paris. 1983.
- 4 - Raymond Aron. trois essais sur l'age industriel. Paris .1966.



□ دل العلاقة بين منطق القطيعة ومنطق التركيب
 في فكر "غاستون باشلار"
 بقلم: د. عبد الحق بولخراس
 □ امعة محمد لمين دباغين سطيف2

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على فكرة جدل العلاقة بين القطيعة والتركيب في فكر غاستون باشلار، أو ما يسمى بالإبستمولوجية التركيبية أو بالاحتوائية أو بالنسبوية، حيث توصل باشلار إلى مبتغاه العلمي والموضوعي في لم شمل القطيعة بمعناها المطلق والكامل، والقطيعة النسبية بمعناها المؤقت والتركيب والاحتوائي، وذلك برابط نفساني ذاتي.



د. عبد الحق بولخراس جدل العلاقة بين منطق القطيعة ومنطق التركيب في فكر "غاستون باشلار"

تمهيد:

نظرا للقراءات القديمة للفكر الباشلاري الضيقة والدوغماتية من جهة أخرى لدى القراء سواء على مستوى ذهنية عقول الطور الثانوي أم على مستوى العقول الأكاديمية، ارتأينا تصحيح بعض المفاهيم الباشلارية التي تتطلب منا الانفتاح أكثر فأكثر وليس منطق الانغلاق وعدم أقلمة المفاهيم حسب تغيرات العصر، ومن المفاهيم الفلسفية الباشلارية التي تداولتها الألسن الفلسفية والعلمية نجد القطيعة الإبستمولوجية ومفهوم التركيب المعرفي الباشلاري، فهناك من يقر بأنه تحدث عن القطيعة في ظل الانفصال المعرفي بين المعارف القديمة والمعارف الجديدة، والمعروف في فضاء الفلسفة والعلم أن باشلار اشتهر بفكرة "القطيعة الإبستمولوجية".

ولكن بحكم تطور فكر باشلار، تغيرت فكرة القطيعة الإبستمولوجية وخاصة وأن باشلار تحدث عن مفهوم التركيب الموسع والمتفتح هذا ما جعلنا نعيد قراءة فكر باشلار قراءة أكثر اتساعا وانفتاحا، ونظرا لبعض العقول التي ترى في الدراسات الباشلارية قد أنهيت على آخرها ولا يوجد الجديد في فلسفة العلم الباشلارية، في ظل اللافهم للفكر الباشلاري نريد أن نتساءل وبقوة التساؤل: هل القطيعة قطيعتان أم قطيعة واحدة؟ وإذا كانت هناك قطيعتان بالمعنى المزدوج، فهل هذا معناه توصل إلى منطق التركيب المعرفي؟ أم ماذا؟ وهل القطيعة بين العلوم معناه اللاتركيب أم ماذا؟ وهل باشلار جمع بين منطق القطيعة والتركيب في منظومة العلوم بأسرها؟

أولا- المعنى المطلق للقطيعة الإبستمولوجية بالمعنى الباشلاري:

في قراءتنا المعمّقة لباشلار في كتبه الموسوعية أدركنا أن القطيعة مستويات وليس مستوى واحد، ففي البداية نتحدث عن القطيعة الإبستمولوجية بالمعنى المطلق والضيق، أي القطيعة الكلية والكاملة بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية، فلقد أقر باشلار بضرورة الانفصال التام بينهما، وخاصة وأن باشلار من دعاة الموقف الانفصالي في تاريخ العلوم إبستمولوجيتها، وفي ظل كتاب باشلار المعنون: "تكوين العقل العلمي" يقر على مدى الفصل التام بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية وهنا يقول: "... وعلى غرار الصراع مع الخطأ، السلب

د. عبد الحق بولخراس جدل العلاقة بين منطق القطيعة ومنطق التركيب في فكر "غاستون باشلار"

والجدلية، الانفصال، يتضح لنا عمومية التصور الثوري، ويغدو التقدم العلمي مرهونا بتصحيح أفكار ذاتية، فروح العلم يتمظهر في تصحيح المعرفة وتوسيع نطاقها، وهذا ما يعرف (منطق التصحيح الذاتي)¹، فبغية الوصول إلى الموضوعية العلمية حسب باشلار وجب اتخاذ القطيعة العلمية مع الأفكار الذاتية والعامية، هذا حتى يتقدم العلم أكثر فأكثر، وفي إطار النظرية الانفصالية في تطور العلم حسب غاستون باشلار يقول: "العلم لا يخرج من الجهل كما يخرج النور من الظلام، لأن الجهل ليس بنية، بل يخرج من التصحيحات المستثمرة للبناء المعرفي السابق، حتى أن بنية العلم وإدراك أخطائه، والحقيقة العلمية هو تصحيح الوهم الأول المشترك"².

ففي ظل هذا الخطاب الباشلاري ندرك أن القطيعة بين المعرفة القديمة والمعرفة الجديدة، هي قطيعة كلية وليست مؤقتة، أي أن العلم معروف بثورة تصحيح دائم يهدف الوصول إلى معرفة علمية دقيقة بعيدة عن الأوهام العامية، وهنا أيضا ندرك تمام الإدراك مدى لغة النقد والتمحيص للأفكار السابقة وجعلها تتماشى والطرح الموضوعي اللاذاتي. وإذا تحدثنا عن القطيعة الإستمولوجية فإننا نستحضر باشلار في تطور العلم، فالقطيعة المعرفية تعني ما تعنيه أن التقدم العلمي مبني على أساس قطع الصلة بالماضي، وهو أيضا استمرار لأساليب الإضاءة الماضية التي تقوم على الاشتعال والاحتراق، بل القطيعة لكل تلك الأساليب، والجددة العلمية هي ثورة التقدم والانفعال عن ماضي العلم والإضافة الحقيقية الحرة³.

¹ - غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، ترجمة: أحمد خليل أحمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، سنة 1982، ص 11.

² - غاستون باشلار: الفكر العلمي الجديد، ترجمة: عادل العوا، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، سنة 1969، ص 99.

³ - يمني الطريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين - الأصول - الحصاد - الآفاق المستقبلية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سنة 2000، ص 392.

د. عبد الحق بولخراس جدل العلاقة بين منطق القطيعة ومنطق التركيب في فكر "غاستون باشلار"

وهنا يؤكد باشلار على أنه بإمكان التحليل النفسي للمعرفة العلمية أن يسمح للشخص بالتححرر من الأفكار المسبقة لمعتقداته السابقة¹، فمن خلال النصوص الباشلارية نقر إقراراً قاطعاً على مدى مطلقية وكلية القطيعة الإستمولوجية، فهذا على المستوى الأول لطبيعة القطيعة بالمعنى الضيق في إعلانه بالطرح الانفصالي بين المعرفة القديمة والمعرفة الجديدة، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في ظل القطيعة الإستمولوجية الباشلارية: هل القطيعة لها معنى واحد أم هناك معان أخرى، أم فما هي يا ترى؟

ثانياً- المعنى النسبي للقطيعة الإستمولوجية الباشلارية وصولاً إلى منطق التركيب:

الكثير من الدارسين والباحثين والطلبة في الجامعات والمعاهد من يعتقد أن القطيعة على مستوى واحد، أي هي القطيعة الكاملة والنهائية بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية، مع أن البحث المعمق للكتب الباشلارية يدرك المعنى الآخر للقطيعة بمعنى آخر مختلف عن القطيعة بالمعنى المطلق، والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هو المعنى الذي قدمه باشلار في طبيعة القطيعة؟ أي ما هي مستويات القطيعة الإستمولوجية بالمعنى الباشلاري؟ وكيف وصل باشلار إلى تحقيق مشروع التركيب المعرفي في الفكر العلمي المعاصر؟ كل هذه التساؤلات سنبحث عنها بلسان باشلار في نصوصه المعمقة التي توحى بالمعنى الآخر للقطيعة الإستمولوجية بالمعنى الجزئي والنسبي والاحتمالي، في البداية على مستوى الفكر العلمي، فالأمر مختلف عن القطيعة بالمستوى الضيق، حيث القطيعة بالمعنى الواسع قطيعة احتواء وشمول وتركيب بين العلم القديم والعلم الجديد، بدءاً من منظومة العلوم الصورية بما هي رياضية ومنطقية، وهنا توصل باشلار إلى فكرة التركيب بين الهندسة الإقليدية والهندسة اللااقليدية، أي أن هناك تركيباً بين الفكر الهندسي الإقليدي والفكر الهندسي اللااقليدي دون إقصاء طرف على طرف آخر.

¹ - جان فرنسوا دوريتي: فلسفات عصرنا (تياراتها، مذاهبها، أعلامها وقضاياها)، ترجمة: إبراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، سنة 1990، ص 307.

د. عبد الحق بولخراس جدل العلاقة بين منطق القطيعة ومنطق التركيب في فكر "غاستون باشلار"

وكما يضيف الدكتور "ساهر بوعزة" من خلال كتابه المسمى: "علم الهندسة" في إشادة ما توصل إليه باشلار في تحقيق ما يسمى القطيعة النسبية أو الجزئية محققا ما يسمى بالتركيب بين الهندسة الإقليدية والهندسات اللاإقليدية وهنا يرى "ساهر بوعزة" أن تعدد الهندسات يشكل ثورة كبيرة في علم الهندسة ثورة المفاهيم الجديدة على المفاهيم القديمة، ثورة القيم الرياضية الجديدة على القيم الرياضية القديمة هذه الرياضيات المعاصرة التي جاءت نتيجة أزمة الأسس الرياضية وصلت إلى حد القطيعة الإستمولوجية بين التصورين: التصور الإقليدي للمكان من جهة وتصور ريمان ولوباشفسكي للمكان من جهة أخرى، قطيعة احتواء. فأصبحت الهندسة الإقليدية جزءا من الهندسات اللاإقليدية، فقبل الهندسات اللاإقليدية كان الفكر العلمي أمام نسق واحد، ومع مصادرات ريمان ولوباشفسكي أصبح العقل البشري أمام ثلاثة أنساق، أمام ثلاثة أمكنة، وهو انتقال من فكر على فكر آخر أوسع واشمل¹. ومن جهة أخرى نجد المعنى النسبي للقطيعة الإستمولوجية تركيبيا بين العلم القديم والعلم الجديد فيما يخص منظومة العلوم الصورية وبالأخص جدل التركيب بين المنطق القديم والمنطق الجديد وفي هذا الصدد يقول باشلار في كتابه المسمى: "فلسفة الرافض" أن طبيعة البرهان مبني على تكافل المنطق والاختبار، حين بين أن مبدأ الهوية هو أساس المنطق الأرسطوطاليسي، بات من الآن فصاعدا من الهوامل، لأن بعض المواضيع العلمية يمكنها أن تكون ذات خصائص تتحقق من خلال أنماط اختبارية متعكسة، وفي ظل هذا الاختلاف القائم في مفهوم الهوية بين أرسطو وغير أرسطيين يضرب ريزر لنا مثلا لكي يقرب المعنى الأكثر من خلال ما يلي:

الكهربون (الكهروب) هو جزيء الكهربون هو ظاهرة تموجية لا شك أن هذين التعريفين المعبر عنهما على هذا النحو، وشرط أن تعطى لهذه العبارات تماما معناها العلمي الدقيق، إنما هما تعريفان يستبعد أحدهما عن الآخر، إنهما يتنافيان لأن لهما الفاعل عينه والمحمولات التي تتناقض تماما مثلما يتناقض العظم واللحم والفقاريات واللافقاريات، لكنه من الواقع أن

¹ - ساهر بوعزة: علم الهندسة - بين العلماء والفلاسفة إلى ما بعد الأزمة - دار القرويين، الدار البيضاء، ط1، سنة 2002، ص ص (35 - 37).

د. عبد الحق بولخراس جدل العلاقة بين منطق القطيعة ومنطق التركيب في فكر "غاستون باشلار"

الشكل المجوهر جدا، الواقعي إلى أبعد الحدود، وهو الذي ينتج التناقض، فالفكر الواقعي يضع الفاعل قبل المحمولات في حين أن الاختبار في الميكروفيزياء ينطلق من المحمولات البعيدة، أي فقط على التنسيق بين شتى تجليات المحمول الواحد¹.

وحتى نحيط بالمعنى النسبي للقطيعة الإستمولوجية بالمعنى التركيبي المفتوح الباشلاري وجب أن نؤكد خطابنا هذا بنص باشلاري مؤداه: "إن قلقا يرينا إذن على الفيزياء الرياضية وعلى الهندسة أنهم يخشون دائما أن تنضم موضوعة جديدة بصورة مفاجئة إلى العلم فتخلق فيه الازدواج، وأن الاحتفاظ بنوع من الشك الخفي المفتوح على ماضي المعرفة البحتة، وهو أيضا موقف يجاوز ويمدد ويضخم الحيطنة (الديكارتيّة)، وهذه الحيطنة تستحق أن تسمى (اللاديكارتيّة) بنفس معنى أن (اللاديكارتيّة) هي دائما (ديكارتيّة) متممة"².

وهذا ما يسمى حقيقة القطيعة النسبية الاحتوائية بين الفكر الديكارتي والفكر اللاديكارتي، حيث أن اللاديكارتيّة في جديدها دوما هي تكملة وإضافة وإثراء وإغناء للأفكار الديكارتيّة القديمة وليس حذفًا ونفيًا مطلقًا لما سبق من الأفكار وحتى نؤكد مدى نسبية واحتوائية القطيعة الإستمولوجية الباشلارية وجب أن نعمق النظر الفلسفي في جدل تركيب منظومة العلوم الفيزيائية وبالأخص نركز على مدى القطيعة النسبية بين دور العقل والتجربة في بناء المعرفة وتطويرها قدما نحو الأمام بالفهم الباشلاري والذي يعرف باسم "العقلانية التطبيقية"، فهذا منتهى الفهم التركيبي الاحتوائي بين منطق العقل ومنطق التجربة في بناء وتطوير المعرفة الإنسانية وفي هذا يقول باشلار: "إن التجربة دون قوانين واضحة ودون قوانين متناسقة ودون قوانين استنتاجية لا يمكن افتكارها ولا تدريسها، وأن عقلانية دون أدلة حسية، لا يمكنها أن تقنعنا اقتناعا تاما"³.

¹ - غ. باشلار: فلسفة الرفض - مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد - ترجمة: أحمد خليل أحمد، دار الحداثة، ط1، سنة 1985، ص ص (125 - 126).

² - غ. باشلار: الفكر العلمي الجديد، مرجع سابق، ص 162.

³ - غ. باشلار: فلسفة الرفض، مرجع سابق، ص 08.

د. عبد الحق بولخراس جدل العلاقة بين منطق القطيعة ومنطق التركيب في فكر "غاستون باشلار"

فباشلار يبين أن التجريبية لوحدها لا تساوي شيئاً، وأن العقلانية ليس لها قيمة معرفية دون وجود التجربة، فقيمة بعضهما البعض هي أساس تطور العلم، وهنا نتلمس مدى القطيعة النسبية أو الاحتوائية بمعنى التركيب المعرفي في الفكر الفيزيائي في طبيعة المنهج العلمي المتبع في الوصول إلى حقيقة العلم، فحسب باشلار الحقيقة ليس لها حدود، بل مفتوحة على مصراعها ما دامت الأزمات تتوالد في ميدان العلم، باعتبار أن العلم مرتبط بتطور وسائلنا ومناهجنا المعرفية.

ثالثاً- مفهوم القطيعة والتركيب بمنطق الاختلاف والتشابه بالمنظور الباشلاري فهما سيكولوجيا:

فمن خلال عرضنا لمفهوم القطيعة بالمعنى المطلق والقطيعة بالمعنى الجزئي أو النسبي أو ما يسمى بالتركيب المعرفي في فهم الإستمولوجيا الباشلارية تبين لنا أن هناك أوجه الاختلاف والتمايز بين مفهوم القطيعة الكاملة والقطيعة النسبية بمعنى التركيب، حيث تلمسنا مدى الفرق الواضح للعيان في إقرار باشلار أن حقيقة القطيعة المطلقة خاصة بالفصل بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية وهذه نصوص باشلارية كثيرة توجي بمنطق هذا الفرق الشاسع بينهما، وفي ظل هذا الاختلاف نجد باشلار يقول: "على الفكر العلمي أن يكون موضوعياً، وأن يكون عاماً بقدر ما يستطيع ذلك وحين يتيح له الواقع ذلك"¹. والمقصود بما هو عام ليس العام بالمعنى الذاتي الشائع، إنما المقصود بالعام ما هو تعميم علمي دقيق، بحيث الموضوعية تتأسس بالفصل التام بين ما هو عامي وما هو علمي، فهناك فرق كبير وشاسع بين القطيعة المطلقة والقطيعة النسبية بمعنى التركيب، حيث يبين أن تاريخ المعرفة يمتاز بالقطيعة، لا تعرف التوقف مثلما هناك تحول في حياة الفرد، إنها طفرة وثورة، إن تاريخ المعرفة والعلم يشير إلى أنه لا توجد إستمولوجيا ما مستمرة، لأن الفكر العلمي يعرف نبضات في تاريخه ومساره غير منتظرة².

¹ - يمني الطريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين.....، ص 393.

² - باتريك هيلي: صور المعرفة لفلسفة العلم المعاصرة، ترجمة: نور الدين الشيخ عبيد، مراجعة: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، سنة 2008، ص 176.

د. عبد الحق بولخراس جدل العلاقة بين منطق القطيعة ومنطق التركيب في فكر "غاستون باشلار"

وهذا الأمر جعلنا نفهم أن القطيعة النسبية أو التركيب في تاريخ الفكر العلمي المعاصر مستمرة وقابلة للمراجعة، عكس ما رأيناه في القطيعة المطلقة بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية. كذلك باشلار في ظل العلاقة الوطيدة والاتصالية بين القطيعة المطلقة والقطيعة النسبية التركيبية بين أن التحليل النفسي للفكر العلمي تحليلاً جدلياً، وفي هذا الصدد يقول باشلار: "أما بعد التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية، فقد بات بوسعنا أن نعرف مقدار الجبور العميق الناشئ عن الاعتراف بالأخطاء الموضوعية"¹.

فهمزة وصل وترباط وتداخل بين منطق القطيعة المطلقة والقطيعة النسبية التركيبية إنما يتجلى في الجانب النفسي (السيكولوجي)، الذي يشكل دوراً عظيماً في لم شمل المعرفة وتقويمها وجعلها موضوعية بعد قراءات نفسانية للفكر العلمي ككل وهذا حسب ما توصلنا إليه في قراءتنا المعاصرة للفكر الباشلاري المتفتح دوماً.

خاتمة:

ختاماً توصلنا إلى أن فكرة جدل العلاقة بين القطيعة والتركيب في فكر غاستون باشلار جاءت على أساس منطق تصحيح النظرة الضيقة لمفهوم القطيعة الإستمولوجية، وذلك بتوسيع مفهومها من منطق المطلقية والكلية إلى منطق النسبية والجزئية، فوجدنا أن مفهوم القطيعة الإستمولوجية بالمعنى الباشلاري لها معان واسعة وليست ضيقة، حيث المعنى الأول يتجلى في الفصل التام بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية، أما المعنى الثاني يتجلى في الفصل النسبي أو الجزئي بين المعارف العلمية دون إقصاء معرفة علمية على أخرى، وهذا ما أدى بباشلار إلى الحديث عن منطق التركيب المعرفي، حيث يهنا المفهوم الواسع والمتفتح لمفهوم القطيعة الإستمولوجية ربط باشلار ربطاً نفسياً بين القطيعة والتركيب، وحتى وإن كان اختلافاً بينهما، إلا أن هذا الاختلاف أسس لمنطق العلاقة التكاملية بينهما دون إلغاء طرف على طرف آخر.

¹ - غ. باشلار: النار في التحليل النفسي، مرجع سابق، ص 92.

د. عبد الحق بولخراس جدل العلاقة بين منطق القطيعة ومنطق التركيب في فكر "غاستون باشلار"

* قائمة المراجع:

- 1- إبراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، سنة 1990. باتريك هيلي: صور المعرفة لفلسفة العلم المعاصرة، ترجمة: نور الدين الشيخ عبيد، مراجعة: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، سنة 2008.
- 2- جان فرنسوا دوريتي: فلسفات عصرنا (تياراتها، مذاهبها، أعلامها وقضاياها)، ترجمة: 3- ساهل بوغزة: علم الهندسة - بين العلماء والفلاسفة إلى ما بعد الأزمة - دار القرويين، الدار البيضاء، ط1، سنة 2002.
- 4- غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، ترجمة: أحمد خليل أحمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، سنة 1982.
- 5- غاستون باشلار: الفكر العلمي الجديد، ترجمة: عادل العوا، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، سنة 1969.
- 6- غاستون باشلار: فلسفة الرفض - مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد - ترجمة: أحمد خليل أحمد، دار الحدائق، ط1، سنة 1985.
- 7- يمى الطريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين - الأصول - الحصاد - الآفاق المستقبلية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سنة 2000.

الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات التواصل الاجتماعي

بقلم: أ. ریحانة بلوطي

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

ملخص:

تعتبر الهوية أحد المقومات الأساسية لتركيبية الفرد، من خلال جملة التراكمات التي يحصلها عبر حياته وتشكل ملامح شخصيته في إطار المجتمع الذي يعيش فيه، لذا فإن منطلقنا في هذه المداخلة يرتكز بالأساس على هوية الفرد في مواقع التواصل الاجتماعي بالتحديد الهوية الافتراضية وما ينجر عنها من صراع داخلي بين الأنا أو الذات الاجتماعية من جهة ومن جهة أخرى بين تحقيق اللذة أو الذات والصورة التي يعجز عنها الفرد أو لا يجدها في هويته الحقيقية باللجوء إلى ما أتاحتها مواقع التواصل الاجتماعي له من بيانات متعددة وغير مرتبطة بالضرورة بواقعه الحقيقي في إطار ما يعرف بالعالم الافتراضي.

أريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات التواصل الاجتماعي

أولا- إشكالية الدراسة:

أتاحت تطبيقات الإعلام الجديد خلق فرصة لميلاد نوع جديد مغاير تماما للمجتمعات التي يولد الإنسان ويتعرع ويكتسب فيها مجموعة من العادات والتقاليد والقيم تراكمت عبر الزمن مشكلة شخصيته وهويته، وظهرت المجتمعات الافتراضية التي تختلف في سماتها وخصائصها عن المجتمعات الحقيقية، يتعامل فيها الفرد مع غيره من الأفراد الذين يقومون بوضع مجموعة من الخصائص والمقومات للتعريف بأنفسهم وتكون هذه الأخيرة مغايرة ولا تتطابق مع معلوماته الشخصية ، من اجل أن يعرف بنفسه عن طريق الهوية الافتراضية التي يستخدمها للتواصل مع الآخرين.

لقد ساهمت الإنترنت والتي تعد أحد منجزات الثورة الاتصالية في تشكيل فضاء جديد وهو الفضاء الرمزي الذي يعد إطارا جديدا لعلاقات اجتماعية عابرة للقوميات والأماكن، فالمتعارف عليه أن الجماعة الاجتماعية مجموعة من الأفراد يجمع بينهم قيم مشتركة وشعور بالانتماء يعيشون في بيئة جغرافية مكانية واحدة تحكمهم قيم وأعراف يجتمعون عليها ويتفقون فيما بينهم على وسائل الردع وقواعد الضبط الاجتماعي التي تحكم ما يحدث بينهم من علاقات، ولكن الإنترنت ساهمت في تشكيل علاقات تتجاوز الإطار الفيزيقي المكاني وتفاعل الوجه بالوجه وشكل مستخدموه هوياتهم المختلفة بخصائص وسمات مختلفة تماما في نقط كثيرة عن هوياتهم الحقيقية.

إن استخدام الهوية الافتراضية في التواصل بين الأفراد قد خلق تضاربا في أنماط الذات التي يتحلّى بها كل واحد منهم بين الذات الاجتماعية والتي يراها به أفراد المجتمع والتي يمكن من خلالها بناء معالم الهوية الاجتماعية في المقابل فإن الاستخدام المتزايد لوسائل التواصل الاجتماعي أدى إلى تشكل ازدواجية في الهوية بل وحتى أكثر من ذلك من خلال خلق حسابات كثيرة على مواقع التواصل الاجتماعي وكل واحد منها يجسد هوية مختلفة عن الأخرى وينشأ من خلالها الذات المثالية التي تكون بعيدة عن تصورات ما يعرفه عنا المجتمع وعن الملامح التي ترسمها الذات الاجتماعية لكل واحد منا.

من هنا فأننا نحاول معالجة هذا الموضوع من خلال التساؤل التالي :

أ.ريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات الواصل الاجتماعي

ما هي ملامح الهوية الافتراضية؟ وكيف يكون تأثيرها على الذات الاجتماعية للفرد؟

ثانيا- مفهوم الذات:

يستعمل مصطلح الذات عادة ليشير إلى كيفية تفكير الفرد حول تقييم وإدراك ذاته إذ من أجل ان يكون الفرد واعيا بذاته فإنه يجب أن يكون مدركا لذاته جيدا . لذا يمكن تعريف مفهوم الذات وفقا لما زودنا به Baumeister من وصف دقيق بأنه معتقدات الفرد حول ذاته التي تتضمن صفاته الجسمية والنفسية والاجتماعية ووعي الفرد على ما هو عليه من صفات. وهذا الصدد توجع علماء النفس نحو معرفة كيف ينشأ مفهوم الذات لدى الأفراد وتعرف أنواعه ومكوناته ومن ضمن هؤلاء العلماء عالم النفس لويس الذي اقترح تطور مفهوم الذات من جانبين:

* الذات الوجودية : وهي عبارة عن إحساس الفرد الوجودي بأنه كائن منفصل ومتميز على الآخرين والوعي بالاتساق والثبات الذاتي، وهذا الوعي يبدأ منذ الطفولة وينشأ بوصفه جزءا من علاقة الطفل بعالمه الخارجي.
* الذات الفئوية: تختلف الذات الفئوية عن الذات الوجودية ، فبينما يدرك الطفل ذاته في الفئة الأولى فإنه بمرور الوقت يصبح واعيا بأنه ينتمي إلى فئة معينة.

وقد قسم عالم النفس كارول روجرز بأن مفهوم الذات له ثلاث مكونات مختلفة:

- وجهة نظر الفرد حول ذاته.
 - تقدير الذات أو القيمة التي يضعها الفرد لذاته.
 - الذات المثالية أو ما يتمناه الفرد.¹
- وحدد الباحثون أربع أنواع من الذات والتي اصطلح على تسميتها فيما بعد بمستويات الشخصية وهي على النحو التالي:

1- سول ماكلاود، سيكولوجية مفهوم الذات، ترجمة علي عبد الرحيم صالح، شبكة العلوم النفسية العربية

أ.ريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات التواصل الاجتماعي

أ- الذات الواقعية : وهي التي يدرك بها الفرد إمكانياته وقدرته ومكانته والأدوار المناط بها في العالم الخارجي، وهي تتضمن الاتجاهات الشعورية للفرد نحو نفسه وتراوح هذه الاتجاهات بين قطبين أحدهما سالب وبتمثل في رفض الذات أو السخط عليها، والثاني موجب ناتج عن تقبل الذات والرضا عنها.

ب- الذات الاجتماعية: وهي الذات الخاصة كما نعتقد أن يراها الآخرون وقد لا تكون هذه الصورة مطابقة للواقع الذي يراها به الآخرون فعلا. فإن لهذا المستوى تأثيرا مباشرا على سلوكنا والطريقة التي نجتهد بها لنثبت الهوية. وتقوم الذات الاجتماعية على حاجتين هما الحاجة للأمان والحاجة لاحترام الذات مرتبطتان بعلاقة جدلية فكلما زاد احترام الذات زاد الإحساس بالأمان وكلما ارتفع تقدير الشخص لذاته والعكس صحيح . لذلك تعتبر الذات الاجتماعية هي الهوية الفردية كما يراها الآخرون فينا وهي مجموعة اتجاهات الآخرين نحونا والتي تساهم في تكوين فكرتنا عن من نكون أي عن هويتنا.

ج- الذات الظاهرية: يفسر الفرد في الغالب القيمة الاجتماعية للذات بناء على خبراته الشخصية فهو يحول اتجاهات الآخرين نحو طبقا لمذكراته، وهذه الوظيفة هي التي تقوم بها الذات الظاهرية التي تعتبر وسيلة الفرد أو طريقته في إدارته لهويته ، وتنظم اتجاهاته نحو الآخرين. وتسمى الذات الظاهرية لأنها الوجه الوحيد من الهوية التي يدركها الشخص حقيقة .

د-الذات المثالية: وهي النموذج الذي يرغب الفرد او يأمل أن يكون عليه ، ويتوقف هذا النموذج على مستوى الطموحات ومع تناسبه مع قدرات الفرد والفرص المتاحة له لتحقيق ذلك.¹

ثالثا- شبكات التواصل الاجتماعي:

لقد عرفت الشبكات الاجتماعية علي أنها " مجموعة من المواقع علي شبكة الإنترنت ظهرت مع الجيل الثاني للويب web 2 تتيح التواصل بين الأفراد في بنية مجتمع افتراضي يجمع

¹ محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص 45.

أ.ريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات التواصل الاجتماعي

بين أفرادها اهتمام مشترك أو شبة انتماء (بلد - مدرسة - جامعة - شركة ...الخ) يتم التواصل بينهم من خلال الرسائل أو الاطلاع علي الملفات الشخصية ,ومعرفة أخبارهم ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض . وهي وسيلة فعالة للتواصل الاجتماعي بين الأفراد سواء كانوا أصدقاء نعرفهم في الواقع أو أصدقاء عرفتهم من خلال السياقات الافتراضية¹ وتعرف أيضا بأنها منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشارك فيها بإنشاء موقع خاص به، و من ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها أو جمعه مع أصدقاء الجامعة أو الثانوية.²

وإجرائيا: الشبكات الاجتماعية على أنها نوع من الإعلام الجديد وتصنف ضمن مواقع الجيل الثاني للويب ويب 2.0 وهي شبكات اجتماعية تفاعلية فخاصيتها الأساسية بناؤها التفاعل حيث تتيح التواصل لمستخدميها في أي وقت يشاءون وفي أي مكان من العالم، وقد ظهرت كأحد تطبيقات شبكة الإنترنت منذ سنوات قليلة فغيرت في مفهوم التواصل والتقارب بين الشعوب، واكتسبت اسمها الاجتماعي كونها تعزز العلاقات بين البشر، وتعدت في الآونة الأخيرة وظيفتها الاجتماعية لتصبح وسيلة تعبيرية وخدمية، وتمكن الأصدقاء القدامى من الاتصال بعضهم البعض كما تعرفك بأخرين لم تكن تعرفهم من قبل، إضافة إلى التواصل المرئي والصوتي وتبادل الصور وغيرها من الإمكانيات التي توحد العلاقة الاجتماعية بينهم، ولعل أبرز شبكات التواصل الاجتماعي الفيس بوك، تويتر، واليوتيوب.

رابعاً- مفهوم الهوية:

بقدر ما يبدو مفهوم الهوية للوهلة الأولى أنه بسيط وواضح، بقدر ما أنه معقد وغامض وعصي على الإمساك، لذلك يجب علينا توضيح رؤيتنا ماذا نقصد بمفهوم الهوية، في إطار محدد يبين من ناحية وضع الهوية ضمن تعدد الهويات الفائضة، التي برزت تحت

³ وليد رشاد زكي، نظرية الشبكات الاجتماعية من الإيديولوجيا إلى الميثودولوجيا، المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني، مارس 2012، ص3.

⁴ - راضي زاهر، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، العدد 15، جامعة عمان الأهلية، عمان، ص23.

أ.ريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات الواصل الاجتماعي

مسميات الهوية الدينية، الهوية الثقافية، الهوية القومية، الهوية المذهبية، الهوية العشائرية والطائفية، والتي أدت إلى مشكلات تتحدث عن ضياع الهوية.¹

يشير لفظ الهوية إلى عدة مجالات من التفكير منها الفلسفة و الميتافيزيقيا، ثم المنطق، وإلى العلوم النفسية والاجتماعية. فمفهوم الهوية استعمل مصطلحا في المنطق والفلسفة وفي التصوف بالنسبة لتراثنا القديم، واستعملت في علم الاجتماع الحديث كما استعملت في الفلسفة الحديثة، وهنا نسجل ملاحظتين، الأولى تتجلى في أن فلاسفتنا القدماء اختاروا في التعبير عن اللفظ اللاتيني EDENTITAS لفظ الهوية، صاغوه من لفظ الضمير (هو) بزيادة ياء النسب وتاء المصدرية، وهذا الضمير يدل على الغائب، ويستعمل للربط بين الموضوع والمحمول في لغة المناطقة. فكأن الهوية المشتقة منه هي إثبات شيء غائب عن الحس، شاخص بمظاهرة فقط، وهكذا تظل الهوية مجرد وجود اعتباري تشخصه آثار وأحداث وأفعال.²

1- الهوية سوسولوجيا:

يفسر معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية مفهوم الهوية عموما بوصفه يشير إلى: "عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره".³ وتعني كلمة هوية Identity حقيقة الشئ التي تشمل على صفاته الجوهرية وتميزه عن غيره ويتميز كل مجتمع بشخصية ثقافية تتمثل في مجموع الاساليب التي يمارس بها انسانيته وتشمل العادات والمعتقدات والفلسفة والتراث والانتاج الفنى الفكرى وفيها يجد الفرد وسائله المفضلة للتعبير عن ذاته.⁴

فالهوية هي كل ما يشخص الذات ويميزها، فالهوية في الأساس تعني التفرد، والهوية هي السمة الجوهرية العامة لثقافة من الثقافات، والهوية ليست منظومة جاهزة ونهائية، وانما

¹ - وجيه كوثراني، هويات فائضة.. مواطنة منقوصة، دار الطليعة بيروت لبنان، ط 1، 2004.

² - عبد الخالق بدري، الجماعات الافتراضية ومسألة الهوية، الجزء الثاني، مركز الدراسات والأبحاث والقيم ، المغرب الرابط:

<http://www.alqiam.ma/Article.aspx?C=5654> تم استرجاعه بتاريخ: 2014/10/12.

³ - أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1993م، ص 206.

⁴ - فؤاد البكري، الهوية الثقافية العربية في ظل ثورة الاتصال والإعلام الجديد، ورقة قدمت في أبحاث المؤتمر الدولي الإعلام الجديد تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، 2009، ص379.

أ.ريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات الواصل الاجتماعي

هي مشروع مفتوح على المستقبل، أي أنها مشروع متشابك مع الواقع والتاريخ، لذلك فإن الوظيفة التلقائية للهوية هي حماية الذات الفردية والجماعية من عوامل التعرية والذوبان،¹ إن هذا التصور لمفهوم الهوية يجعلنا تمييز بين تأويلين لمعنى الهوية:

* التصور الستاتيكي أو الماهوي للهوية، الذي يرى أن الهوية، عبارة عن شيء اكتمل وانتهى وتحقق في الماضي، ففي فترة زمنية معينة، أو نموذج اجتماعي معين وان الحاضر ما هو إلا محاولة أدراك هذا المثال وتحقيقه .

* التصور التاريخي والديناميكي للهوية الذي يرى أن الهوية شيء يتم اكتسابه وتعديله باستمرار، وليس أبدا ماهية ثابتة، أي أن الهوية قابل للتحويل والتطور، وذلك لأن تاريخ أي شعب هو تاريخ متجدد ومليء بالأحداث والتجارب، فأن الهوية الأصلية تتغير باستمرار، وتكتسب سمات جديدة، وتلفظ أخرى وهذا يعني أن الهوية شيء ديناميكي وهو سلسلة عمليات متتابعة كما أنها تتحول مع الزمن فهي ديناميكية، وهي ترتبط بالأثر الذي تركه الحضارة عبر التاريخ، ويمكن النظر إلى الهوية في صورتها الديناميكية على أنها مجموعة من المقررات الجماعية التي يتبناها مجتمع ما، في زمن محدد للتعبير عن القيم الجوهرية (العقائدية) والاجتماعية والجمالية والاقتصادية والتكنولوجية والتي تشكل في مجموعها صورة متكاملة تعبر عن ثقافة هذا المجتمع²

2- الهوية فلسفيا:

الهوية هي الذاتية والخصوصية وهي جماع القيم والمثل والمبادئ التي تشكل الأساس الراسخ للشخصية الفردية أو الجماعية، وهوية الفرد عقيدته ولغته وثقافته وحضارته وتاريخه، الهوية هي ما به يكون الشيء هو مما يحقق ذاته ويحدد تميزه.³

¹ - بن عيسى محمد المهدي، كانون جمال، مستخدمي الانترنت في المجتمع الجزائري بين الهوية المستقلة والهوية المغتربة، ورقة قدمت في المنتدى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، ص 453، 454.

² - عبد الفتاح حافظ وآخرون علم النفس الاجتماعي، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، 2000 ص 128

³ - محمد عابد الجابري، العولمة ومسألة الهوية بين البحث العلمي والخطاب الأيديولوجي، مجلة فكر ونقد، عدد 22، ص 23.

أريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات التواصل الاجتماعي

3- الهوية ثقافياً:

أن الهوية الثقافية كيان يصير ويتطور، وليس معطى جاهز ونهائي، فهي تصير وتتطور أما في اتجاه الانكماش، أو في اتجاه الانتشار، وهي تغني بتجارب أهلها ومعاناتهم، انتصاراتهم وتطلعاتهم، وأيضاً باحتكاكها سلب وإيجاب مع الهويات الثقافية الأخرى، التي تدخل معها في تباين من نوع ما. وعلى العموم تتحرك الهوية الثقافية في ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد، وكما يأتي:

* الفرد داخل الجماعة الواحدة، هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة عبارة عن أنا لها آخر داخل الجماعة نفسها، أنا تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من الآخر القبيلة، المذهب والطائفة أو الديانة، التنظيم السياسي أو الجماعي.

* الجماعات داخل الأمة، هم كالأفراد داخل الجماعة، لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة، لكل منها أنا خاصة بها وآخر من خلال وعبرة على نفسها بوصفها ليست إياه.

* الشيء نفسه يقال بالنسبة إلى الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى غير أنها أكثر تجريدًا، وأوسع نطاقًا، وأكثر قابلية على التعدد والتنوع والاختلاف.

4- الهوية ذات الأبعاد المتعددة:

طالما أن الهوية تنتج عن بناء اجتماعي فإنها تكتسب طابع التعقيد الاجتماعي، وإذا أردنا اختزال الهوية الثقافية إلى تعريف بسيط "صافي" فهذا يعني أننا لا نأبه بتنوع المجموعة الاجتماعية، ليس هناك جماعة أو فرد لا يسبق له أن يكون حبيس هوية ذات بعد واحد، الهوية تتميز بطابعها المتقلب الذي يمكن أن يخضع لتأويلات واستخدامات مختلفة.

واللجوء إلى مفهوم "الهوية المزدوجة" يندرج في إطار جهود التصنيف المذكورة سابقاً. والمفهوم "السليبي" للهوية يسمح بالتقليل من شأن بعض الجماعات من الناحية الاجتماعية، لا سيما السكان المنحدرين من الهجرة. وعلى العكس، فإن من يريد رد الاعتبار لهذه المجموعات تراه يبني، خطأ، خطاباً يشيد بالهوية المزدوجة باعتبارها تعني الهوية. لكن مهما كان التصور، إيجابياً أم سلبياً، لـ "الهوية المزدوجة" المفترضة فإن مصدر الهويتين ناتج عن الخطأ التحليلي نفسه.

أريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات الواصل الاجتماعي

الواقع أن الفرد يدمج في ذاته، بشكل تكميلي، تعددية المرجعيات الخاصة بالهوية المرتبطة بتاريخ هذا الفرد. الهوية الثقافية تحيل إلى مجموعات ثقافية مرجعية لا تتوافق حدودها. والفرد يعي أنه يحمل هوية ذات هندسة متغيرة تبعاً لأبعاد المجموعة التي يرجع إليها في هذه الحالة العلائقية أو تلك، هذه الهوية ذات الأبعاد المتعددة، لا تسبب أية مشكلة، وهي مقبولة.

المشكلة بالنسبة للبعض هي "الهوية المزدوجة" التي يقع قطبا مرجعيتها على المستوى نفسه. ومع هذا فلا نرى سبباً في أن القدرة على دمج عدة مرجعيات خاصة بالهوية في هوية واحدة يمنعها من العمل في هذه الحالة، إلا إذا قامت سلطة مهيمنة بمنعها باسم الهوية الخاصة.

حتى في حال دمج مرجعيتين للهوية لهما المستوى نفسه في هوية واحدة فإن المستويين نادراً ما يكونا متساويين لأنهما يحيلان إلى مستويات تكاد لا تكون دائماً متساوية في إطار حالة معينة.

5- تشكل الهوية عند مارشا (Marcia. J.E):

وفي محاولة لتقديم صورة أوضح وأكثر إجرائية لتشكيل الهوية، قام جيمس "مارشا" بالعديد من الدراسات انتهت إلى تحديد أبعاد الهوية في مقارنته حول الأنا والهوية وقد حدد الأنواع الأربعة التالية :

أ- تحقيق هوية الأنا:

تحقيقها نتيجة لخبرة الفرد للأزمة من جانب ممثلة في مروره بفترة مؤقتة من الاستكشاف أو التعليق المتضمن اختبار القيم والمعتقدات والأهداف والأدوار المتاحة وانتقاء ما كان ذا معنى أو قيمة شخصية واجتماعية منها، ثم التزامه الحقيقي بما تم اختياره من جانب آخر.

أ.ريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات التواصل الاجتماعي

ب- تعليق هوية الأنا:

يفشل المراهق في رتبة التعليق من اكتشاف هويته، إذ تستمر خبرته للأزمة ممثلة في استمرار محاولته لاختبار وتجريب الخيارات المتاحة دون الوصول إلى قرار نهائي ودون إبداء التزام حقيقي بخيارات محددة منها، مما يدفعه إلى تغييرها من وقت إلى آخر في محاولة منه للوصول إلى ما يناسبه، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر تغيير مجال الدراسة أو المهنة أو الهويات أو الأصدقاء. وهذا ما يحدث كثيرا في مواقع التواصل الاجتماعي أين يقدم العديد من البدائل للهوية في أوقات متعددة من خلال خيارات يضعها الشخص دون التزام بواحدة منها أو جعلها ملمحا عاما للتواصل مع الآخرين.

ج- انغلاق هوية الأنا:

يرتبط انغلاق هوية الأنا بغياب الأزمة متمثلة في تجنب الفرد لأي محاولة ذاتية للكشف عن معتقدات وأهداف وأدوار اجتماعية ذات معنى أو قيمة في الحياة مكتفيا بالالتزام والرضا بما يحدد له من قبل قوى خارجية كالأسرة والمجتمع. وهذا إذا كان الفرد خاضعا لمبادئ معينة أو سلطات أكثر منه سواء من حيث ممارسة الرقابة أو بالحرية، وفي هذا الدرجة يكون الفرد على درجة من الوعي والنضج الفكري الذي يحدد فيه ملامحه الثابتة في التواصل مع الآخرين

د- تشتت هوية الأنا:

يرتبط تشتت هوية الأنا بغياب أزمة الهوية متمثلا في عدم إحساس الفرد بالحاجة إلى تكوين فلسفة أو أهداف أو أدوار محددة في الحياة من جانب، وغياب الالتزام بما شاءت الصدفة أن يمارس من أدوار من جانب آخر. ويحدث ذلك كنتيجة لتلافي الفرد في هذا النمط للبحث والاختبار كوسيلة للاختيار المناسب، مفضلا التوافق مع المشكلات أو حلها عن طريق

أ.ريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات التواصل الاجتماعي

تأجيل وتعطيل الاختيار بين أي من الخيارات المتاحة¹. وهنا يكمن الصراع الهوياتي بين الأنماط أو الأنواع التي يقدمها في كل مرة.

خامسا- الهوية الافتراضية:

انتشر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت في العالم، بوتيرة فاقت كثيرا من التوقعات، وأصبح «فيس بوك» و«تويتر»، ضمن السلوك اليومي لكثير من مستخدمي الإنترنت، سواء عبر أجهزة الكمبيوتر أو الأجهزة الدفترية، وكذلك عبر الهواتف المحمولة. ونتيجة لقوة انتشار وسائل الإعلام الإلكتروني - الذي يصفه البعض بأنه «إعلام بديل»، الذي أصبح فضاء يوميا يضح بالمعلومات والآراء والصور والتفاصيل اليومية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية - تنهت كثير من الدول إلى هذا التحول، وعززت صفحات لها عبر مواقع التواصل، لتوثيق التواصل بين الناس.

ومن المسائل المركزية التي تناولها الباحثون بالدراسة علاقة "مواقع الشبكات الاجتماعية بالهوية الذاتية للفرد، فمواقع التواصل الاجتماعي تمثل مجالا يستعرض فيه الناس أنفسهم وذواتهم في فضائهم الصغير (الجداريات).

وقد تناول الباحثون هذه الأخيرة بالدراسة والتحليل من خلال جملة المؤشرات التي يختار المستخدم إبرازها أو إخفاءها والتي تكوّن ملامحه (كالجنس والعمر والدين والمدينة التي يعيش فيها... الخ) ويعتمد المستخدم استراتيجيات مختلفة للظهور إلى الآخرين كاختيار صورة دون أخرى لملحه وما يقبل أن يظهره عن حياته الخاصة وما يخفيه عن الآخرين. من هنا فإن مواقع التواصل الاجتماعي تتيح معرفة استراتيجيات بناء الهوية الذاتية من خلال دراسة التفاعل بين ما يسمى الهوية الواقعية والهوية الافتراضية².

¹ حمودة سليمة، أثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على الهوية النفسية لدى طلبة المرحلة الثانوية، دراسة ميدانية على عينة من طلبة ثانوية سعدان بمدينة بسكرة، مداخلة في الملتقى الوطني، ص329.

² الصادق الحمامي، كيف نفكر في مواقع الشبكات الاجتماعية، ورقة قدمت لندوة الشبكات الاجتماعية الافتراضية والشباب الإماراتي الواقع والتحديات، جامعة الشارقة، 2012، ص3.

أ.ريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات التواصل الاجتماعي

وأضافت إليزابيث ليندر أن الفيس بوك بات من المواقع التي يستخدمها الناس يومياً، وهم يكتبون ويضعون كل المعلومات التي تهمهم، إضافة إلى صورهم الشخصية وفي هذا السياق قالت الأخصائية في السياسات والشؤون الحكومية في «فيس بوك» إليزابيث ليندر، أن موقع التواصل «فيس بوك» «عالم واقعي وهوية حقيقية»، خصوصاً أنه يبين نمط تفكير الشخص، ومستواه الثقافي وأسلوب حياته، والكثير من التفاصيل التي تعد واقعية، وليست خيالية أو افتراضية.¹

فالهوية الافتراضية هي وليدة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي أو بالأحرى انضمام الفرد إلى المجتمع الافتراضي المتواجد في الفضاء السيبري والذي يفرض عليه أن يقدم بيانات هوية يتواصل بها مع الآخرين ويتفاعل بها مع مختلف الجنسيات والأعراق والديانات.

سادسا- أنماط الهوية الافتراضية... بين الذات والانفصام:

أدى اختلاف الأغراض والأهداف التي جعلت الأفراد يؤسسون لحسابات على الشبكة الاجتماعية إلى اختلاف الهويات التي يقدمها كل مستخدم للتعبير عن شخصيته، حتى وإن كانت هذه الأخيرة مجرد معطيات يتفاعل بها الفرد مع الآخرين. وبالتالي يمكن تقسيم هذه الهويات وفقاً لمرتادي شبكات التواصل الاجتماعي إلى النماذج التالية:

* النموذج الأول: المتخفي: ويتمثل في مجموعة المستخدمين الذين يسجلون أنفسهم ولا يفهمون مبدأ التواصل والتشابك، فيخفون صورتهم ولا يقدمون أية معلومات شخصية عنهم للأصدقاء الذين يدعونهم، وهم الذين قالت عنهم بالكاتبة الألمانية (إيلينا زنغر) والكاتب (خالد الكوطيط): "هؤلاء لا يفصحون عن هويتهم ويكتفون بالملاحظة وبالاطلاع على الصفحات الشخصية للمستخدمين الآخرين"²

* النموذج الثاني: ويتمثل في رفقاء الدراسة وتكون عادة الهويات التي يتعامل بها أصحاب هذا النموذج الهوية الحقيقية، فيما يختار البعض منهم الهوية الافتراضية وهنا تكمن الصعوبة في

¹ - ديانا أيوب، شبكات التواصل الاجتماعي تدمج الهوية الفردية والافتراضية، جريدة الإمارات اليوم، 2012.

² - محمد المنصور، مرجع سابق، ص04.

أ.ريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات التواصل الاجتماعي

إيجاد بعضهم ، وقد تتم الاستعانة ببعض البيانات التي يتيحها المستخدم على الصفحة الرئيسية الخاصة به كالمبلد والمؤسسة التي درس بها من أجل التعرف عليه.

* النموذج الثالث: ويتمثل في الأبوين لاشك أن الكثير من الآباء والأمهات لا يعرفون عن الفيس بوك ما يكفي، إضافة إلى أنهم لا يرغبون في خوض هذه التجربة الجديدة، لكن حرصهم على أولادهم يدفعهم في الكثير من الأحيان إلى التطفل على اهتمامات الأبناء والبنات بهذا التواصل الاجتماعي، والدخول إلى صفحاتهم وطلب صداقة أبنائهم، الذين يقومون بتشكيل مجاميع من الأصدقاء تحد من تدخلات الآباء في شؤونهم، وهنا يكون للآباء الخيار إما الظهور بالهوية الحقيقية لهم وفي هذه الحالة يكون الأبناء متخوفين من هذه الصداقة لتفادي الإحراج الذين يقعون فيه أو في الحالة الثانية ويظهر الآباء بالهوية الافتراضية أو المستعارة ويمكن لهم من خلالها الاطلاع على نشاطات أبنائهم الفيسبوكية.

* النموذج الرابع: الأصدقاء الحقيقيون هم أصدقاء بصرف النظر إن أضيفوا إلى العالم الافتراضي أو لا، فالصديق الحقيقي هو الصديق الذي نعرفه منذ وقت طويل. في هذه الحالة لا يحتاج المرء الفيس بوك للحفاظ على الصداقة. لكن ضم هؤلاء الأصدقاء إلى لائحة الأصدقاء على الفيس بوك هو أمر طبيعي، على الرغم من قلة أو عدم أهمية ما يمكن إضافته هناك حول هؤلاء الأصدقاء.¹

وما يمكن استخلاصه من خلال عرض النماذج المذكورة سابقا أن الهوية التي يتواصل بها الفرد مع بقية الأفراد تكون مبنية على أساس قناعة الفرد فمتى اختار الظهور بالهوية الحقيقية يمكن له فقط التصريح بكل بياناته الشخصية التي تتطابق حقيقة مع الواقع وهذا يتيح له التواصل بأريحية دون الحاجة إلى التحفظ أو الخوف من الغير، وإن هو اختار أن يستخدم بيانات أخرى لا تتطابق مع بياناته الحقيقية فهو هنا بصدد تكوين هوية افتراضية تتيح له التواصل وتحقيق ما يريد الوصول إليه من خلالها.

¹ - ساعد ساعد، التفاعل الثقافي والاجتماعي في شبكات التواصل، ورقة قدمت بالمركز الجامعي عين تموشنت، الجزائر.

أريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات التواصل الاجتماعي

سابعاً- الخصائص النفسية للشخصية والهوية الافتراضية:

من الصعب تحديد الخصائص التي تتمتع بها الشخصيات التي تختار الهوية الافتراضية للتواصل فيما بينها، وتكمن الصعوبة في أن الأمر يبقى وهمياً افتراضياً وخاضعاً للحالة النفسية التي يعيشها الفرد في المجتمع الافتراضي ، وبالتالي يمكن وضع مجموعة من الخصائص النفسية وهي كالتالي:

- الشخص الافتراضي يولد بهوية يختارها ويسمى بمحض إرادته بخلاف الشخص الطبيعي الذي لا خيار له في متى وأين يولد ولا في انتقاء جنسه أو اسمه الذي سيلزمه مدى الحياة.

- الهوية الافتراضية تجعل الشخص فيختار بيئته بل يمكنه صنع الوسط الذي يناسب مزاجه واهتماماته، حيث لا وجود للضغوط الأسرية المعهودة، ولا للأوامر والنواهي ولا الإكراه الذي بصورة ما على تكوين الشخصية حسب ما يراه علماء التحليل النفسي؛ فيقولون مثلاً "إن الكذب يتولد من الخوف" وليس هناك ما يخافه الشخص الافتراضي غير انقطاع الكهرباء أو عطل الحاسوب. وليس هناك دافعا للكذب. لم يكذب الشخص الافتراضي إذن؟ الجواب ليس بعيداً، فهناك عوامل تجعل الكذب يتسرب إلى المجتمع الافتراضي، منها أن الفرد يطمع في تحقيق أربٍ ما في واقعه عن طريق اتصاله بسكان لعالم الجديد، محاولاً استغلال جو الثقة المتبادلة بين أفراد المجموعة الافتراضية التي ينتهي إليها¹.

- الهوية الافتراضية توجب على الشخصية الافتراضية التعامل مع برامج المحادثة الحاسوبية وتطبيقات الشبكة العنكبوتية ومواكبة تطوراتها أولاً بأول هذا ما يفرض على الفرد إتقان مهارة تقديم نفسه للأفراد الذين يتفاعلون معه ، لأنه لا يمكنهم إدراكه إلا من خلال البيانات التي يقوم بتقديمها لهم على أنها تمثل هويته، وفي الواقع قد تعكس صورته الحقيقة وغالباً ما تكون مغايرة لها. ففي تجربة قام بها باحثون في كندا، أجاب 5682 شاباً على استبيان لدراسة

¹ - تقنية المعلومات وعلم النفس الافتراضي، محاضرة القيت بتاريخ: 201/08/27، ملتقى رابطة الواحة الثقافية، الرابط:

<http://www.rabitat-alwaha.net/moltaqa/showthread.php?t=43571>

تم استرجاعه بتاريخ: 2014/08/23.

أ.ريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات التواصل الاجتماعي

عنوانها "الشبان الكنديون في عالم متصل: لم يذكر 50% عمرهم الحقيقي من بينهم 25% ادّعوا أن لهم مظهرا أو شخصية مختلفة. وادّعى 20% أنهم من جنس مختلف.

- الهوية الافتراضية تمنح الشخص الإرادة القوية في التعبير عن ذاته، فكل من يتصفح موقعا يبحث فيه عن شيء يشبع رغبة لديه سواء كانت هذه الرغبة في الاستطلاع أو اقتناء شيء ما، أو كسب صداقة، أو نشر خاطرة كتبها، أو الحصول على معرفة. وهو في عملية البحث هذه يحمل صورة عن نفسه يظهرها للآخر المفترض وجوده على الطرف الثاني للخط الواصل بين الباحث والموضوع المبحوث عنه.

ثامنا- أثر الهوية الافتراضية على الذات الاجتماعية للفرد:

إن الشخص الافتراضي الذي يقرأ نصا كتبه "مخاطبه" المتصل به يمدحه أو يذمه، فيتفاعل مع ما قرأ؛ يغضب أو يطرب لما ورد فيه من مضمون وقد يرد على مخاطبه بما يراه يناسب المقام أو يشعر بأنه يتلقى إهانة فيكيل لمخاطبه الشتائم أو يبالغ في مجاملته. كل هذه احتمالات يهمنها أن نفهم كيف يتكون لدى الشخص -المتلقي - ما نسميه ردة الفعل.

بل وأصبحت ردة الفعل واضحة وجلية فكل واحد منا وهو يجلس أمام شاشة الحاسوب يتلقى رسائل عبر مواقع شبكات التواصل الاجتماعي، هذه الرسائل تكون مختلفة في مضامينها وفي مصدرها إلا أن المشترك بينها أنها تحدث من الأثر في نفسية المتلقي ما يظهر على ملامح وجهه، فتجده أحيانا يضحك وفي أخرى يتبسم وتارة يقطب حاجبيه وأحيانا يعبس وجهه... الخ كل هذه التعبيرات الإيحائية تدل على الأثر الذي أحدثته فيه الرسالة التي بنيت على هوية وعلاقات افتراضية.

تقول الدكتورة سلوى العمدة أستاذة علم الاجتماع والانثروبولوجيا بجامعة فيلادفيا بالأردن "أرى هذا النوع من العلاقات بالإجمال بالنسبة لي أنا ... أراه غريبا قليلا لأننا لا نستطيع أن نتأكد من هو المتحدث الآخر إلينا فكيف يمكن للمرء أن يلتقي بأناس لا يعرفهم ولا تلتقي العيون ويتبادلون النظرات في حين لديك أصدقاء وإخوة في نفس المنزل قد لا تتعاطى معهم بهذه الطريقة." وتضيف: "هناك نوع جديد من علاقات لا أرى أنه علاقة في الواقع وإنما هو نوع من التسلية وعلاقات وهمية لا أساس لها في الواقع إلا إذا كانت هناك استثناءات لا أدري

أ.ريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات التواصل الاجتماعي

عنها". وما تشير إليه الدكتورة هو ملمح آخر لما يعتبره البعض مأخذ تكتنف مسعى الباحثين عن علاقات افتراضية عبر الانترنت. فالساعات الطويلة التي يمضيها هؤلاء تعمق لديهم شعور العزلة والانطواء عن محيطهم الاجتماعي الطبيعي، وتفصلهم عن صداقات واقعية قد تكون قريبة ومتاحة.¹

خاتمة:

إن استخدام الهوية الافتراضية على مستوى الشبكات الاجتماعية يبدو واضحاً وجلياً من خلال البيانات التي توجد على صفحات الأفراد الخاصة، وقد كان لها انعكاساتها على حياة الفرد من خلال التقمص والانطواء والعزلة والحرية المطلقة في التعامل دون وجود حواجز تفرض عليه كما عززت من ذاته المثالية التي ينشدها في العالم الافتراضي وتحقق له اللذة التي ينشدها عبر صفحات التواصل المختلفة. من جهة أخرى فإن الذات الاجتماعية تلاشت ملامحها تدريجياً وأصبح من الصعب أن نحكم على الفرد أو عن هويته الحقيقية لأنها غدت مزيجاً من هويات افتراضية.

¹ شبكة النباء المعلوماتية، الانترنت يطمس الخط الفاصل بين الأخلاق والعالم الافتراضي، الرابط:

تم استرجاعه بتاريخ: 2014/02/14. <http://www.annabaa.org/nbanews>

أريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات التواصل الاجتماعي

* قائمة المراجع:

أولا- الكتب:

- 1- عبد الفتاح حافظ وآخرون علم النفس الاجتماعي ، مكتبة زهراء الشرق القاهرة ، 2000.
- 2- محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003.
- 3- وجيه كوثراني، هويات فائضة..مواطنة منقوصة، دار الطليعة بيروت لبنان، ط 1، 2004.

ثانيا- المعاجم والقواميس:

- 1- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1993م

ثالثا- الملتقيات:

- 1- الصادق الحمامي، كيف نفكر في مواقع الشبكات الاجتماعية، ورقة قدمت لندوة الشبكات الاجتماعية الافتراضية والشباب الإماراتي الواقع والتحديات، جامعة الشارقة، 2012.
- 2- بن عيسى محمد المهدي، كانون جمال، مستخدم الانترنت في المجتمع الجزائري بين الهوية المستقلة والهوية المغتربة، ورقة قدمت في الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة.
- 3- حمودة سليمة: أثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على الهوية النفسية لدى طلبة المرحلة الثانوية دراسة ميدانية على عينة من طلبة ثانوية سعدان بمدينة بسكرة، مداخلة في الملتقى الوطني.
- 4- ساعد ساعد، التفاعل الثقافي والاجتماعي في شبكات التواصل، ورقة قدمت بالمركز الجامعي عين تموشنت، الجزائر.

أ.ريحانة بلوطي الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات التواصل الاجتماعي

5- فؤادة البكري، الهوية الثقافية العربية في ظل ثورة الاتصال والإعلام الجديد، ورقة قدمت في أبحاث المؤتمر الدولي للإعلام الجديد تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، 2009.

6- وليد رشاد زكي، نظرية الشبكات الاجتماعية من الإيديولوجيا إلى الميثودولوجيا، المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني، مارس 2012.

ثالثا- المجالات:

1- راضي زاهر، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي ، مجلة التربية، العدد 15، جامعة عمان الأهلية، عمان.

2-محمد عابد الجابري، العولمة ومسألة الهوية بين البحث العلمي والخطاب الايديولوجي، مجلة فكر ونقد، عدد 22.

رابعا- المواقع الالكترونية:

1- www.annabaa.org/nbanews.

2- www.alqiam.ma/Article.aspx?C=5654.

3- arabpsynet.com/Documents/DocAliSelfConceptPsy.pdf.

4- www.rabitat-alwaha.net/moltaqa/showthread.php?t=43571.

التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولة لدى الشباب
الدراسة الميدانية على عينة من الشباب المقاولين
بقلم: د. عبد الرزاق منيش
 □ امعة محند أولحاج البويرة

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية الى تبيان دور التعليم الجامعي والتكوين المهني في اعداد كفاءات مقاولانية، لدى عينة من الشباب المقاولين الذين استفادوا من عروض التكوين، وقد تم استجوابهم على ثلاثة موضوعات رئيسية هي: المعرفة بالخطوات الأساسية لانشاء المشروع، اكتساب المعارف العلمية والمهارات المهنية، انشاء مشاريع جديدة مبتكرة، وقد بينت النتائج أن للتعليم الجامعي والتكوين المهني اسهام نسبي في اعداد الشباب لفعل المقاولة، كما تم رصد بعض النقائص والاختلالات في مضامين برامج التعليم الجامعي والتكوين المهني، والتي انعكست سلبا على واقع المقاولة الشبابية.

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

تمهيد:

مما لا شك فيه أن التعليم الجامعي والتكوين المهني، هما الوسيلتين الأساسيتين لإحداث التنمية البشرية وبالكاد التنمية الاقتصادية والاجتماعية، لذلك انصب اهتمام الدول المتقدمة على عصرنة برامجها وتعيين مضامينه بشكل مستمر، لتتلاءم والتغيرات التنظيمية والتكنولوجية الحاصلة في البيئة العامة، اذ تقتطع لهما ميزانيات هائلة. سعيا منها لتكوين رأسمال بشري معزز بالكفاءات العلمية والمهارات المهنية، التي تمكنهم من ولوج عالم الشغل وتوظيفها في خدمة المجتمع.

والجزائر احدى الدول النامية التي حذت على هذا الحذو لتجسيد التنمية البشرية، من خلال ضمان مجانية التعليم الجامعي والتكوين المهني لفئة الشباب، ايمانا منها بأهمية الاستثمار في العنصر البشري لتجسيد التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولهذا سارعت وزارتي التعليم العالي والبحث العلمي، ووزارة التكوين والتعليم المهنيين إلى تطوير برامجها، وإدخال تحسينات نوعية على مضامينها لضمان جودة التعليم والتكوين، لتستجيب لاحتياجات سوق العمل من الكفاءات العلمية والمهنية. ولهذا أضحت الجامعة ومؤسسات التكوين المهني تضطلع أكثر من أي وقت مضى، بمسؤولية اعداد وتأهيل الشباب معرفيا ومهنيا للولوج عالم الشغل بشقيه الوظيف العمومي والقطاع الخاص، ودفعهم للمساهمة في تحقيق التنمية الشاملة.

أولا- مشكلة الدراسة:

عرفت سياسة التشغيل في الجزائر إصلاحات وتوجهات عديدة من أجل تنمية مجتمع العمل، وآخرها كانت بتشجيع الشباب على التشغيل الذاتي عن طريق انشاء مؤسسات مصغرة وصغيرة في إطار أجهزة الدعم والمرافقة، التي استحدثت خصيصا لتقديم التمويلات والامتيازات الجبائية والضريبة، فضلا عن التوجيهات والمرافقة اللازمة للراغبين في انشاء مشاريع ومؤسسات في مختلف القطاعات الاقتصادية عبر كافة القطر الوطني.

إلا أن نجاح هذه السياسة التشغيلية الجديدة القائمة على فلسفة التشغيل الذاتي للأفراد، يتطلب اولا القيام بتكوينات وتدريبات قبلية للشباب في مجال المقاوله قبل خوضهم غمار المخاطرة، كالتعريف بالخطوات الأساسية لإنشاء مشروع جديد، واكتساب المعارف

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

العلمية والمهارات المهنية التي يتطلبها التسيير الجيد للمشروع بالإضافة إلى القدرة على ابتكار مشاريع جديدة تغطي احتياجات سوق العمل، وتستجيب لتطلعات واحتياجات المجتمع المحلي، وهذا ما دفع بالعديد من الباحثين والدارسين للتفكير والبحث عن الآليات والسبل، التي من شأنها أن تساهم في عملية اعداد وتأهيل الشباب معرفيا ومهنيا للولوج عالم المقاوله، ولعل أبرز وأهم هذه الآليات هو ادراج مادة المقاولاتية في برامج التعليم الجامعي والتكوين المهني، باعتبار الجامعة ومؤسسات التكوين المهني، محطتين مهمتين تنفردان بمهمة تحديد مسارات الطلبة والمتكويين، وتوجيه خياراتهم المهنية المستقبلية، من خلال الدروس النظرية والتكوينات الميدانية التي تقدمها لهم في مجال المهن والحرف، كل هذا ربما من شأنه أن يجعل من التعليم الجامعي والتكوين المهني الوسيلة المثلى لإعداد وتكوين الشباب معرفيا ومهنيا في مجال المقاوله، واشكالية بحثنا تتمحور حول التساؤل الجوهري الآتي: ما مدى مساهمة التعليم الجامعي

والتكوين المهني في اعداد الشباب لفعل المقاوله؟

وتتفرع عن التساؤل الرئيسي التساؤلات الفرعية الآتية:

* هل برامج التعليم الجامعي والتكوين المهني كفيلة بتعريف الشباب بأهم الخطوات الأساسية

لانشاء مشروع جديد؟

* وهل تضمن برامج التعليم الجامعي والتكوين المهني اكساب الشباب المعارف العلمية والمهارات

المهنية اللازمة لتسيير المشروع؟

* هل التكوينات التي تقدمها برامج التعليم الجامعي والتكوين المهني للشباب تهدف إلى خلق

مشاريع مبتكرة تستجيب لاحتياجات المجتمع؟

ثانيا- فرضيات الدراسة:

* الفرضية العامة: للتعليم الجامعي والتكوين المهني اسهام نسبي في اعداد الشباب لفعل

المقاوله

الفرعية:

1- تساهم برامج التعليم الجامعي والتكوين المهني بتعريف الشباب على بعض الخطوات العامة

لانشاء مشروع جديد.

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

2- ما تقدمه برامج التعليم الجامعي والتكوين المهني من معارف علمية وتدريب مهنية لا تستجيب لمتطلبات التسيير الجيد للمشروع.

3- معظم عروض التكوين التي تقدمها برامج التعليم العالي والتكوين المهني للشباب مشاريع تشبع منها سوق العمل ولا تستجيب للاحتياجات المجتمع.

ثالثا- أهداف البحث:

تروم هذه الدراسة الكشف عن دور التعليم الجامعي والتكوين المهني في اعداد الشباب لفعل المفاولة، وذلك من خلال التطرق لإسهاماتهم في تعريف الطلبة والمتكويين بالخطوات الأساسية لإنشاء المشروع، وتمكينهم من اكتساب المعارف العلمية والمهارات المهنية التي تضمن السير الحسن للمشاريع، فضلا عن تكوينهم في مجال المهن والحرف الجديدة التي تسمح لهم بإنشاء مشاريع مبتكرة تستجيب لاحتياجات المجتمع.

كما تهدف الدراسة أيضا إلى استطلاع ورصد النقائص والاختلالات الموجودة في مضامين برامج التعليم الجامعي والتكوين المهني في مجال المفاولة، وانعكاساتها على مستوى الأداء العملي التطبيقي للعمليات والمهام المهنية المرتبطة بأنشطة المقاولين.

رابعا- مفاهيم الدراسة:

1- التعليم الجامعي:

تعددت التعريفات التي قدمها الدارسين والباحثين للتعليم عامة وللتعليم الجامعي خاصة، إلا أن مجملها تصب وتتلاقى في قضية رئيسية وهي الدور المحوري الذي أعد من أجله، والمتمثل في احداث تنمية فكرية ومهنية للكفاءات البشرية، بهدف اعدادها وتأهيلها معرفيا ومهنيا واجتماعيا، للمشاركة في عملية تحديث وتطوير المجتمع في مختلف جوانبه الاقتصادية الاجتماعية والثقافية، لذلك نجد السيد طنيس يعتبر "التعليم قوة اجتماعية باعتباره أهم الوسائل التي يمكن لأي مجتمع من إحداث التغير السريع والمنشود، والتعليم الجامعي والعالي

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

له قوته وأهميته الخاصة باعتباره المسؤول الأساسي عن إعداد الشباب وتهيئتهم للحياة وسوق العمل في مستوى العصر"¹.

وعليه فإن التعليم الجامعي نوع خاص من التعليم، وهو تنمة لمراحل تعليمية سابقة، موجه أساساً لفئات تتسم بالقدر الكبير من النضج الفكري والعقلي وامتلاك رصيد معتبر من المعرفة العلمية التي ما تزال في حاجة إلى الاثراء والتوجيه لتطبيقها ميدانياً والاستفادة منها في حل المشكلات الاجتماعية وتحسين الأوضاع الاقتصادية. "فهو ذلك النوع من التعليم الذي يتيح للطلاب اكتساب المهارات والقدرات للتكيف مع كل جديد لاستيعاب كل ما هو جديد لمواجهة الاحتياجات الحالية والمستقبلية سواء للأفراد أم المجتمع في مجال الإنتاج والخدمات"². أما التعريف الاجرائي للتعليم العالي: هو ذلك التعليم الذي يمكن الطلبة من اكتساب المعارف العلمية والمؤهلات المهنية في مجال المفاولة، والتي ترشحهم كفاعلين اجتماعيين واقتصاديين قادرين على إعادة تنظيم وتعبئة الموارد المادية والبشرية والمعلوماتية بطرق حديثة، تسمح بإنشاء مشاريع جديدة مبتكرة قادرة على الاستجابة لاحتياجات المجتمع السلعية والخدمية.

2- التكوين المهني:

يكتسي التكوين المهني أهمية بليغة في تكوين واعداد الشباب للولوج عالم الشغل، خاصة في ظل "اقتصاد المعرفة الذي يتميز بالتجدد المستمر للمهن، ولأنماط الاستهلاك، والتنظيم الحديث للعمل، والتقدم السريع الحاصل في المهارات المهنية، ولذلك يعد التكوين المهني رهانا استراتيجيا للأفراد (الباحثين عن العمل، صغاراً أو كباراً، موظفين في القطاع العام أو الخاص)، كما للمؤسسات..."³.

¹ - على السيد طنيس: التعلم وعلاقته بالعمل والتنمية البشرية في الدول العربية، المؤتمر الرابع للجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، القاهرة، 1996، ص 41.

² - مجدي عزيز إبراهيم: تطور التعليم العالي في عصر العولمة، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية، 2000، ص 231.

³ - Fédération de la formation professionnelle, comprendre (ENFIN) la formation professionnelle un enjeu économique, social et sociétal, MEMO Octobre 2014, p4.

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

كما أن الهدف الرئيسي من التكوين المهني، هو إعادة ادماج مخرجات التعليم الموجهة للحياة المهنية في سن مبكرة، عن طريق توفير عروض تكوينية في مختلف المجالات المهنية، وبذلك يعرف التكوين المهني على أنه: "مجموعة الأنشطة والمواقف البيداغوجية والوسائل الديداكتيكية التي تستهدف تسهيل اكتساب أو تطوير المعارف (المعلومات، القدرات، الاتجاهات)، قصد القيام بمهمة أو وظيفة، أي مجموع المعارف (المفاهيم، المبادئ) ومجموع المهارات والاتجاهات التي بفضلها يصبح الفرد قادرا على ممارسة وظيفة أو حرفة أو عمل ما"¹. ويشير أيضا بن كروم ويعقوبي إلى أن التكوين المهني "نظام يربط المترشحين لممارسة نشاط مهني أو التكيف معه اعتمادا على مكتسبات مدرسية ومهنية غايته تحسين القابلية للتشغيل وأداة لتأهيل كفاءات المؤسسات"².

أما التعريف الاجرائي للتكوين المهني هو: عملية تعلم تستهدف اكساب بعض المهارات والكفاءات المهنية للأفراد، وتدريبهم على طرق الانجاز والأداء في المشاريع والأعمال التي سينشئونها مستقبلا، أو التي أنشئوها مسبقا، بهدف احداث تحسينات في مستوى معارفهم ومهاراتهم الفنية، وفي طرقهم التسييرية والتنفيذية لتحقيق الكفاية الإنتاجية لتلبية احتياجات المجتمع.

3- الشباب:

يعد مفهوم الشباب من بين المفاهيم الأكثر تداولاً في النقاشات السياسية والاقتصادية كما في البحوث والدراسات العلمية الأكاديمية، لاقتراحه الوثيق بقضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولقدرته على إعادة ترتيب وتنسيق ابنية المجتمع، باعتباره الفئة الاجتماعية الأكثر قدرة على البذل والعطاء، وهذا ما يميزه عن باقي الفئات الاجتماعية الأخرى،

¹ - تلوين حبيب: التكوين في التربية، دار الغرب للنشر والتوزيع 2002، ص 13.

² - زبيدة سنوسي وآخرون: التكوين المهني ودعم التشغيل في البلدان المغاربية: اصلاحات وسيرورات اجتماعية، ترجمة مصطفى مرضي، إنسانيات، العدد 60-61، مجلد 17، 2-3، سبتمبر 2013، دون ص.

<http://insaniyat.crascdz/index.php/fr/54-60-61-2013/1179>

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

كما أن مفهوم الشباب من بين المفاهيم المتشعبة التي تناولته العديد من الحقول العلمية والتيارات الفكرية، فمنهما من تعتبر الشباب كمرحلة عمرية حيث "...اعتمدت الأمم المتحدة سنة 1980 معيار العمر كمحدد لفترة الشباب بأنها الشريحة التي تمتد بين 15 و30 سنة"¹، أي أن فترة الشباب مقترنة بسن الفرد وعمره الزمني، فهو شاب ما لم يتخطى العقد الثالث من عمره، وهذا التعريف قد لا يتماشى والتغيرات الاجتماعية والمهنية الراهنة، التي توجب اطالة فترة الشباب للفرد لتمتد إلى ما بعد العقد الرابع من عمره، حيث يشير Olivier Galland إلى أن "...أسباب هذا الامتدادية Allongement نجد الامتداد مع الأولياء لمدة أطول بسبب أزمة السكن، مع صعوبة الحصول عليه، بالإضافة إلى الضغوطات التي تعترض حياتهم كمشكل البطالة أو حتى عملية الاستثمار في الدراسة، هذه كلها عوامل تشكل سببا في امتدادية مرحلة الشباب"².

ومن التعاريف الأخرى كذلك من تعتبر الشباب، المرحلة التي يعرف فيها الشخص اكتمال نضجه الفيزيولوجي والوظيفي، وبروز ملامح الذكورة أو الأنوثة عليه، وبالتالي فإن الشباب هي المرحلة التي تبدأ " بتخطي مرحلة بلوغ الحلم Puberty أو اكتمال النضج الجنسي - بلوغ القدرة على التناسل وتيقظ الحاجة الجنسية-، ويحدث ذلك عند سن الخامسة عشرة، أو قبلها بقليل. وتغطي مرحلة الشباب مدة عشر سنوات تقريبا، فتنتهي في الخامسة والعشرين أو ما حولها"³. أي أن هذا الاتجاه يحدد فترة الشباب بالتغيرات والتحولات الفيزيولوجية التي تحصل في بنية الفرد، وظهور ملامح كمال النضج العضوي، والانسجام في بنيتها ووظائفها تبعا لجنس كل فرد (ذكر/ أنثى).

¹ - محمد سيد فهمي: العولمة والشباب من منظور اجتماعي، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، 2007، ص86.

² - فوشان عبد القادر: الدين والاندماج الاجتماعي عند الشباب، دراسة سوسيولوجية ميدانية لشباب الطريقة القادرية البوتشيشية بمعسكر، مذكرة ماجستير كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، وهران، 2010-2011، ص39.

³ - عزت حجازي: الشباب العربي ومشكلاته، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة كتب ثقافية شهرية، العدد 6، الكويت، فبراير 1985، ص27.

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

أما الاتجاه السيكولوجي فإنه يعرف الشباب بأنه ".. حالة نفسية لا علاقة لها بالعمر الزمئي، فأنت شاب بمقدار ما تشعر به من الحيوية والحماس والحركة والطموح والأمل في الحياة وأهمية الدور المناط بالفرد"¹.

في حين أنه جاء تعريف الشباب في تقرير مركز البحث للأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC لسنة 2007 بأنه: "المرحلة العمرية التي لا يمكن اعتبارها طفولة ولا رشداً، ولا هي تبعية ولا استقلالية، بل هي فترة تجربة بعض الحريات التي تمثل طورا من أطوار الإدماج أو الإقصاء الاجتماعي"²، "وتنتهي هذه الفترة حينما يتمكن الفرد من احتلال مكانته الاجتماعية ويبدأ في أداء أدواره في السياق الاجتماعي بشكل ثابت ومستقر وفقا لمعايير ونظم هذا المجتمع"³ أي أن الشباب هي المرحلة التي تلي الطفولة وتسبق الرشد، والتي يتمتع فيها الفرد باستقلالية نسبية، تمنحه حرية اتخاذ بعض قرارات وتحديد خياراته ومساراته الاجتماعية والمهنية، ونقل شخصيته من المستوى الشخصي إلى المستوى الاجتماعي، وأداء أدواره ومهامه المنوطة به في النسق الاجتماعي.

4-المقولة:

قد يبدو تعريف المقولة أمرا سهلا في غاية البساطة، نظرا لتداوله الواسع وبشكل يومي في الخطابات الشعبية وحتى الإعلامية، لكن في الحقل العلمي والمعرفي فإن المقولة مفهوم متشعب ومتعدد الأبعاد، ومقترن بالتطورات المختلفة التي شهدتها النشاط الانتاجي خلال الحقبات التاريخية المختلفة. من النشاط المنزلي إلى نظام المشغل وصولا إلى الشكل الحالي الذي نعرفه اليوم، ويعرف كل من **Beitone, Cazorla, Dollo & Draï** : "المقولة هي

¹ - ماجد الزبود: الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن. 2006، ص 36.

² - خالد عبد السلام: عوامل الانحراف الاجتماعي لدى الشباب الجزائري واستراتيجيات التكفل والعلاج، دراسة نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، العدد 13، سطيف، الجزائر، ديسمبر 2014، ص 114.

³ - ملكة أبيض: الثقافة وقيم الشباب، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق 1984، ص 57.

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

وحدة اقتصادية ذات استقلالية قانونية، والتي تقوم بتجميع ودمج عوامل الإنتاج (العمل ورأس المال) لإنتاج السلع والخدمات وتوجيهها للتسويق"¹.
إن هذا التعريف يركز على الوظيفة الاقتصادية للمقاول مع تأكيده على عنصر الاستقلالية في اتخاذ القرارات وتسيير شؤونها القانونية والتنظيمية، واعتبارها نسق اقتصادي هدفه الإنتاج وتحقيق الربح عن طريق تجميع عوامل الإنتاج اللازمة لخلق منتجات جديدة وتوجيهها للجسمور المستهلكين.

كما يشير Hernandez، إلى أنها: "مجموعة المراحل التي تقود لإنشاء منظمة، بمعنى النشاطات التي من خلالها يقوم المنشئ بتعبئة وتركيب موارد-معلوماتية، مادية، بشرية... إلخ- لاستغلال الفرصة وتجسيدها على شكل مشروع مهيكل"².

إلا أن هناك تعريفات أخرى، ذهبت إلى أعمق وأبعد من ذلك في تحديدها لمفهوم المقاول، لتتجاوز بذلك حدود المفهوم الاقتصادي والربحي، واعتبارها وحدة اقتصادية واجتماعية تسعى إلى خلق القيمة الاقتصادية والاجتماعية، والاهتمام بمسائل البيئة المحيطة التي تنشأ فيها بوصفها نسق مفتوح يستفيد بقدر ما يمنح، ولهذا تعرف على أنها: "... مجموعة الأنشطة والعمليات لإنتاج ودعم القيمة الاجتماعية، باعتماد مقاربات مقاولاتية حديثة مع الأخذ بعين الاعتبار قيود البيئة الخارجية"³.

وكما تعرف أيضا بوصفها: "كل نشاط خاص ذا فائدة عامة، منظم وفق المبادئ المتبعة في الأنشطة المقاولية الأخرى، مع عدم تركيزه على تعظيم الأرباح بشكل مطلق، لكن

¹ - Alain. Beitone, Estelle. Hemdane: **La définition de l'entreprise dans les manuels de sciences économiques et sociales en classe de seconde**, Skhole, hors-série 1, I U F M de l'académie d'Aix Marseille, 2005, p 30.

² - رضوان أنساعد، محمد فلاق: دور آليات التشغيل في تنمية ثقافة المقاولاتية لدى الطلبة الجامعيين، الملتقى الدولي حول الروح المقاولاتية كأداة للتنمية المستدامة، جامعة قصدي مرياح، ورقلة، الجزائر، يومي 15 و16 فيفري 2013، ص9.

<http://www.univ-chlef.dz/drupal/sites/default/files/redwan%20.pdf>

³ - Sophie Brouard; Ouafa Sakka: **Entrepreneuriat social et participation citoyenne**, revue Canadienne de recherche sur les OSBL et l'économie sociale, vol. 1, n° 1, automne/ Fall2010, p 49.

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

يسعى إلى تحقيق بعض الأهداف الاقتصادية والاجتماعية، فضلا على القدرة على انتاج السلع والخدمات وتقديم حلول جديدة لمشاكل الاقصاء والبطالة¹.
إن التعريفين السابقين يبرزان مدى التطور والتحول الحاصل في مفهوم المقاول، من وصفها نسقا اقتصاديا مغلقا يهدف إلى تعظيم الأرباح، إلى اعتبارها نسقا اقتصاديا واجتماعيا مفتوحا على بيئته الخارجية، يسعى إلى خلق القيمة والفائدة لجميع الأطراف والفاعلين الداخليين والخارجيين، مع الأخذ بعين الاعتبار قضية البيئة المحيطة طبيعية كانت او الاجتماعية.

خامسا- منهجية الدراسة:

1- المنهج والتقنية:

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي، لأجل بناء وتحليل موضوع الدراسة، وقد استخدم الباحث تقنية الاستمارة بالمقابلة كأداة أساسية في استجواب المبحوثين (الشباب المقاولين).

2- عينة الدراسة:

يتمثل مجتمع البحث في الشباب المقاولين الذين انشأوا مؤسسات مصغرة وصغيرة بولاية البويرة، والذين يتمتعون بمستوى جامعي او خضعوا لتكوينات في مراكز التكوين المهني.

وقد تم اختيار المبحوثين وفقا للعينة القصدية، واعتمادا على متغيري انشاء المشروع ومتابعة التعليم العالي أو الخضوع لتكوين المهني، وقد بلغ عددهم (59) مفردة تسعة عشر منهم من خريجي التعليم العالي، واربعون منهم من خريجي مؤسسات التكوين المهني.

سادسا- دور التعليم الجامعي والتكوين المهني في الاعداد العلمي والمهني للشباب
ان عملية اعداد الشباب لفعل المقاوله مهمة تتقاسمها العديد من مؤسسات النسق الاجتماعي، انطلاقا من النسق الأسري والمدرسي وصولا إلى مؤسسات التكوين المهني والتعليم

¹ - S.Davy, J. Verna: L'Entrepreneuriat Social: un lever pour la croissance et l'emploi definition, acteurs et enjeux, INES, 2012, p 4

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

العالي، إلا أن مهمة الاعداد العلمي والمهني في مجال المقاوله، يبقى من اختصاص ومسؤولية مؤسسات التعليم العالي والتكوين المهني.

1- دور التعليم الجامعي:

أولا وقبل كل شيء فإن "روح المقاولاتية ليس بمعطى فطري، بل تبني وتكتسب في المؤسسات التعليمية لا سيما الجامعة، التي تضطلع بمهمة غرس ونشر روح المقاولاتية بين الطلبة. وبالتالي فالمقاولاتية هي قرار، وممارسة وتقنية وعلم، يمكن تعلمها واكتسابها في الجامعة"¹.

كما أن التعليم الجامعي اليوم لم يعد يركز بشكل كبير على التكوين الأكاديمي كما كان في السابق، بل أصبح يهدف بشكل رئيسي إلى التعليم المقاولاتي، وذلك عن طريق "تزويد المتعلم بالمعارف والمهارات اللازمة للحصول على عمل يناسب قدراته وتوجهاته، وتمكينه من الوسائل اللازمة لتطوير معارفه ومهاراته الفكرية والسلوكية باستمرار، تطويرا يؤهله للقيام بوظائف ومهن جديدة"². لأن الغرض من التعليم المقاولاتي هو تفكيك نموذج العمل المأجور، واحلال محله التشغيل الذاتي عن طريق تشجيع الخرجين على فعل المقاوله، وبالتالي فإن "المسارات التعليمية والتكوينية تسمح للفرد باكتساب القدرات والكفاءات والتي تعد حاسمة من أجل تجسيد المشروع، فالرأسمال البشري للفرد والمعبر عنه بالشهادات والخبرات والكفاءات، يعد أكثر من ضروري في عملية انشاء المؤسسة، بل في كثير من الأحيان يكون هو الدافع الرئيسي لفعل المقاوله"³.

¹-Nassira Kouraiche, promotion de l'entrepreneuriat dans l'enseignement supérieur en Algérie, revue des études humaines et sociales –A/sciences économiques et droit, N°20, juin 2018, pp 42-43.

²- ضياء الدين زاهر: جامعاتنا العربية في مطلع الألفية الثالثة "تحديات وخيارات"، كراسات مستقبلية، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 2000، ص 30.

³- بوشنوفة أحمد، بوسميين أحمد: متطلبات تأهيل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في البلدان النامية، الملتقى الدولي حول متطلبات تأهيل وتفعيل إدارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر، بشارأيام 17-18 أبريل 2006، ص 04.

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

ولهذا "يعتبر التعليم بصفة عامة والجامعي بصفة خاصة محورا أساسيا لتطوير المهارات المقاولاتية... وتعتبر تجربة جامعة منتوري قسنطينة تجربة رائدة على المستوى الوطني بإنشاء دار للمقاولية سنة 2006، تتكفل بتنشيط ملتقيات وندوات لفائدة الراغبين في إنشاء المؤسسات وكذا التكفل بتدريس مادة المقاولية.."¹، هذا ما يجعل من مؤسسات التعليم العالي محيطا فعالا، يساهم بشكل أو بآخر في تكوين الشباب وتحفيزهم على العمل المقاولاتي، من خلال المادة العلمية النظرية المقدمة، والتربصات والتكوينات الميدانية التي توفرها للطلبة خلال مراحل التعليم والتكوين، والتي تسمح لهم باستكشاف عالم الشغل عامة والأعمال خاصة، مما يثير دوافعهم ويزيد من رغبتهم في ولوجه، "وقد بينت إحدى الدراسات أن التعليم المقاولاتي يؤثر إيجابا في مواقف المتكويين تجاه انشاء المشاريع، ويزيد من ثقتهم في قدراتهم على الانشاء"². وعلى العموم فإن دور التعليم المقاولاتي يتلخص في النقاط الآتية:

- الأولى تتمثل في نشر الثقافة المقاولاتية في أوساط الطلبة.
- والثانية تتعلق بإيجاد برامج وتكوينات متخصصة لتكوين الطلبة في مجال الأعمال وتحفيزهم على الانشاء.
- الثالثة والأخيرة تتمثل في مرافقة ومتابعة الطلبة الذين يحملون فكرة انشاء المشروع لتجسيدها"³.

2- دور التكوين المهني:

إن انشاء أي مشروع صغيرا كان أو كبيرا، فإنه يتطلب أولا امتلاك الشاب للقدر الكافي من المعرفة العلمية والمهارة المهنية المتخصصة، والتي لا تتأت إلا من خلال متابعته لتكوينات وتربصات في مراكز التعليم والتكوين المهنيين، "فالكفاءات والمهارات المقاولاتية يمكن دعمها

¹ - توفيق خذري، عماري علي: المقاولاتية كحل لمشكلة البطالة لخريجي الجامعة: دراسة حالة لطلبة جامعة باتنة، ورقة مداخلة، المركز الجامعي خنشلة ص 08-09.

² - Benie Hillarion, Soungari Yeo, éducation à l'entrepreneuriat et propension à entreprendre en contexte de formation professionnelle en Côte d'Ivoire, european scientific journal, vol 13, n° 28, October 2017, p 341

³ - Nassira Kouraiche, Ibid, p 43.

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

وتطويرها عن طريق التعليم والتدريب، والتكوين المهني يلعب دورا رئيسيا في تطوير المقاولاتية والابتكار وتحقيق التنمية المستدامة. كما أن التكوين المقاولاتي على صلة وثيقة بالتكوين المهني، ... كون المهارات الفنية والمهنية المكتسبة من التكوين المهني ستشكل فيما بعد القاعدة التي سيقوم عليها انشاء المشروع الجديد¹. أي أنها التي ستساهم بشكل كبير في اعداده وتأهيله بمختلف المعارف العلمية والمهارات الفنية، التي ستمكنه فيما بعد من الانطلاق انطلاقا صحيحة، بدأ باختيار المشروع الذي يتلائم مع تخصصه المهني، والذي يستجيب لاحتياجات المجتمع المحلي، وأيضا العمل على ضمان استمراره ونموه، ولهذا "تعد تنمية المهارات المهنية للعمل والمقاولاتية من بين أولويات اليونسكو والدول الشريكة، لأن غياب سياسات التعليم والتدريب المهني والتقني تؤدي إلى ابطاء الإنتاجي المعرفي"² في شقه: النظري والعملي التطبيقي.

وعلى العموم يمكن تلخيص دور التكوين المهني في اعداد وتأهيل الشباب مهنيا

واجتماعيا لشغل المهن والحرف في النقاط الآتية:

- تمكين الفرد من استيعاب ثقافة مهنية مختصة مرتبطة بمهنة معينة معترف بها بصفة رسمية.

- العمل على التحسين الدائم للمستوى المعرفي النظري ذات العلاقة بالمهنة التي يمارسها الفرد.

- العمل على التحسين الدائم لمستوى الأداء العملي التطبيقي للعمليات والمهام المهنية المرتبطة بالمهنة.

- تمكين الفرد من الوصول إلى قدرة إنتاجية معينة في مجاله المهني الخاص.

¹ - soutenir l'entrepreneuriat dans le système de la formation professionnelle en Tunisie, revue de l'OCDE sur les compétences pour l'entrepreneuriat, 2014, p 19.

² -Organisation des nations unies pour l'éducation la science et la culture, **Développement de l'enseignement et la formation technique professionnelle et l'entrepreneuriat des jeunes**, bureau de l'UNESCO à Libreville. Online at <http://www.unesco.org/new/fr/bureau-de-lunesco-a-libreville/education/developpement-de-lenseignement-et-la-formation-technique-professionnelle-et-lentrepreneuriat-des-jeunes/>.

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

- تمكين الفرد من الحصول على منصب عمل في المجتمع الذي يعيش فيه لتحقيق الاندماج الاجتماعي".¹

سابعاً- تحليل ومناقشة نتائج الدراسة الميدانية:

يرتبط نجاح عملية اعداد الشباب لفعل المقاولة بنوعية مضامين برامج التعليم الجامعي والتكوين المهني، ومدى قدرتها على نقل المعارف العلمية والمهارات المهنية اللازمة الى المتكويين، كما أن انشاء المشاريع ونجاحها أو اخفاقها، ما هو في الحقيقة الا انعكاس للجهود التي تبذلها هذه الاخيرة في عملية الاعداد والتكوين، فقد تكون شاملة ومستوفية لجميع نواحي الاعداد (خطوات الانشاء، المعارف والمهارات، اختيار المشروع المناسب) أو مقتصرة على بعض منها، وهذا ما سنحاول الكشف عنه من خلال استجوابنا للمبحوثين.

1- تعريف الشباب بالخطوات الأساسية لإنشاء مشروع جديد:

على العموم فإن للتعليم الجامعي والتكوين المهني، اسهام معتبر في تمكين الشباب من التعرف على الخطوات الأساسية التي يتطلبها انشاء المشروع، الا أن هذه المساهمة كثيراً ما تكون نظرية وعامة مقترنة بشكل رئيسي بالنواحي القانونية والتنظيمية المؤطرة للمشروع، في حين أن الواقع يفرض على الماقل الامام بجميع الخطوات الأساسية كالتفكير في طبيعة العمل ونطاقه، وتحديد أهداف المشروع، وتقدير الموارد المالية والبشرية اللازمة، بالإضافة إلى ضرورة استشراف وتقدير حظوظ النجاح واحتمالات الإخفاق، كل هذه الخطوات الهامة كثيراً ما نجدها مغيبة في مضامين برامج التعليم الجامعي والتكوين المهني، وهذا ما ستوضحه إجابات المبحوثين في الجدول الآتي:

¹ - سامعي توفيق: مدى تحقيق مؤسسات التكوين المهني في مدينة سطيف للكفايات المهنية لدى خريجي القطاع المكون، أطروحة دكتوراه علوم في علوم التربية، جامعة فرحات عباس سطيف، الجزائر، 2010-2011، ص 98.

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

جدول رقم (01) يبين مدى معرفة الشباب المقاولين بالخطوات الأساسية لإنشاء المشروع

حسب نوع التكوين

نوع التكوين الخطوات الأساسية	تعليم جامعي		تكوين مهني				المجموع	
	نعم		لا		نعم		لا	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
طبيعة العمل ونطاقه	13	22%	6	10%	25	42.4%	15	25.6%
تحديد اهداف المشروع	15	25.4%	4	6.8%	13	22%	27	45.6%
تقدير الموارد المالية والبشرية	14	23.7%	5	8.47%	9	15.2%	31	52.5%
تقدير حظوظ النجاح والاخفاق	6	10.1%	13	22%	8	13.5%	32	54.2%

تشير نتائج الجدول (52.4%، 61%، 76.3%) الى أن أغلب الشباب المستجوبين، يقرون بأن التعليم الجامعي والتكوين المهني لم يساهم بالشكل الكافي في تعريفهم بأهم الخطوات الأساسية لإنشاء مشروع جديد، خصوصا ما تعلق منها بقضايا تحديد أهداف المشروع وتقدير للموارد المالية والبشرية وتقدير حظوظ النجاح والافخاق، في حين أن (64.4%) منهم يؤكدون على أن التعليم العالي والتكوين المهني ساهم بشكل كبير في تحديد طبيعة العمل والنطاق الذي ينشطون فيه.

وعليه فإن أغلب الشباب المقاولين يعتبرون أن برامج التعليم العالي والتكوين المهني، لا تساهم بشكل فعال في تعريف المتعلمين والمتكويين بأهم الخطوات الأساسية لإنشاء مشروع جديد، وذلك راجع إلى هشاشة برامج التكوين المقدمة لهم في مجال المقاولات، والتي غالبا ما تكون نظرية وسطحية لا تتماشى مع متطلبات الواقع، كما أن للمكويين والمؤطرين دور في اضعاف عملية نقل المعلومات للمتعلمين والمتكويين، فكثيرا ما نجد القائمين على عملية التكوين لا تتوفر فيهم الخبرة المهنية والكفاءة العلمية اللازمة، حيث أقر العديد من الشباب أن "مؤطر واحد يشرف على تكوين العديد من التخصصات المهنية في آن واحد"، وهذا ما يجعل من عملية التكوين تكون سطحية وعامة حتى تتلائم مع جميع التخصصات المهنية.

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

لكن اذا كان هذا ينطبق على الجزء فإنه لا ينطبق على الكل، فعلى الرغم من النقائص المسجلة الا أن هناك نسبة معتبرة من الشباب، الذين اشادوا بإسهامات برامج التعليم الجامعي والتكوين المهني في مجال تكوينهم وتعريفهم بالخطوات الأساسية التي يتطلبها انشاء مشروع جديد، ومعظمهم من ذوي التكوين الجامعي، ومنه يمكن القول بان الفرضية الفرعية الأولى التي مفادها أن: برامج التعليم العالي والتكوين المهني تساهم في تعريف الشباب على بعض الخطوات العامة للإنشاء مشروع جديد، محققة بدرجة ضعيفة جدا وبالتالي قبولها.

2- تمكين الشباب من اكتساب المعارف العلمية والمهارات المهنية:

من الأهداف الرئيسية لمؤسسات التعليم العالي والتكوين المهني هو اعداد الكفاءات الشبابية معرفيا ومهنيا لولوج عالم الشغل، عن طريق اكسابهم ثقافة مهنية -المعارف العلمية، المهارات المهنية- تمكثهم من شغل وظائف أو ممارسة مهن وانشطة خاصة، من أجل المساهمة في تنشيط وتطوير الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وسنحاول من خلال إجابات المبحوثين، التعرف على مدى مطابقة المعارف العلمية والمهارات المهنية، المقدمة في برامج التعليم العالي والتكوين المهني لمتطلبات التسيير الجيد للمشروع، كما هو موضح في الجدول الموالي.

جدول رقم (02) موقف الشباب المقاولين من المعارف العلمية والمهارات المهنية المكتسبة لتسيير المشروع حسب نوع التكوين

المجموع		مهني		جامعي		نوع التكوين الموقف
%	ك	%	ك	%	ك	
42.3%	25	45%	18	36.8%	07	موافق
52.6%	31	47.5%	19	63.2%	12	غير موافق
05%	03	7.5%	03	/	/	دون رأي
100%	59	100	40	100	19	المجموع

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

تشير نتائج الجدول أن لغالبية الشباب المقاولين موقف سلبي تجاه ما تقدمه برامج التعليم العالي والتكوين المهني من معارف وتدريبات في مجال تسيير المشاريع (52.6%)، وأن الجامعيين أكثر ميلا لهذا الموقف، وذلك بالنظر لحاصل العراقيل التي واجهتهم في الميدان عند انشائهم لمشاريعهم، حيث لم يمكنهم التكوين الجامعي من اكتساب المهارات المهنية التي يتطلبها التسيير الجيد للمشروع، خاصة منها الجوانب التقنية والفنية المتعلقة بالأداء العملي التطبيقي للعمليات والمهام المهنية المرتبطة بالنشاط، نتيجة تغلبه للتكوين النظري الأكاديمي على حساب التكوين الميداني المهني.

أما الشباب المقاولين الذين يحملون موقفا إيجابيا تجاه ما تقدمه برامج التعليم العالي والتكوين المهني، من معارف وتدريبات في مجال تسيير المشاريع فنسبتهم لا تتجاوز (42.3%)، وأغلبهم من ذوي التكوين المهني، حيث مكنتهم التكوينات النظرية والتربصات الميدانية التي خضعوا لها خلال فترة التكوين، من الاستفادة من الخبرة والتجربة الطويلة للمكونين والمهنيين في مجال نشاطهم، وهذا ما سهل عليهم مهمة انشاء وتسيير المشاريع، إلا أن ذلك لا ينفى وجود بعض النقائص في التكوينات التي تقدمها برامج التكوين المهني خاصة في مجال التسيير البيئي، الابداع والابتكار، اعتماد العلاقات العامة، وهذا ما يجعل العديد من الشباب المقاولين يعتمدون في مشاريعهم على استراتيجية البحث عن البقاء لا النمو والتطور.

ومما سبق نستخلص أن عموم الشباب المقاولين يقرون بأن ما تقدمه برامج التعليم العالي والتكوين المهني من معارف علمية وتدريبات مهنية غير كافية، وفي كثير من الاحيان لا تتماشى ومتطلبات التسيير الجيد للمشروع، وهذا ما يؤكد صحة الفرضية الفرعية الثانية وبالتالي قبولها.

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولانية لدى الشباب

3- تكوين الشباب على انشاء مشاريع ابتكارية تستجيب لاحتياجات المجتمع:

جدول رقم (03) يبين مدى مساهمة عروض التكوين في انشاء الشباب لمشاريع مبتكرة

تستجيب لاحتياجات المجتمع حسب نوع التكوين

المجموع		مهني		جامعي		نوع التكوين الابتكار
%	ك	%	ك	%	ك	
37.3%	22	20%	08	73.6%	14	نعم
62.7%	37	80%	32	26.4%	05	لا
100%	59	100	40	100	19	المجموع

تبين نتائج الجدول أن معظم الشباب المقاولين (62.7%)، يعتبرون أن عروض التكوين التي تقدمها برامج التعليم العالي والتكوين المهني لا تصب في مجال المشاريع المبتكرة، خاصة منهم خريجي مراكز التكوين المهني، وهذا راجع أساسا إلى عدم تحيين عروض التكوين لتتلاءم واحتياجات سوق العمل من المهن والحرف الجديدة، وبالكاد لاحتياجات المجتمع المتجددة والمتعددة السلعوية منها والخدمية، وهو ما تم رصد من قبل الباحث عند تفحصه لسجلات بعض مؤسسات التكوين المهني أثناء زيارته الميدانية، فعلى مر الخمس سنوات الماضية لم يتم فتح تخصصات جديدة، بل تم استبعاد وحذف بعض منها، إما بسبب افتقاد المراكز للتجهيزات والامكانيات اللازمة، وإما لضعف الطلب عليها من قبل المكونين لتشجيع سوق العمل منها.

أما الشباب المقاولين الذي أقروا بأن عروض التكوين التي تقدمها برامج التعليم العالي والتكوين المهني، تهدف الى تكوين وتوجيه الشباب لانشاء مشاريع مبتكرة فنسبتهم (37.3%)، ومعظمهم من الجامعيين الذين استفادوا من الدراسات عليا المتخصصة في مجال الأعمال والعلوم التقنية، ما سمح لهم بالتفتح أكثر على المهن الجديدة التي تتطلب من شاغلها اكتساب معارف علمية متخصصة، كما أن الطلب عليها متزايد وحظوظ نجاحها عالية جدا مثل الصيدلة، المراقبة التقنية للسيارات، مخابر التحليل وغيرها.

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

وعليه فإن عروض التكوين التي تقدمها برامج التعليم العالي في الغالب هي عروض جديدة نسبياً، تسمح للطلبة بالتكون في مهن يمكن القول عنها بأنها جديدة اذا ما قيست بشدة الطلب عليها في سوق العمل، كما أنه اذا كان هذا يسري على بعض التخصصات العلمية والتقنية، فإنه لا ينطبق على الكثير من التخصصات الأخرى خاصة منها غير العلمية التي منافذها لعلم الأعمال مسدودة.

أما عن كون عروض التكوين التي تقدمها برامج التكوين المهني لا تصب في مجال المشاريع المبتكرة، فراجع أساساً إلى مراعاتها لقدرات ومؤهلات المتكويين، التي لا تتجاوز في الغالب حدود مستويات التعليم الثانوي على أكثر تقدير، وهدفها الأساسي هو احتضان مخرجات نظام التعليم غير الموفقة والموجهة للحياة المهنية، وهي محاولة ثانية لإعادة ادماج وتأهيل لهذه الفئة الشابة، واعدادها للولوج عالم الشغل عن طريق تمكينها ببعض المعارف النظرية والمهارات المهنية للاستفادة منها كقوة عمل مؤهلة.

وعليه يمكن القول أن معظم إجابات المبحوثين تؤكد صحة الفرضية الثالثة التي مفادها: أن معظم عروض التكوين التي تقدمها برامج التعليم العالي والتكوين المهني للشباب مشاريع تشبع منها سوق العمل ولا تستجيب للاحتياجات المتجددة للمجتمع، قد تحققت وبالتالي قبولها.

* إن تحقق الفرضيات الفرعية الثلاثة وإن كان بدرجات متفاوتة، من شأنه أن يؤكد صحة الفرضية العامة القائلة بأن: للتعليم العالي والتكوين المهني اسهام نسبي في اعداد الشباب لفعل المقاوله، وبالتالي قبولها.

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

خلاصة:

استهدفت الدراسة التعليم الجامعي والتكوين المهني، كمثال واقعي عن الآليات التي من شأنها أن تساهم في تكوين واعداد الكفاءات الشبابية لفعل المقاولة، وذلك عن طريق تزويدهم بثقافة مقاولاتية قائمة على المعرفة بالخطوات الاساسية التي يتطلها انشاء المشروع، واكتساب المعارف العلمية والمهارات المهنية اللازمة لضمان السير الحسن للمشاريع، وأيضا التكون في المهن والحرف الجديدة، التي تسمح بإنشاء مشاريع مبتكرة، تستجيب لطلبات سوق العمل واحتياجات المجتمع من السلع والخدمات.

إن اسهامات التعليم الجامعي والتكوين المهني في مجال اعداد الشباب لفعل المقاولة، ما تزال غير كافية ولا تستجيب للتغيرات التنظيمية والتكنولوجية الحاصلة في عالم الشغل بصفة عامة، وفي عالم الأعمال والمؤسسات بشكل خاص، ذلك راجع لعدة عوامل وأسباب كما اوضحتها نتائج الدراسة وهي كالتالي:

- هشاشة برامج التكوين في مجال المقاولة، والتي غالبا ما تكون نظرية وسطحية لا تستجيب لمعايير التكوين الجيد.
- افتقار المكونين والمؤطرين للخبرة المهنية والكفاءة العلمية، أدى إلى اضعاف عملية نقل العارف والمهارات للمتعلمين والمتكويين.
- تغليب التكوين النظري على حساب التكوين الميداني المهني، مما ساهم في تدني مستوى الأداء العملي التطبيقي للعمليات والمهام المهنية المرتبطة بالنشاط.
- معظم عروض التكوين التي تقدمها برامج التعليم العالي والتكوين المهني لا تصب في مجال المهن والحرف الجديدة، التي تسمح بإنشاء مشاريع مبتكرة تستجيب لاحتياجات البيئة العامة.
- كل هذه النقائص والعيوب التي تم رصدها ميدانيا، عملت على تقليص الدور الإيجابي للتعليم الجامعي والتكوين المهني في اعداد الشباب لفعل المقاولة، وهذا ما انعكس سلبا على واقع المقاولة الشبابية، حيث أضحت تعيش الكثير من الاختلالات التنظيمية والصعوبات المالية، نتيجة تدني مستويات أداء الشباب المقاولين.

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

* قائمة المراجع:

أ- باللغة العربية:

- ¹ - بوشنوفة أحمد، بوسميين أحمد: متطلبات تأهيل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في البلدان النامية، الملتقى الدولي حول متطلبات تأهيل وتفعيل إدارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر، بشار أيام 17-18 أفريل 2006.
- ² - تلوين حبيب: التكوين في التربية، دار الغرب للنشر والتوزيع 2002.
- ³ - توفيق خذري، عماري علي: المقاولاتية كحل لمشكلة البطالة لخريجي الجامعة: دراسة حالة لطلبة جامعة باتنة، ورقة مداخل، المركز الجامعي خنشلة.
- ⁴ - خالد عبد السلام: عوامل الانحراف الاجتماعي لدى الشباب الجزائري واستراتيجيات التكفل والعلاج، دراسة نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، العدد 13، سطيف، الجزائر، ديسمبر 2014.
- ⁵ - رضوان أنساعد، محمد فلاق: دور آليات التشغيل في تنمية ثقافة المقاولاتية لدى الطلبة الجامعيين، الملتقى الدولي حول الروح المقاولاتية كأداة للتنمية المستدامة، جامعة قصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، يومي 15 و16 فيفري 2013.
- ⁶ - زبيدة سنوسي وآخرون: التكوين المهني ودعم التشغيل في البلدان المغاربية: اصلاحات وسيرورات اجتماعية، ترجمة مصطفى مرضي، إنسانيات، العدد 60-61، مجلد 17، 2-3، سبتمبر 2013.
- ⁷ - سامعي توفيق: مدى تحقيق مؤسسات التكوين المهني في مدينة سطيف للكفايات المهنية لدى خريجي القطاع المكون، أطروحة دكتوراه علوم في علوم التربية، جامعة فرحات عباس سطيف، الجزائر، 2010-2011.
- ⁸ - ضياء الدين زاهر: جامعاتنا العربية في مطلع الألفية الثالثة "تحديات وخيارات"، كراسات مستقبلية، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 2000.
- ⁹ - عزت حجازي: الشباب العربي ومشكلاته، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة كتب ثقافية شهرية، العدد 6، الكويت، فبراير 1985.
- ¹⁰ - على السيد طنيش: التعلم وعلاقته بالعمل والتنمية البشرية في الدول العربية، المؤتمر الرابع للجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، القاهرة، 1996.

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

- 11- فوشان عبد القادر: الدين والاندماج الاجتماعي عند الشباب، دراسة سوسيولوجية ميدانية لشباب الطريقة القادرية البوتشيشية بمعسكر، مذكرة ماجستير كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، وهران، 2010-2011، ص 39.
- ¹² - ماجد الزيود: الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2006، ص 36.
- ¹³ - مجدي عزيز إبراهيم: تطور التعليم العالي في عصر العولمة، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية، 2000.
- ¹⁴ - محمد سيد فهمي: العولمة والشباب من منظور اجتماعي، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، 2007.
- ¹⁵ - ملكة أبيض: الثقافة وقيم الشباب، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق 1984، ص 57.

ب- باللغة الأجنبية:

- ¹ Alain. Beitone, Estelle. Hemdane: **La definition de l'entreprise dans les manuels de sciences économiques et sociales en classe de seconde**, Skhole, hors-série 1, I U F M de l'académie d'Aix Marseille, 2005.
- ² -Benie Hillarion, Soungari Yeo, éducation à l'entrepreneuriat et propension à entreprendre en contexte de formation professionnelle en Côte d'Ivoire, european scientific journal, vol 13, n° 28, October 2017.
- ³ - Fédération de la formation professionnelle, comprendre (ENFIN) la formation professionnelle un enjeu économique, social et sociétal, MEMO Octobre 2014 .
- ⁴ -Nassira Kouraiche, promotion de l'entrepreneuriat dans l'enseignement supérieur en Algérie, revue des études humaines et sociales –A/sciences économiques et droit, N°20, juin 2018.
- ⁵ -Organisation des nations unies pour l'éducation la science et la culture, **Développement de l'enseignement et la formation technique professionnelle et l'entrepreneuriat des jeunes**, bureau de l'UNESCO à Libreville. Online at <http://www.unesco.org/new/fr/bureau-de-lunesco-a->

د. عبد الرزاق منيش التعليم الجامعي والتكوين المهني كآليات لتعزيز الكفاءات المقاولاتية لدى الشباب

libreville/education/developpement-de-lenseignement-et-la-formation-technique-professionnelle-et-lentrepreneuriat-des-jeunes/.

⁶ - S.Davy, J. Verna: **L'Entrepreneuriat Social**: un lever pour la croissance et l'emploi definition, acteurs et enjeux, INES, 2012.

⁷ - soutenir l'entrepreneuriat dans le système de la formation professionnelle en Tunisie, revue de l'OCDE sur les compétences pour l'entrepreneuriat, 2014.

⁸ - Sophie Brouard; Ouafa Sakka: **Entrepreneuriat social et participation citoyenne**, revue Canadienne de recherche sur les OSBL et l'économie sociale, vol. 1, n° 1, automne/ Fall2010.



عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

بقلم: د. حسان بوسرسوب

□ امعة أبو القاسم سعد الله الجزائري 2

ملخص:

لقد عرفت بلادنا ظاهرة عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري، حيث تحولت من مشكلة على نطاق نسبي إلى ظاهرة واسعة جداً تتضمن المخاطر المصاحبة لها، وتهدف هذه المداخلة إلى محاولة الوقوف على جملة الأسباب المساهمة في استفحال هذه الظاهرة في الآونة الأخيرة؛ حيث تعتبر من المشكلات الاجتماعية التي تمس نسبة كبيرة من الأطفال، وهو ما يتطلب تدخل كافة الجهات و المصالح من أجل مواجهتها و التقليل من حدة انتشارها، فما هو واقع الظاهرة وما هي أسبابها، وما هي سبل وطرائق التخفيف من حدتها؟ كل هذه الأسئلة نسعى إلى الإجابة عنها من خلال هذا العرض الذي يحاول فيه الباحث استنطاق واقع الظاهرة من خلال القراءة السوسيولوجية لحيثياتها.

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

تمهيد (إشكالية الدراسة):

تعتبر ظاهرة عمالة الأطفال من الظواهر القديمة -والجديدة- قدم الإنسانية، حيث وجدت أنماط متعددة منها في مختلف المجتمعات الإنسانية. إذ يعمل الأطفال جنبا إلى جنب مع أسرهم في أعمال الزراعة والرعي و كافة الأنماط الأخرى. و في الوطن العربي كما هو الحال في المجتمعات الأخرى تعد ظاهرة عمالة الأطفال من الظواهر المألوفة منذ القدم كجزء من الثقافة التقليدية للأسرة. ذلك أن الثقافة العربية التقليدية توكل إلى الأبناء العديد من المهام المهنية وهم مازالوا في سن مبكرة، حيث كان الأطفال و إلى عهد قريب يساعدون آباءهم في الزراعة و حينما يكبرون توكل إليهم مهام أكثر أهمية و أكثر مشقة؛ كما أن تقسيم العمل كان وفقا لنوع و عمر الطفل.

و مع تغير الأوضاع في المجتمع الإنساني و انتشار الثقافة الحضرية و هيمنتها أصبح الأطفال طاقات معطلة فأصبحوا استهلاكيين أكثر من كونهم منتجين؛ و أصبحت الأسرة كثيرة الأبناء ينظر إليها بعين الشفقة و الرحمة. و في ظل النظم الحضرية و تفشيها و انتشار الفقر و انخفاض الدخل، أصبحت الكثير من الأسر أكثر حاجة إلى مساعدة أطفالها لها في الحصول على قوت يومها؛ مما دفع بالبعض منها إلى الزج بأبنائهم للعمل في سبيل الحصول على أجر يساعد الأسرة على تربية بقية الأبناء. ثم ازدادت الحلقة اتساعا و ازدادت فوهة بركان الفقر انفتاحا لتصل حممه إلى الكثير من المجتمعات الإنسانية؛ مما جعل أسر كثيرة تصبح أكثر حاجة إلى الموافقة على عمل أبنائهم في أعمال كثيرة خارج نطاق الأسر و تحت ظروف مهنية غاية في الصعوبة.

كما توجد عوامل وأسباب أخرى متداخلة وراء خروج الطفل إلى العمل في هذه السن الصغيرة؛ حيث يجد الطفل ما يعوضه عن الصدمات النفسية و الاقتصادية و اختيار أنواع الممارسات التي تشبع احتياجاته المتنوعة دون أن يعي مدى خطورة ذلك على حاضره و مستقبله و أن هذه الصدمات تربي الطفل للعمل و التعرف عليه و التشبع بقيم و مهارات مجتمع الشارع و التعايش لاحقا معها. و المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات أصبح واحدا من تلك المجتمعات التي تعاني من هذه المشكلة، و التي تطورت لتصبح ظاهرة تؤرق الكثيرين و التي يرى بعض المختصين أنها نتاج للعديد من المشكلات التي تعرض لها المجتمع العربي عامة و الجزائري خاصة؛

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

كالزيادة السكانية وازدياد معدلات الهجرة من الريف إلى المن و بالتالي الضغط على الخدمات. كل هذه الأمور ساهمت في ازدياد معدلات البطالة و الفقر في الكثير من المجتمعات العربية مما ساعد على ازدياد حجم الظاهرة بشكل فاق كل التوقعات و التقديرات. و المثير للاهتمام أن العملية التقديرية لأعداد الأطفال الجزائريين العاملين في المجتمع ليست دقيقة إلا أنها يمكن أن تلفت النظر إليهم على أنهم فئة ضعيفة تواجه صعوبات و مخاطر يومية من أجل تحصيل لقمة العيش وسط غابة من الأقوياء الكبار الذين يفرضون عليهم الاستغلال بشتى أنواعه.

و مع كل هذا التقصير في حق الطفل، نجد أن هؤلاء الأطفال يهيمنون في العمل دون توجيه أو إرشاد مفتقدين لمختلف ألوان الحماية الاجتماعية. و بسبب عدم نضجهم البدني و العقلي، فإنهم قد يكونون عرضة للكثير من الاعتداءات، بالإضافة إلى مخاطر العمل أو التواجد المستمر في العمل، ما قد ينجم عنه حدوث العديد من الإصابات، كانتشار العديد من القيم السيئة بين الأطفال العاملين مثل قيمة تفضيل المال على الدراسة، عادة التدخين وغيرها؛ و الأخطر من كل ذلك عدم تمتعه بأجمل مرحلة في حياته و هي مرحلة الطفولة التي من المفروض أن يتمتع فيها الطفل باللعب و البحث عن مواهبه، حيث أن الطفل العامل لا يستطيع تحقيق ذلك، لأن همه الأكبر هو كسب المال لتلبية احتياجاته أو الإنفاق على أسرته دون أن يهتم لبراءته التي تسرق منه يوما بعد يوم في ظل الجري وراء تحصيل لقمة العيش. و هنا يكمن بيت القصيد، فبدع الطفل إلى العمل و ابتعاده عن المكان الأنسب له و المدرسة، نكون قد قضينا على مستقبله الذي هو مستقبل الوطن باعتبارهم رجال و نساء الغد.

أما في الجزائر فإن الإحصائيات والأرقام تبقى محل تباين وجدل كبير، فوزارة التضامن الوطني والأسرة في الغالب تتحفظ على الإحصائيات الدقيقة والحقيقية حول الظاهرة رغم أن المنظمة العالمية للطفولة في سنة 2012 ذكرت أن الجزائر في مقدمة الدول التي تعرف ظاهرة عمالة الأطفال بشكل كبير قدر ب 8,1 مليون طفل¹. و في ظل هذه الظروف المزرية التي يعيشها الأطفال الجزائريون الذين يمارسون العمالة و يأتي هذا البحث كمحاولة للتطرق لإشكالية عمالة

¹ - أسماء ص، " الواقع مر والأفاق مجهولة عمالة الأطفال في الجزائر"، مقال نشر في صوت الأحرار، (الجزائر: محرك البحث جزايرس، يوم 13-04-2014)، تاريخ الدخول للموقع 20/02/2018م.

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

الأطفال ومما تقدم تظهر أهمية دراسة موضوع ظاهرة عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري، من أسبابها ومفهومها وعلاجها وحلولها وعليه يمكن صياغة إشكالية هذه المداخلة في التساؤلات التالية:

ما هي الأسباب والعوامل التي أدت إلى انتشار ظاهرة عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري؟
و الذي تفرعت عنه التساؤلات الفرعية التالية:

1- ما هو مفهوم عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري؟

2- ما هي أسباب عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري؟

3- ما هي الحلول المقترحة للتخفيف من هذه الظاهرة؟

أولاً- أهمية وأهداف الدراسة:

تتبع أهمية المداخلة الحالية من أهمية الظاهرة التي تتناولها، وخاصة في التعرف على مفهوم عمالة الأطفال، والعوامل والأسباب التي أدت الى استفحالها في الآونة الاخيرة ، ووضع الحلول المناسبة للحد من انتشارها في المجتمع الجزائري. أما عن أهدافها فتتمثل في:

1- التعرف على أسباب انتشار ظاهرة عمالة الأطفال .
2- إبراز الحلول المقترحة للتخفيف والقضاء على ظاهرة عمالة الأطفال.
3- قلة البحوث والدراسات بشأن هذا الموضوع على حد علم الباحث.
4- الحاجة لمثل هذه الدراسات باعتبارها ظاهرة في ازدياد مستمر لابد من مواجهتها.

ثانيا- منهج البحث وأدوات جمع البيانات:

إذا كان المعهود أن تكون الدراسات التي تصنف علاجاً هي دراسات تحليلية و تقويمية تأتي بعد دراسات وصفية سبقتها ومهدت لها فالحقيقة أن هذه الدراسة نظراً لصغر حجمها، وضيق وقتها، و مفاجأة مناسبتها فإنها تعتبر رغم أنها تصنف علاجاً... فإنها دراسة نظرية تحليلية تمثل اقتراحاً مبدئياً للموضوع.

ولجمع البيانات تم اعتماد على مجموعة من الوثائق و المصادر المهمة التي تناولت موضوع عمالة الأطفال.

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

ثالثا- تحديد المفاهيم المستخدمة:

قدمت المداخلة مفاهيم جديدة لمصطلحات قديمة متداولة إلا أنها كانت تطلق وفق مفاهيم مستوردة، استوردتها الدراسات الاجتماعية المترجمة، حيث أن علم الاجتماع في طوره الحالي بدأ مستورداً ومترجماً حتى أننا نجد الكتب تكتظ بأراء الآخرين و تزدهم بالنقل، ثم تذكر على سبيل التذكارة وليس التفعيل و المناقشة و البناء عليها. لكي يتسنى للقارئ تحقيق التوافق بين ما ترمي إليه بعض المفاهيم و معانيها مستعملة في هذه المداخلة، يجب علينا هنا التطرق إلى حدود هذه المفاهيم التي نقصدها في هذه المداخلة و تتمثل أبرز هذه المفاهيم في ما يلي:

01- مفهوم عمالة الأطفال:

حاول مانير Manier حصر تعريف مصطلح عمل الأطفال وفقاً لما تنص عليه التشريعات و القوانين الدولية ، كما حاول التفريق بينه و بين مصطلحات أخرى كالاستغلال و الاستعباد بحيث فرق بين مصطلحين باللغة الانجليزية هما: Child Labour و Child Work و عليه يدل مصطلح عمل الطفل على جملة الأنشطة التي يقوم بها الطفل لمساعدة العائلة و التي تعتبر عملية تحضيرية للاندماج الاجتماعي، ولا تدخل هذه الفئة لا تحت الاستغلال و لا تحت الاستعباد كما أن الأنشطة لا تمنع الأطفال من متابعة دراستهم.¹ أما عن العمل الشاق للطفل و المضني للطفل الذي يهدف إلى الفائدة الاقتصادية (كسب المال) و هذا النوع من العمل لا يمكن للطفل أن يمارس معه أي نشاط مدرسي لأنه يشغل كل وقته و يمتص طاقته و يعرض صحته الجسمية و النفسية الاجتماعية للخطر.²

وهي كل نشاط يبذل سعياً وراء تحصيل لقمة العيش أو هي جميع النشاطات المبذولة كجزء من عمليات الإنتاج للحصول على لقمة العيش.³ هي نشاط يقوم به الأطفال إما أن يسهم

1- عبد الرحمن بن محمد عسيري، تشغيل الأطفال و الانحراف، دط ، (الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات و البحوث ، 2005)، ص 30.

2- عبد الرحمن بن محمد عسيري، مرجع سابق، ص 40.

3- جيري رودجرز و جاي ستاندينغ، تشغيل الأطفال و الفقر و التخلف، د ط، تر، خالد أسعد عيسى، (دمشق، منشورات وزارة الثقافة ، 1998)، ص 107.

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

بالإنتاج و إعطاء البالغين فرصة للحصول على الراحة و الفراغ و تسهل عمل الآخرين أو أن يكون بديلاً لاستخدام الآخرين. إلى جانب ذلك توجد بعض الاختلافات بين ما يسمى الأطفال العاملين أو عمالة الأطفال و بين مصطلح أطفال الشوارع: فالأطفال العاملين في أغلب الأحيان يعيشون داخل أسر متكاملة تسود بين أفرادها علاقات طبيعية و سوية؛ بينما أطفال الشوارع في أغلب الأحيان يعيشون في الشوارع و الطرقات و المباني المهجورة و الأراضي المهملة. كما أن الأطفال العاملين هم أطفال مرغوب فيهم من قبل أسرهم حيث يساهمون في زيادة دخل الأسرة و هم مصدر الدخل الوحيد.

02- مفهوم تشغيل الأطفال:

هم الأطفال الذين يعملون بموافقة أسرهم وبالتفاهق مع صاحب العمل سواء كان في ورشة أو محل أو مصنع أو دكان ، والسبب في عملهم هو تحسين دخل الأسرة.¹ ولقد فرق بعض الباحثين في المجال التربوي والاجتماعي بين مصطلح تشغيل الأطفال و عمالة الأطفال فقالوا: إن عمالة الأطفال هي العمل الاستغلالي الذي يسيء إلى الطفل جسدياً أو نفسياً أو اجتماعياً، بينما تشغيل الأطفال أو عملهم هو العمل الإيجابي للطفل الذي يحقق له منفعة كأن يكسبه حرفة أو يدر عليه ربحاً. هذا التفريق في الاصطلاح هو تفريق عند بعض علماء التربية والاجتماع. والأصل في التعريف أن يكون منصباً على بيان ماهية الشيء المراد التعريف به دون التفصيل في بيان حكمه وآثاره، لذا فإن الباحث لا يفرق بين هذه المصطلحات فهي مترادفة المعنى أينما وردت في هذا البحث.

03- مفهوم الطفل:

ورد لفظ الطفل في العديد من الوثائق و الاتفاقيات الدولية و اصدارات حقوق الانسان، و حسب ما جاء في اتفاقيات حقوق الطفل أنه " كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة ، ما لم يبلغ

1- موسى ، أحمد محمد ، أطفال الشوارع المشكلة وطرق العلاج ، ط1، (المنصورة ، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع ، 2009)، ص 12.

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المطبق عليه¹ و المعروف أن مرحلة الطفولة تمتد من الولادة إلى سن البلوغ و يعرف باركر Berker مرحلة الطفولة " بأنها المرحلة المبكرة في دورة حياة الانسان ، و التي تتميز بنمو جسدي سريع للطفل وسعي لتنشئة الأطفال لإعدادهم لأدوار البالغين و مسؤولياتهم من خلال وسائل اللعب و التعليم الرسمي غالباً.²

كما تجدر الإشارة أنه ليس هناك اتفاق بين المختصين حول تحديد مرحلة الطفولة إلا أن معظم بلدان العالم المصادقة على اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الامم المتحدة تأخذ بالتعريف الصادر عنها و الذي ينص على أن الطفل " كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة ، مالم تردد القوانين الوطنية سنا أصغر للرشد.³

* **التعريف الإجرائي للطفل:** في هذه المداخلة نعرف الطفل بأنه ذلك الكائن البشري من جنس الذكر، و الذي يتراوح عمره ما بين 13 إلى 15 سنة، و يحتاج لحماية تبدأ منذ لحظة ميلاده، و ذلك من أجل نموه البدني و النفسي و الفكري حتى يصبح بمقدوره الانضمام لعالم البالغين، و الذي ترك الدراسة للعمل في شوارع المدينة للحصول على لقمة العيش.

* **التعريف الإجرائي لعمالة الأطفال:** هم الاطفال الذين يبدؤون العمل في سن مبكرة ، وبأعمال لا تتناسب مع أعمارهم ولا قدراتهم الجسدية والعقلية وانتهاك أبسط حقوقهم المتعلقة بالعلم والنماء والراحة نتيجة ظروفهم الاقتصادية الصعبة التي أجبرتهم على العمل لقاء أجور يومية أو أسبوعية. وبالتالي هو العمل الذي يضع أعباء ثقيلة على الطفل، و يهدد سلامته و صحته و رفايته و يستفيد من ضعفه و عدم قدرته على الدفاع عن حقوقه، حيث يستغل الطفل كعمالة رخيصة بديلة عن الكبار و لا يساهم هذا العمل ففي تنميته بل يعيق تعليمه و يغير حياته و

1- محمد السيد، تجريم الإتجار بالأطفال في القوانين و الاتفاقيات ، دط، (الرياض ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، 2009)، ص 91.

2- آل سعود منيرة بنت عبد الرحمن ، إيذاء الأطفال ، دط، (الرياض ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، 2010)، ص 42.

3- الأمم المتحدة، اتفاقية حقوق الطفل ، دط، (السودان، و حدة حقوق الانسان بعثة الامم المتحدة إلى السودان ، 1979)، ص 87.

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

مستقبله. و يتمثل عمل الطفل الجزائري في بيع البقدونس، قطع الصابون، علب الشكولاتة و الأكياس البلاستيكية بأثمان رخيصة دون رخصة عمل و مقر للعمل .

رابعاً- المقاربة النظرية لظاهرة عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري:

في هذا الجزئية من الورقة العلمية نقدم إشارة بسيطة لفحوى النظريات السوسيولوجية باعتبار أن عمالة الأطفال ظاهرة سوسيولوجية ولا بد من تحليلها وقراءتها وفق سياق اجتماعي تاريخي اقتصادي، أي لدراستها كظاهرة سوسيولوجية لا بد من فهمها انطلاقاً من المجتمع الذي تتواجد فيه، لذلك تعددت الدراسات واختلفت الرؤى، وفي هذه الجزئية من البحث سنورد بعضها منها ونحاول تقديم أهمها مع التركيز على بعض النظريات التي يرى الباحث أنها ممكن أن تقدم تفسيراً قريباً لظاهرة عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري .

1- نظرية التقليد والمحاكاة:

وتقوم نظرية التقليد والمحاكاة على أساس أن التقليد للسلوك الاجتماعي هو أساس تعلم السلوك الإجرامي، فالفرد لا يكون مجرماً إلا إذا قلده غيره من المجرمين المحيطين به، والتقليد نوعان:

أ. تقليد اجتماعي: وينتقل عن طريق القيم والعادات والتقاليد من جيل إلى آخر في نفس المجتمع، أو عن طريق تقليد قيم جماعة يختلط بها الشخص في مجتمع ما.

ب . تقليد فردي: وينتقل عن طريق السلوك السوي أو المنحرف من شخص إلى آخر. وإذا كان "تارد tard" قد أقام نظريته في انتقال السلوك على فرضيته الأساسية في الإيحاء أو التقليد فإن "أودن سيدرلاند 1883.1950". كان أكثر دقة في كيفية حدوث هذا الانتقال بالنسبة للسلوك الإجرامي بوجه خاص، ولقد بنى سيدرلاند نظريته الاجتماعية على فرضية جديدة سماها. نظرية الاختلاط التفاضلي، وبدأ من فرضية واحدة هي: وجود حالة عدم التنظيم

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

الاجتماعي هو الذي يربط المواقف الملائمة لانتقال بعض الأنماط السلوكية الإجرامية من أشخاص مجرمين إلى أشخاص غير مجرمين.¹

واعتمد في صياغتها على مجموعة من الدراسات التطبيقية على الأحداث الجانحين والأطفال المشردين في منطقة قريبة من لوس أنجلس، وقد حاول تفسير انخراط الأشخاص في السلوك الإجرامي على أساس عدة دعاوى أساسية:

- أن السلوك الإجرامي ليس فطريا وإنما يكتسب بالتعلم الذي يتم عن طريق مخالطة المجرمين والتفاعل معهم.

- يتم تعلم السلوك الإجرامي داخل جماعات يرتبط أعضاؤها بعلاقات شخصية قائمة على المودة.

- يصبح الشخص منحرفا بسبب توصله إلى مجموعة تحديرات أو تعريفات، تجعل مخالفة القانون مسألة ملائمة، وبذلك يصبح الشخص مجرما حين يخالف النماذج الإجرامية.

- أن تفسير السلوك الإجرامي عن طريق اللجوء إلى الدوافع والقيم الاجتماعية والمبادئ الشائعة كمبدأ السعادة والحصول على المكانة الاجتماعية، ودوافع الحصول على المال والإحباط، هي تفسيرات خاطئة لا معنى لها طالما أنها تفسر السلوك القانوني بنفس الأسلوب الذي يفسر به السلوك الإجرامي باعتبار يمثل تعبيرا عن حاجات وقيم عامة²

ويمكن أن تساهم هذه النظرية في تفسير ظاهرة عمالة الأطفال، حيث نجد كثيراً من الأطفال يقلدون زملاءهم الآخرين أو بني جنسهم، الذين ربما يكونون قد استفادوا مادياً من العمل وبالتالي يمارسون هذه المهنة.

2- النظرية الاقتصادية:

يفترض أصحاب هذا الاتجاه النظري أن سوء الأحوال الاقتصادية هي التي تدفع الفرد للسلوك الإجرامي، ويبرز فيها اتجاهان أحدهما: يربط السلوك ببعض العوامل الاقتصادية،

1- عدنان الدوري، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي، دط، (الكويت، منشورات ذات السلاسل، 1198)، ص 248.

2- سامية محمد جابر، سوسيولوجيا الانحراف، دط، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2004)، ص 65.

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

كالفقر والبطالة وتشغيل الأطفال، والثاني: يمثله أصحاب النظام الاشتراكي الذين يفسرون الجريمة على أنها وليدة النظام الاقتصادي الرأسمالي، الذي يقوم على ظاهرة الاستغلال الطبقي الذي يؤدي إلى المشكلات، ومنها الجريمة.¹

وقد بنى "كارل ماركس" نظيره على ما استطاع أن يستخلصه من تشابه الجرائم وانتشار أشكالها في المجتمعات الرأسمالية على السواء في كونها تعبر تعبيراً مباشراً للأوضاع المادية في المجتمع، أي: أن ظاهرة الإجرام تخضع لسمات متأصلة في البناء الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع بشكل أكثر من خضوعها لحرية إرادة المجرم المتغيرة.

ولكي يخفف مما يكتسبه هذا التنظير من حتمية اجتماعية اقتصادية، نادى بأن الإجرام نوع من رد الفعل الرفض لهذه الحتمية ونابع في أساسه من حرية إرادته في مواجهة ضغوط المجتمع التي تعمل على قهره، فإذا تم تغيير البناء الاجتماعي على وجه العموم والاقتصادي على وجه الخصوص تغييراً جذرياً - تزول على إثره كل أنواع الضغوط المادية القاهرة - فإن رد الفعل بدوره سوف يتغير من الرفض إلى الاندماج والتعاون. وهكذا يختفي السلوك الإجرامي في المجتمع الاشتراكي، حيث يصبح الفرد على عكس ما كان في المجتمع الرأسمالي غير مغترب عن نشاطه الإنتاجي، وعن رفاقه، وعن المجتمع كله، ويخمد كل ما كان يشتعل في داخله من صراع جدي بين حرية إرادته كإنسان مفكر، وانسحاق هذه الإرادة تحت وطأة عدالة تقنن لها الطبقة الرأسمالية المتحكمة القاهرة، وتراقب تنفيذ قوانينها مراقبة صارمة، ويخضع الخارجون على هذه القوانين لعقوبات قاسية رادعة.² وأما عن علاقة النظرية الاقتصادية بالظاهرة المدروسة في هذه المدخلة، فإنه يمكن القول: إنَّ الضغوط الاقتصادية والاجتماعية التي يجد الطفل نفسه فيها، نتيجة وجوده في المدينة، وتعقيدات الحياة فيها تضطره إلى العمالة المبكرة، لسهولة التكسب، مع وجود طبيعة المجتمع الجزائري المتخلق حيث

1- عبد الله بن حسين الخليفة، المحددات الاجتماعية لتوزيع الجريمة على أحياء مدينة الرياض، د ط، (المملكة العربية السعودية، وزارة الداخلية، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، د ت)، ص 45 .49.

2- محمد عثمان عارف، الجريمة في المجتمع، نقد منهجي لتفسير السلوك الإجرامي، د ط، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975)، ص 716 722.

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

يتحلى بقيم العاطفة والرأفة والشفقة على المساكين والأيتام والأرامل، ورسوخ قيم الجسد الواحد المنطلقة من الدين الإسلامي في هذا المجتمع، وتربية الناس عليها.

3- نظرية التفكك الاجتماعي:

يعني التفكك الاجتماعي في نظر العالم الأمريكي "أليوت كوهين" a.cohen الاضطرابات والصراعات وكذا الانشقاقات التي تحدث في نطاق جماعة من الجماعات، أو في مجتمع ما، ويؤثر على العادات الاجتماعية السائدة فيه، أو على النظم الاجتماعية أو على الضوابط الاجتماعية بطريقة تجعل من المستحيل أن يتحقق لهذه الأمور أداءً وظيفياً منسجماً، وتقوم هذه النظرية على تحديد العلاقة بين أنواع المجتمعات من ناحية، وبين مراحل حياة الفرد داخل نفس المجتمع من ناحية أخرى.¹ إن كل فرد يرتبط بمجموعة من الوحدات الاجتماعية التي تشبع حاجاته الجسدية والنفسية والاجتماعية، وداخل كل وحدة من تلك الوحدات تقوم معايير سلوكية يلتزم الفرد بها مقابل انتمائه لتلك الوحدات (الأسرة، جماعة المدرسة، جماعة العمل، جماعة اللهو...). وكلما تعددت الجماعات التي ينتمي إليها الفرد، ازدادت المعايير التي يطالب بالالتزام بها، وتعددت فرص انعدام الانسجام بين المعايير السلوكية لتلك الجماعات، مما يؤدي إلى صراع داخلي لدى الفرد، قد يؤدي به إلى التخلي عن بعض تلك القيم والمعايير، ومن ثم إلى الانحراف في نظر الجماعة التي تخلى عن معاييرها. وهذا التفسير قد يساعدنا في فهم أسباب التفكك الأسري وانعدامه، أو ضعف الروابط الاجتماعية بين الجيران، وتخلي كثير من الأفراد عن صلة الرحم، وخاصة في المجتمعات المدنية، حيث يهتم الفرد أساساً بحاجاته الشخصية، ومصالحه المادية، ويضعف بالتالي ولاؤه وانتماؤه للوحدات الاجتماعية التي كانت تساهم في تلبية تلك الاحتياجات. وهذا هو مفهوم التفكك الاجتماعي الذي نستطيع من خلاله

1- عبد الخالق جلال الدين، الجريمة والانحراف الحدود والمعالجة، دط، (الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1999)، ص 204.

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

أن نصل إلى تفسير منطقي لارتفاع معدلات الانحراف في المجتمعات التي تعاني من التفكك بكافة مستوياته.¹

وبالتالي فهذه النظرية يمكن الاسترشاد بها في تفسير ظاهرة عمالة الأطفال؛ لأنّ الأفراد كلما كانوا غير معروفين (غرباء أو أجنبي) لدى الجماعة كانوا أكثر ميلاً لمخالفة القواعد والأنظمة المعمول بها في الجماعة، ونجد أن نظرية التفكك الاجتماعي قد أخذت في الحسبان في تفسيرها للجريمة بمظاهر التغيير الاجتماعي المترتب على الثورة الصناعية، والمتمثل في سرعة درجة التحضر والحراك السكاني، فقد رأى أصحاب هذه النظرية أن التفكك الاجتماعي ينشأ عن التغيير الاجتماعي، على خلاف التنظيم الاجتماعي الذي عبر عنه دوركايم باسم التماسك الاجتماعي الذي يسود المجتمعات المتميزة، تلك المجتمعات التي في إطارها ينخرط الأفراد في علاقات اجتماعية متينة ما يمثّل سداً مانعاً حدوث أو انتشار ما يخالف قواعد المجتمع من تصرفات وسلوكيات غير مرغوب بها.

ويركّز أصحاب هذه النظرية بشكل خاص على العلاقات الأولية المتمثلة في العلاقات الشخصية (علاقة الوجه للوجه) التي تنمو بصورة طبيعية مع الترابط بين الأفراد، وتتلور في هيئة التجمعات القرابية والصدقات، وتعد هذه العلاقات أهم من العلاقات الثانوية في إفراز مجتمع منظم ومتربط تخلو أو تقل فيه مظاهر الانحراف. وعلى ذلك فإن أصحاب نظرية التفكك الاجتماعي يرون بأن هناك صلة تربط ما بين العلاقات الأولية والثانوية بدءاً من الترابط والتعاقد الكلي، كما في العلاقات القرابية البحتة في المجتمعات المستقرة، ومنتهياً بالعلاقات المجردة وغير المباشرة كالعلاقات الرسمية البحتة التي تربط الأفراد الذين ينتمون إلى مؤسسات بيروقراطية في مجتمع صناعي. ومن هذا يعتقد منظرو التفكك الاجتماعي، أنه كلما كانت العلاقات أولية بين الأفراد في المجتمع كان ذلك المجتمع أكثر ترابطاً وتنظيماً، وأكثر خلواً

1- مساعد بن إبراهيم الحديثي، مبادئ علم الاجتماع الجنائي، دط. (الرياض، مكتبة العبيكان، 1416هـ)، ص 97-98.

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

من انتشار السلوكيات المنحرفة. والعكس صحيح أي: أنه كلما كانت تلك العلاقات ثانوية كان ذلك المجتمع أكثر تفككاً، وأقل تماسكاً، وأكثر معاناة من ارتفاع معدلات الجريمة والانحراف.¹ فوجود الفرد في محيط اجتماعي سيؤدي إلى تشكّل التفاعلات الاجتماعية للأفراد في ضوء تلك القيم، مما يقلل من فرص ظهور السلوكيات المنحرفة بينهم، ويكرّس من سيادة السلوك الاجتماعي الطبيعي. ومن هنا يمكن القول: إن إقامة الأفراد في محيط اجتماعي غير المحيط الذي نشئوا وترعرعوا فيه يعني انحسار دور تلك المؤسسات الاجتماعية التي ترعرعوا في ظلها في استمرار طبيعة سلوكهم، على ما كانوا عليه قبل انتقالهم إلى المحيط الجديد، مما يجعل توقع ظهور السلوك المنحرف أمراً ممكناً، ونقصد هنا بالسلوك المنحرف، ظاهرة عمالة الأطفال.

4- النظرية الجنائية العمرانية:

يفترض أصحاب هذه النظرية بأن هناك رأي يسند الإجرام إلى النمو العمراني الحضري الذي يمتاز بالتغير الثقافي السريع، وازدياد نسبة الهجرة من القرى إلى المدن زيادة هائلة، واختلاف الثقافات الفرعية، كثافة القرى والبوادي، وتناقضها مع ثقافة المجتمع ككل من وجوه كثيرة، وانتشار العلاقات العابرة غير المتينة التي لا تشعر الأفراد بالطمأنينة، وراحة البال من جهة، ولا تجعلهم يحتكمون بسيادة معايير مستقرة واحدة، فالمعايير السائدة تصبح مضطربة ومتضاربة، فيؤدي هذا الاهتزاز المجتمعي إلى حالة من الفوضى. وتفسر كثرة انتشار الجرائم في الولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث على سبيل المثال، بأنها ظاهرة رافقت نمو المدن، وما صحب ذلك من انحلال وتحول سريع للأوضاع القديمة التقليدية التي كانت تعمل منذ عهد بعيد على ضبط سلوك الأفراد، والتفسير نفسه يقدمه الباحثون في بريطانيا

1- عبد الله بن حسين الخليفة، أثار اتجاهات الجريمة، والخصائص الاجتماعية، والاقتصادية لمجتمعات الوافدين الأصلية في سلوكهم الإجرامي في المجتمع السعودي، دط، (الرياض، مكتبة العبيكان، دت)، ص 177، 175.

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسولوجية

عن انتشار الجريمة في المدن الكبرى ، وعلى رأسها لندن وليفربول ... وكذلك وجد الباحثون التفسير ذاته في مناطق كثيرة من العالمين الغربي والشرقي.¹ ويمكن أن تساعد هذه النظرية نوعاً ما في تفسير ظاهرة عمالة الأطفال، إذ من المحتمل أن يكون لكثرة المهاجرين في المدن وكثافة السكان فيها دور كبير في انتشار ظاهرة عمالة الأطفال نظراً للكثافة السكانية والاختلاط بجنسيات مختلفة، فالشخص عندما يعمل يجد في المدن ملاذاً آمناً من ملاحظة من يعرفونه، أو التعرّف عليه بسبب الزحام في المدن، وهناك عوامل أخرى تساهم في خلق عمالة الأطفال منها عوامل الهجرة الداخلية (محلياً) وكذلك الهجرة الخارجية، من خارج الوطن (الجزائر)، خاصة في الآونة الأخيرة بسبب الإضطرابات الأمنية والحراك الاجتماعي وتغير الأوضاع في البلدان المجاورة .

خامساً: الدراسات السابقة:

1- الدراسات الأجنبية:² تفاوتت الدراسات السابقة لعمالة الأطفال من حيث اتساعها أو تعمقها في دراسة الموضوع ونذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر دراسة لـ "هيئة العمل للشباب المسيحي بفرنسا" بعنوان "عمالة الأطفال في فرنسا". الهدف من البحث: إلقاء الضوء على الظروف الحياتية للأطفال العاملين في المصانع. مجالات الدراسة: المجال البشر 10.000 طفل عامل ذكور وإناث ، المجال الجغرافي: فرنسا؛ المنهج: استخدام المسح الاجتماعي، والنتائج المتوصل إليها هي كما يلي:

- أن 30% من الأطفال العاملين يعيشون بعيداً عن أسرهم.
- أن 28% يستأجرون حجرة واحدة يتراوح إيجارها بين 5 و 2 فرنك شهرياً.
- أن 36% من الأطفال العاملين يعودون إلى بيوتهم مرة واحدة في الشهر.

1- حسن الساعاتي، النظريات الاجتماعية لتفسير السلوك الإجرامي، (الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، أبحاث الندوة العلمية السادسة، 1407هـ)، ص 106.105.

2- مصدرها وفود الدول العربية والمنظمات والهيئات المشتركة في المؤتمر، العمالة والتصنيع ودورهما في التنمية، دط، (القاهرة، دت).

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

- أن 30% من الأطفال العاملين تقدر المسافة بين المصانع التي يعملون بها وأماكن إقامتهم بما يزيد عن 50 كلم، وقد ترتب على ذلك ضعف الروابط التي تربط الأطفال وتوحدتهم بأسرهم. وتبين أنه من الصعب أن يجد الأطفال عملا في المناطق المجاورة لمساكنهم فيتجهون إلى العمل بعيدا عن منازلهم، نتيجة لشروط العمل فيقبلون من الأعمال ما قد يكون مخالفا لتدريبهم و من النادر جدا أن تسمح أجور الأطفال العاملين بفائض يزيد عما يدفعونه لإيجار مسكن، ولهذا يجدون أنفسهم في ظروف غير ملائمة و إن الدخل المنخفض يؤدي إلى سوء تغذيتهم وضعف صحتهم.

- أما الإناث فيقضين ثمان ساعات أو عشر ساعات في جو غير مناسب من الناحية الأخلاقية. وقد تتطلب بعض الصناعات دوريات بين العمال فيقسمون على فترات يتعذر معها إجتماع أفراد الأسرة الواحدة في المنزل، وهكذا تنعدم المشاركة الإيجابية بين أفراد الأسرة. ونشير أيضا إلى المسح الذي أجرته "جمعية الشباب المسيحي للعمال بفرنسا" في مصانع النسيج في "باريس". وأوضحت أن 8000 من الأطفال الصغار المستخدمين في مصانع النسيج في منطقة مجاورة لباريس، يركبون الحافلة التي تتراوح رحلتها بين 60 و 95 كلم، وهكذا يتضح إنعدام الاتصال بين أفراد الأسرة.

2- الدراسات العربية:

من أهم الدراسات التي تناولت موضوع عمالة الأطفال دراسة ل " فرياق بحث لليونيسييف " بعنوان " عمالة الأطفال في العراق "1 هناك ظاهرة عامة برزت في المجتمع العراقي، وهي ظاهرة عمالة الأطفال وذلك راجع إلى المآسي، والصعاب التي عاشتها الأسر العراقية. فآلاف الأسر فقدت أوليائها بسبب النزاعات وضغوط الحياة، فاضطر آلاف الأطفال للعمل دون السن القانونية لمساعدة أسرهم، وأيضا كان للفقر أثره البالغ في اتساع ظاهرة عمالة الأطفال، ويشير تقرير اليونيسييف أن التدهور التدريجي للتعليم ترافق مع تعاظم مسؤولية الأسرة في توفير مستلزمات الحياة، وأن عمل الأطفال يحول دون استقرار الدوام في المدارس، وتبدأ خطورة عمالة الأطفال من حيث علاقتها بالجنوح، فقد قدرت اليونيسييف أن عدد الأطفال الذين أحيلوا إلى مؤسسات الأحداث إرتفع بنسبة خمسة أضعاف، " وأظهرت الدراسة أن 70% من الأطفال

1- عدنان ياسين مصطفى، " عمالة الأطفال في العراق "، (مجلة المستقبل العربي، العدد 295، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2003).

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

العاملين الذين خضعوا للدراسة إرتكبوا جرائم سرقة، وأن 45.40% يعانون من ظروف عمل سيئة، وأن 69 طفلا يعملون في مهن الحدادة والسمكرة والبقالة في بغداد، وأن 48.60% يقضون من 9 إلى 10 ساعات يوميا في العمل، و 39% من الأطفال العاملين تعرضوا للضرب، و 94% تركوا مقاعد الدراسة، و 69.80% يأكلون وجبة طعام واحدة، و 33% يفكرون بالموت والإنتحار خاصة مع الظروف الأمنية الغير مستقرة التي تمر بها البلاد.

وانتهت الدراسة التي قام بها أحمد عبد الله¹ عام 1999 للتعرف على الواقع المادي لعمل الأطفال في صناعة و دباغة الجلود و الدافع وراء عملهم إلى أن الحاجة إلى المال كانت أكبر الأسباب المؤدية إلى عمل الأطفال بنسبة 90% حسب رأي الوالدين و 50% حسب الأطفال. بالإضافة إلى عدم القدرة على تدبير مصاريف الدراسة حيث بينت الدراسة بأن الأسر ذات المستوى الاقتصادي المنخفض هم الذين يدفعون بأطفالهم إلى العمل بدلا من التعلم بحثا عن دخل أكبر لمواجهة متطلبات المعيشة.

3- الدراسات المحلية:

أما عن أدبيات هذه الظاهرة في الجزائر فقد تناولت دراسة شرفة سامية² الأسباب المؤدية لظهور عمالة الأطفال على

عينة قوامها 114 طفل عامل موزعين بين ولايتي باتنة و قسنطينة، والتي خلصت إلى أن الأسباب متفاوتة بين الاقتصادية و الاجتماعية و المدرسية و كذا الذاتية الخاصة بالطفل نفسه. و أثبتت دراسات وطنية أخرى أنه في العشرية الأخيرة هناك ما يزيد عن 600 ألف طفل ذكر مجبرين على العمل من أجل المساهمة في تحقيق الإشباع لحاجاتهم و حاجات أسرهم و ما يقارب عن 760 ألف بنت بين 06-16 سنة غير متمدرسين، مع تسجيل تواجد أقل للإناث في مجال العمل لأن وضعياتهم العائلية تكون صعبة و لا تسمح لهم بالخروج إلى سوق العمل خوفا من الاعتداءات. و في نفس السياق قدرت الهيئة الجزائرية لتطوير الصحة و البحث عدد الأطفال الذين يتم

1- أماني عبد الفتاح، عمالة الأطفال، ط1، (مصر، عالم الكتب، 2001)، ص 116.

2- شرفة سامية، "أسباب ظهور عمالة الأطفال"، (رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، قسم علم الاجتماع، 2011)، ص 15. عن الموقع:

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

استغلالهم ففي الجزائر للعمل في مهن لا تتناسب و اعتبارات أعمارهم حوالي 300 ألف طفل، و أكدت نتائج التحقيق الذي شمل 2979 طفلا ضرورة اتخاذ إجراءات للحد من هذه الظاهرة. و قد صنفت الجزائر حسب أحد التقارير الأولى عربيا في مجال عمالة الأطفال، حيث كشفت أرقام اليونيسيف و منظمات غير حكومية عن إحصاء مليون طفل عامل في الوقت الذي اعترفت فيه الجزائر عن تسجيل 146 حالة فقط بالإضافة إلى ما يقارب عن 500 ألف متسرب مدرسيا يسجل سنويا ليحتضن الشارع أطفالا لا يتعدى عمرهم 15 سنة¹.

4- جوانب الاستفادة من الدراسات السابقة:

ومما نستشفه على الدراسات السابقة هو أنها تتفق مع موضوع الدراسة الحالية وأنها أشارت إلى أن عمالة الأطفال ظاهرة ومشكلة لا تتفق مع العادات والتقاليد، ولا بد من الوصول إلى حلول من شأنها الحد من بقاء هذه الظاهرة والإقلال منها قدر الإمكان، ولقد تم الاعتماد على هذه الدراسات في التعرف على بعض الجوانب المنهجية والتقنية، إلى جانب محاولة مقارنة النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسات مع البحث الحالي، كما استخلص الباحثان أن هناك اهتماما كبيرا في الدول الغربية والعربية بدراسة ظاهرة عمالة الأطفال، غير أنها تناولت جانبا واحدا من جوانب الظاهرة المتعددة الإتجاهات والحقول المعرفية، لكن ما هو ملاحظ أن هناك نقصا كبيرا في الدراسات الجزائرية في مجال علم الاجتماع، لذا جاءت هذه المداخلة في محاولة لربط ظاهرة عمالة الأطفال مع جميع الجوانب سالفه الذكر مما لم تتناوله بعض الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع المداخلة والذي بدوره ينطلق من تساؤل رئيسي مفاده: ما هي أهم الأسباب التي ساهمت في انتشار ظاهرة عمالة الأطفال في المجتمع الحضري الجزائري؟ وعليه فإن الإجابة عن هذا التساؤل ستوضح من خلال وصف وتشخيص أسباب استفحالها.

توجد في حدود علم الباحثان بعض الدراسات السابقة شملت مجموعة المتغيرات المشتركة في هذه المداخلة وهذا ما يجعل الدراسة جديدة عن سابقتها في هذا المجال كما أن الدراسات السابقة أظهرت فروقا نوعاً ما في بعض النتائج التي توصلت إليها وذلك يرجع إلى

1 . www.Chm.orgloio.lerxe/search/closeup...infolid:18854

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيوولوجية

اختلاف البيئة التي أجريت فيها الدراسة. وبعد دراسة معمقة لدراسات السابقة، ورغبة الباحث أن تكون دراستهما مكملتا لدراسات سابقة، وتكون شاملة، ومعرفة أسباب انتشارها في المجتمع الجزائري حسب متغيرات وضعها الباحثان، كما أن المداخلة أجريت في البيئة الجزائرية والتي تختلف عن البيئة العربية والأجنبية في كثير من المجالات.

وتنفرد هذه المداخلة عن غيرها في أنها:

* بأنها تعتبر إحدى الدراسات التحليلية التي تُطبق في البيئة الجزائرية من حيث متغيراتها السوسيو دينية في حدود علم الباحث .

* تُقدم تصور إسلامي لكيفية التعامل مع الظواهر الاجتماعية من منظور علم الاجتماع الديني.

* قد تمهد هذه الدراسة الطريق للدراسات اللاحقة كأن تؤسس لوسائل التعرف على وقائع وطبيعة وخصائص المشكلة من ناحية، وتحديد الأهداف وصياغة الفرضيات وتساؤلات الدراسة التحليلية من ناحية ثانية .

سادسا- حجم ظاهرة عمالة الأطفال في العالم العربي:

لقد عرفت ظاهرة عمالة الأطفال إنتشارا ملحوظا خاصة في الدول المتخلفة، وحتى في دول العالم المتقدم، غير أن الذين يعملون في العالم المتقدم هم في أغلب الأحيان من أصول دول متخلفة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا. مما أدى إلى تفاقم ظاهرة عمالة الأطفال في مختلف أنحاء العالم بشكل كبير، ولا تتوقف عند حد العمل في سن صغيرة فقط، بل يتعرض الأطفال للعديد من الممارسات الغير أخلاقية في العديد من المجتمعات. وتعتبر عمالة الأطفال من بين الظواهر الاجتماعية التي أخذت أبعادا كثيرة في الوقت الراهن، نظرا للنتائج الوخيمة الناجمة عن عمل الأطفال منذ سن مبكرة، بغض النظر عن القوانين الصارمة التي تحد من هذه الظاهرة، و الاحتياج الذي دفع العائلات إلى رمي أطفالهم في خطر الشوارع. ومما لاشك فيه أن حقوق الطفولة والعناية والاهتمام بها كانت محطة العديد من الأديان، حيث تم وضع قواعد السلوك التي من شأنها أن تساعد في القيام ببناء مجتمع يتصف بالعدالة والمحبة. وفي نفس السياق تعتبر عمالة الأطفال مشكلة حقيقية في المنطقة العربية، والأدلة على نموها أنها تزداد يوما بعد يوم، وخاصة عمل الأطفال في القطاع غير الرسمي، وفي الأعمال الموسمية الزراعية والعمل في الشوارع والمنازل،

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

ورغم ما تنص عليه أغلبية قوانين العمل العربية من منع عمل الطفل، إلا أن الظاهرة تزداد اتساعا حيث "كشفت أحدث تقرير لمنظمة العمل الدولية عن وجود 13 مليون طفل عامل في الدول العربية، تأتي منطقة المغرب العربي في الصدارة ب 6.2 مليون¹.

سابعا- عمالة الأطفال في الجزائر:

1- لمحة تاريخية عن عمالة الأطفال في الجزائر:

يكاد يكون تاريخ عمالة الأطفال في الجزائر مماثلا لما حدث في باقي المجتمعات الإنسانية. وقد اختلفت مظاهر عمالة الأطفال في الجزائر حسب ظروف كل مرحلة زمنية، ففي الفترة الإستعمارية ارتبطت الظاهرة بالظروف القاسية التي سادت البلاد، والتي تتميز بالضغط الإستعماري ووجود فوارق واسعة بين المستعمر الفرنسي ومختلف فئات المجتمع الجزائري. ولقد عرفت ظاهرة عمالة الأطفال في الجزائر توسعا كبيرا، تزامنا مع التغيرات الإقتصادية والإجتماعية الجارية، نتيجة لرفع الدولة دعمها للمواد الإستهلاكية الأساسية والذي نتج عنه إرتفاع كبير للأسعار مما أدى إلى افتقار العديد من الأسر الجزائرية. وفي الجزائر عرفت هذه الظاهرة نموا كبيرا خاصة مع العشرية السوداء التي عاشتها الدولة بفعل اللاأمن والذي أدى إلى نزوح سكان القرى والأرياف إلى المدن ولم يكن أمام أطفال تلك العائلات إلا الانخراط في عالم الشغل لمواجهة ظروف حياة المدن التي لم يألفوها و الواقع العملي يؤكد تزايد هذه الظاهرة السنة تلو الأخرى. مما يقتضي البحث عن الأسباب التي أدت إلى ذلك، لتقييم الظاهرة والوقوف على الثغرات التي اعترتها ومحاولة إيجاد حلول لها.

2- الأسباب والعوامل المفسرة لظاهرة عمالة الأطفال:

لقد كان للمشاكلات الاقتصادية التي عانى منها العالم العربي الدور الأكبر في انخفاض مستوى المعيشة وارتفاع معدلات الفقر والبطالة، مما أدى إلى تزايد نسبة الفقر وعدد الأسر التي تعاني من ظروف اقتصادية واجتماعية صعبة ودفع بعضها إلى تشغيل أطفالها بهدف توفير لقمة العيش

1- صليحة غانم، "عمالة الأطفال وعلاقتها بظروف الأسرة"، (رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الحاج لخضر، 2010)، ص 94.

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

لأفرادها، خاصة منها الأسر كبيرة الحجم. وتلعب العديد من الأسباب دوراً فاعلاً في زيادة عدد الأسر الفقيرة في المجتمع، ومن ثم في اتساع حجم ظاهرة عمل الاطفال وأظهرت الدراسات الاجتماعية أن عمالة الأطفال في المجتمع تعود إلى أسباب عديدة يمكن إجمالها على النحو التالي:

أ- أسباب اقتصادية: يعد الفقر السبب الرئيسي لعمالة الأطفال خاصة في الدول المتخلفة ومنها الجزائر فهو من الأسباب التي تدفع الأسر ذات الدخل المتدني إلى تشغيل أطفالهم لرفع مستوى دخل الأسرة من أجل حصولها على حاجاتها، كما أن الدخل المتقلب لبعض الأسر له دور فاعل في دفع أطفالها للعمل من أجل الحصول على دخل ثابت للأسرة، كالأسر التي تعتمد على المواسم الزراعية، أو الأسر التي تعتمد على العمل الحر.¹ كما أن هناك أسباباً اقتصادية تدفع أرباب العمل إلى تشغيل الأطفال كتدني أجرة الطفل واستغلاله بالتشغيل لمدة طويلة؛ ولأن صاحب العمل أيضاً يتخلص بتشغيل الأطفال من دفع قسط الضمان الاجتماعي والتأمين الصحي المترتب على مؤسسته عند تشغيل الأطفال في منشأته الصناعية أو التجارية أو الزراعية². وذلك لأنه لا يدرجهم ابتداءً في سجلات العمال التي يقدمها للدولة؛ ولأنه يجد في الطفل الفطرة السليمة التي تدفعه إلى العمل بإخلاص، وكثرة الإنتاج.

ب- أسباب اجتماعية: نقصد بالأسباب والعوامل الاجتماعية البيئة أو الظروف التي تحيط بالشخص منذ بداية حياته، ويتعلق الأمر بعلاقاته مع غيره من الناس في جميع مراحل حياته ابتداءً من مجتمع الأسرة مروراً بالمدرسة و ثم جماعة اللعب أو الرفاق، ويلعب التفكك الأسري دوراً مهماً في دفع الأطفال إلى العمل ولا سيما في الظروف الاقتصادية الصعبة، وللتفكك الأسري أسباب عدة منها: العنف الأسري، والطلاق، وكبر حجم بعض الأسر، وتخلي الأب أو الأم عن دورهما تجاه الأسرة، أو إدمان رب الأسرة على المخدرات.³ فتفكك الأسرة وتخلي الوالدين أو

1- سوسن نبيل، عمل الأطفال في المجتمع الأردني، (رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1998)، ص 18.

2- دبدوب، نهاية، عمالة الأطفال في الأردن، مؤتمر "نحو بيئة خالية من العنف لأطفال العرب"، (عمان، وزارة العمل الأردنية، 2001)، ص 166.

3- عبد العزيز فهيي محمد، "ظاهرة تشغيل الأطفال في السياق الاقتصادي والثقافي"، (رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، أربد، 1999 م)، ص 16.

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

أحدهما عن رعايته للأسرة يدفع الأطفال في بعض الأحوال إلى العمل للحصول على متطلبات الحياة التي يحتاجها هذا الطفل أو أسرته.

ج- أسباب متعلقة بالعملية التعليمية: يعد التسرب المدرسي من التعليم لبعض تلاميذ المدارس سبباً مهماً من أسباب عمالة الأطفال، ويعود هذا التسرب إلى أسباب منها: ضعف تحصيل الطالب الدراسي، أو عدم رغبته في الدراسة، أو رغبته في تعلم مهنة معينة، أو العنف الذي يمارسه بعض المعلمين على طلبة المدارس، الأمر الذي يدفع بعض الطلبة إلى النفور من المدرسة والتوجه إلى العمل لتعلم حرفة بدلاً من التعليم الأكاديمي.¹

د- أسباب ثقافية: هناك عادات ثقافية تسود بعض المجتمعات التي تدعو عائلات هذه المجتمعات إلى تعليم أطفالهم مهنة الآباء والأجداد، ويقصد من هذه العادات المحافظة على هذه الحرفة في العائلة، وضمان حياة كريمة للأبناء في المستقبل باعتبار أن المهنة أمان من الفقر.² نقول إن الأصل في مرحلة الطفولة أنها مخصصة لحفظ الطفل، وتربيته، ورعايته وتعليمه، وقد نص بعض الفقهاء كابن حجر العسقلاني في فتح الباري،³ فقدرات الطفل البدنية والعقلية والنفسية غير مؤهلة التأهيل اللازم للعمل، ويدل عليه أن الشرع لم يكلف الإنسان في هذه المرحلة عملاً بقوله "رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ"⁴ هذا ويمكن التخفيف من هذه الظاهرة بإلزام كل من هو مسؤول عن طفل بالقيام بدوره تجاه هذا الطفل عملاً بما أخرج به البخاري عن نافع عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله "كلكم راع وكلكم مسؤول، فالإمام راع وهو مسؤول، والرجل راع في أهله وهو مسؤول، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة، والعبد راع على مال سيده

1- سوسن مصباح، "دراسة لتقصي وتصنيف الأسباب الدافعة إلى تسرب الطلبة من المرحلة الإلزامية في مديرية التربية والتعليم لضواحي" (رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1995 م)، ص 22.

2- حمد فخري حمد عزام، "حكم عمالة الأطفال في الفقه الإسلامي"، (المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، 2008م، مجلد4، ع3)، ص 206.

3- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، محمد فؤاد عبد الباقي، دط، ج5، (بيروت، دار المعرفة، دت)، ص 396.

4- أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب الحدود، حديث رقم: 4398.

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

وهو مسؤول، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول¹ وجه الدلالة من الحديث: أن كل فرد في هذا المجتمع مسؤول يجب عليه القيام بمسؤولياته خير قيام، فإذا قام أرباب الأسر بدورهم تجاه أولادهم بالإففاق عليهم وتربيتهم ورعايتهم وتعليمهم، فهذا الاهتمام والالتزام يقلل من توجه الأطفال إلى العمل. وإذا قام الأقارب والأغنياء في المجتمع بدورهم تجاه الأسر الفقيرة في المجتمع فإن هذه الأسر ستكتفي بما يعطى لها من مال فلا تدفع أولادها للعمل. وإذا قامت الدولة بدعم الأسر الفقيرة ورعايتها فإن هذه الأسر لن تجبر أولادها على العمل لحصولها على ما تحتاجه من أموال الدولة أو من المال العام.

3- تجريم ظاهرة عمالة الأطفال في الجزائر:

جرم المشرع ظاهرة عمالة الأطفال ورصد عقوبات على المخالفين لقانون علاقات العمل وفي هذا الشأن نص في المادة 140 من قانون علاقات العمل على أنه "يعاقب بغرامة مالية تتراوح بين 1000-2000 دج على توظيف عامل قاصر لم يبلغ السن المقررة، إلا في حالة عقد التمهين المقرر طبقاً للتشريع والتنظيم المعمول بهما وفي حالة العود يمكن إصدار عقوبة حبس تتراوح بين 15 يوماً إلى شهرين دون المساس بالغرامة التي يمكن أن ترفع إلى ضعف الغرامة المنصوص عليها" وتجدر الإشارة إلى أن الجزائر و لهدف تعزيز حماية الطفولة في مجال العمل، فقد صدقت على أهم الاتفاقيات الدولية المتعلقة بعمالة الأطفال لاسيما الاتفاقية الدولية رقم 138 المتعلقة بالسن القانونية للعمل و هذا بتاريخ 03 سبتمبر 1983 م، الجريدة الرسمية العدد 37 الصادر بتاريخ 1983/09/06 م.

وأيضاً الاتفاقية رقم 182 المتعلقة بحظر أسوأ أشكال عمل الأطفال والإجراءات الفورية للقضاء عليها، التي صادقت عليها الجزائر بتاريخ 2000/11/28 م المرسوم الرئاسي رقم - 2000

1- البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، (كتاب النكاح، باب) قو أنفسكم وأهليكم ناراً، حديث رقم:

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

1387 المؤرخ في 28 نوفمبر 2000 م، الجريدة الرسمية عدد 73 الصادرة بتاريخ 03 ديسمبر سنة 2000م.¹

4- لماذا تعد عمالة الاطفال مشكلة:

من خلال المراجعة التاريخية واستعراض الواقع المعاصر اللذين قدمناهما لظاهرة عمل الاطفال ، يمكن الاستنتاج بأن العالم تعامل مع عمل الاطفال على أنها ظاهرة سلبية ترقى إلى مستوى المشكلة الاقتصادية والاجتماعية ، ولهذا فانه لا بد من السعي إلى القضاء عليها تماماً ، أو على الأقل الحد منها ، يحظر هذا العمل في حالات ، وتقييده بقيود قانونية في حالات اخرى ، إلا أن المهم في هذه المسألة ، أن عمل الاطفال لا يحظر ولا يقيد قانوناً لأنه غير مشروع في ذاته ، ذلك لان الاطفال العاملين في الغالب يؤدون عملاً مشروعاً بوصف المشروعية القانونية ، مع الاشارة إلى أنهم قد يؤدون في بعض الحالات أعمالاً تعد غير مشروعة بهذا الوصف ، كما يحصل في حالات استخدامهم في أعمال جنسية أو إباحية أو في صناعة المخدرات أو تسويقها والاتجار بها ، وعليه فإن الاطفال الذين يؤدون أعمالاً في قطاعات الصناعة أو الزراعة أو التشييد أو الخدمات ... الخ ، إنما يؤدون في الاصل أعمالاً مشروعة قانوناً ، إلا إنها تفقد هذه الصفة حين يحظرها القانون أو يقيد أداءها بشروط معينة ، تحقيقاً لغايات اجتماعية عليا ، وحماية لمصلحة المجتمع عموماً .. ويدور الحظر والتقييد القانوني لعمل الاطفال – كقاعدة – حول معيار السن ، ذلك لأنه أصبح من المستقر على المستويين الدولي والوطني ، أن عمل الاطفال – دون سن معينة – يجب أن يقيد عمل الطفل بعدة قيود تلائم بين العمل والقدرات البدنية للطفل. وهكذا يمكن أن نشير إلى أن الذي يحكم مشروعية عمل الاطفال يتمثل في جملة مفاهيم تشكل مجموعها منظومة قيمية تترسخ في ضمير الجماعة الاجتماعية .

1- دليلة المباركي، عمالة الأطفال بين الواقع والنصوص، (الجزائر نموذجاً، ص 331، تاريخ النشر: 05/15/2013 م)، على الرابط التالي:

وتسم يوم: 2018/02/21 م [/https://repository.nauss.edu.sa/bitstream/handle/123456789/56616/]
توقيت، 18:26

د. حسان بوسوسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

5- سبل الوقاية والحد من انتشار ظاهرة عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري:

إن الاخفاق الذي أصاب كل الجهود التي بذلت للحد من ظاهرة عمل الاطفال يرجع الى أن هذه الجهود توجهت إلى الظاهرة بذاتها ، وليس إلى أسبابها التي تتحكم في وجودها وفي تحديد حجمها واتجاهاتها ، وبهذا خابت هذه الجهود في تحقيق النتائج المستهدفة ، لأن أسباب الظاهرة ظلت تفعل فعلها بعيداً عن أي مؤشرات تحد من فاعليتها ، عليه فانه لغرض بناء استراتيجية وطنية تهدف إلى الحد من عمل الاطفال ، فإن هذه الإستراتيجية يجب أن تقوم على التأثير ايجابياً في الاسباب المنتجة لهذه الظاهرة ، ولهذا فإن الدعامات التي يجب أن ترتكز عليها هذه الاستراتيجية تتمثل في الوقاية من انتشار ظاهرة العمالة ولا يعني انعدامها بالمجتمع فهذا مستحيل ،فهي ظاهرة متواجدة في كل المجتمعات سواء المعاصرة أو التقليدية ،وفي المجتمعات الفقيرة والغنية ، لكن عندما يزيد حجم الظاهرة وتتعدد أسبابها فلا بد من تدارك الوضع والتدخل العاجل للوقاية منها، ولعل أنجع السبل للوقاية منها هي التي تكون مدروسة وملتقنة التطبيق، وفيما يلي بعض منها:

* إعادة النظر في مؤسسات التنشئة الاجتماعية خاصة الأسرة والمدرسة ، وذلك من خلال تدعيمها الدائم من طرف المسؤولين وتوعيتهم المستمرة بأهمية الدور المنوط بهما، واشباع الحاجات الأساسية لأبنائها عن طريق تنمية أساليب التنشئة الاجتماعية.

* تعزيز الوازع الديني لدى الأفراد وتوعيتهم بضرورة السير وفق المعايير التي ارتضاها لهم المجتمع وقوانينه ، والسير كذلك وفق تعاليم الدين الإسلامي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر.

* تدقيق الإحصائيات المتعلقة بظاهرة عمالة الأطفال بغية معرفة توزعها بالمجتمع ومناطق انتشارها أكثر حتى يمكن قراءة العلاقة بين المعطيات السوسيوديمغرافية لهذه المناطق بوجود الظاهرة وانتشارها، فمن خلال الإحصائيات يمكن بحث العلاقة بين ظاهرة عمالة الأطفال والأحوال الاقتصادية أو الأسرية أو كثافة السكان في منطقة ما، وجوانب الظاهرة، وضرورة تكامل الهيئات المكلفة بجمع الإحصائيات كإحصائيات الشرطة واحصائيات المحاكم والسجون، حتى تكون هذه الإحصائيات مرآة حقيقية للمجتمع.

* مقارنة تشيئية تقوم على التربية في إطار مختلف المؤسسات المجتمعية ويوصي الباحث بضرورة توعية أفراد المجتمع من خلال أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وكذلك من

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

خلال الخطب في المساجد والدروس، بخطورة هذه الظاهرة وأثارها السلبية على المجتمع حتى يمكن الحد منها ومن أثارها.

* مقارنة قانونية تعتبر عمالة الأطفال جنحة مع تشريع قانون يقدم للأسر الفقيرة وكثيرة العدد مساعدات مادية شهرية، حتى لا تضطر إلى دفع أبنائها إلى ترك الدراسة وممارسة أعمال غير مشروعة مثل عمالة الأطفال

* أن ينص القانون على ضرورة تحمل الأسرة جانبا كبيرا من انحراف الأبناء، وهذا يكون بمثابة قانون رادع لكل أسرة تفرط أو تهمل في رعاية أبنائها وتدفعهم إلى العمل المبكر.

* مقارنة وقائية في الاهتمام أكثر بالرعاية النفسية والاجتماعية للحالات التي تعرضت للعمل المبكر سواء كانوا داخل مراكز إعادة التربية، أو في مراكز الرعاية حتى يتمكنوا من الاندماج ثانية في الحياة العادية ومحاربة هذه الظاهرة.

خاتمة:

كخلاصة لكل ما سبق ذكره نجد أن ظاهرة عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري لها حيثيات كثيرة ومتعددة ومعقدة لا يمكن فهم تفاصيلها إلا من خلال التعمق أكثر في دراسة المجتمع الجزائري خاصة وظاهرة العمالة تتواجد في جميع مناحي الحياة: الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، الأخلاقية الدينية وغيرها، كما يرجع تعقيد الظاهرة إلى تعقد المجتمع الجزائري في حد ذاته وتعرضه مثل باقي المجتمعات إلى تغيرات ولعل أبرزها وأهمها على الإطلاق هو تأثير العولمة على مجالات الحياة للفرد الجزائري، وتطور وسائل الإعلام والاتصال، وكذا المتغيرات الاقتصادية وبروز التخصص والسوق الحرة غيرها.

كل هذا أحدث خلا في النسق الكلي للمجتمع الجزائري مما أدى إلى بروز الكثير من الظواهر الاجتماعية المستحدثة والغريبة عن أصالة هذا المجتمع العربي المسلم بالدرجة الأولى، وكذا تزايد في نسب انتشارها، فهي إذن تغيرات كمية ونوعية لظاهرة عمالة الأطفال بالمجتمع الجزائري، وهذا ما جعل السيطرة عليها أصعب، ولكن رغم ذلك تبقى بعض الحلول المتوفرة ناجعة لو استخدمت أحسن استخدام كضرورة إعادة النظر في دور وأهمية المؤسسات التنشئية ولعل أبرزها الأسرة والمدرسة، والمسجد وكذا مراقبة بعض وسائل الإعلام التي تحمل

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

سموما في طياتها، أما الحلول العلمية للظاهرة فتتمثل أساسا في ضرورة تكثيف البحوث في هذا المجال والوصول إلى نظريات خاصة بخصوصية المجتمع الجزائري ومنبثقة عنه حتى نضمن معالجة صائبة وناجعة للظاهرة بدل الاعتماد الدائم والكلي على نظريات غربية لصيقة بالمجتمعات الغربية ولاقت نجاحا بها وساهمت في إثراء الأطر النظرية والمعرفية حول الظاهرة بهذه الدول، عكس الدول العربية منها - الجزائر- التي وقعت في مأزق علمي ألا وهو إسقاط نظريات غربية على مجتمعات عربية فهذا يعني الفشل المسبق في معالجة الظواهر الاجتماعية .

وفي ضوء ما تقدم من خلال هذا السياق نقول أنه لا بد من تدخل وتضافر جهود المجتمع بأفراده ومؤسساته وهيئاته الاجتماعية والدينية والقانونية بموضوعية لمعالجة هذه المشكلة ووضع حد لها؛ وكذلك القيام بدراسات سوسيولوجية من قبل مختصين يتم فيها توثيق وقائعه وحيثياته وتحديد السياقات الاجتماعية والثقافية المرتبطة به لكي يتسنى وضع العلاج اللازم لظاهرة عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري.

وأخيرا أورد بعض التوصيات التي تراءت لي والتي من شأنها أن تؤدي إلى تحسين الأسرة بأهمية قيامها بدورها في تربية وتنشئة أبنائها ومتابعتهم مدرسيا، وفي الوسط الاجتماعي الذي يتفاعلون معه، ذلك للحد من انتشار مثل هذه الظواهر الاجتماعية وإستناداً إلى نتائج البحث يوصي الباحث ببعض التوصيات المهمة وهي كالآتي:

- إجراء مسح شاملة وبناء قاعدة معلومات متكاملة عن عمالة الاطفال في المجتمع الجزائري.
- مساهمة الدولة في توفير السكن والتأمين الصحي والضمان الاجتماعي للأسر المحتاجة.
- متابعة التسرب الدراسي من خلال إدارات المدارس وبالتنسيق مع مؤسسة الأسرة.
- رصد الحالات التي تخص عمل الاطفال في الاماكن الخطرة او المواد المستخدمة في العمل والتي تلحق الضرر بصحتهم وذلك من خلال تفعيل دور أجهزة التفيتش والمتابعة والصحة والسلامة المهنية.
- الاهتمام بالصحة النفسية للطفل من قبل الاسرة والمدرسة.

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية

- تعاون المؤسسات كافة ، إعلامية تربية ، اقتصادية ، وزارة الداخلية والدفاع لمنع استغلال الأطفال من قبل الجماعات الارهابية والعصابات المنظمة.

كما نقترح ما يلي:

- ضرورة إجراء بحوث ودراسات ميدانية واسعة لمعرفة حجم الظاهرة.
- الاطلاع على تجارب الدول في هذا المجال وخاصةً الناجمة منها لرصد هذه الظاهرة ، وعلى أهم المعوقات لمكافحتها.

- إجراء دراسات تقويمية لواقع اداء دائرة الرعاية الاجتماعية للوقوف على ملائمة إجراءاتها المتبعة مع الاطفال العاملين.

* قائمة المراجع:

1. الأمم المتحدة، اتفاقية حقوق الطفل ، دط، (السودان، و حدة حقوق الانسان بعثة الامم المتحدة إلى السودان ، 1979).
2. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، محمد فؤاد عبد الباقي، دط، ج5، (بيروت، دار المعرفة، دت).
3. أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب الحدود، حديث رقم: 4398.
4. أسماء ص، " الواقع مر والآفاق مجهولة عمالة الأطفال في الجزائر"، مقال نشر في صوت الأحرار ، (الجزائر: محرك البحث جزييرس، يوم 13-04-2014)، تاريخ الدخول للموقع 2018/02/20م.
5. أماني عبد الفتاح، عمالة الأطفال، ط 1، (مصر، عالم الكتب، 2001).
6. آل سعود منيرة بنت عبد الرحمن ، إيذاء الأطفال ، دط، (الرياض ، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ، 2010).
7. البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، (كتاب النكاح، باب) قو أنفسكم وأهليكم نأراً، حديث، رقم 51 .
8. جيري رودجرز و جاي ستاندينغ، تشغيل الأطفال و الفقر و التخلف، د ط، تر، خالد أسعد عيسى، (دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1998).

- د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسيولوجية
9. حسن الساعاتي، النظريات الاجتماعية لتفسير السلوك الإجرامي، (الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، أبحاث الندوة العلمية السادسة، 1407هـ).
10. حمد فخري حمد عزام، "حكم عمالة الأطفال في الفقه الإسلامي"، (المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، 2008م، مجلد4، ع3).
11. دبذوب، نهاية عمالة الأطفال في الأردن، مؤتمر " نحو بيئة خالية من العنف للأطفال العرب"، (عمان، وزارة العمل الأردنية، 2001).
12. دليلة المباركي، عمالة الأطفال بين الواقع والنصوص، (الجزائر نموذجاً، ص 331، تاريخ النشر: 05/15/2013 م).
13. سامية محمد جابر، سوسيولوجيا الانحراف، دط، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2004).
14. سوسن مصباح، "دراسة لتقصي وتصنيف الأسباب الدافعة إلى تسرب الطلبة من المرحلة الإلزامية في مديرية التربية والتعليم لضواحي" (رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1995 م).
15. سوسن نبيل، عمل الأطفال في المجتمع الأردني، (رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1998).
16. شرفة سامية، "أسباب ظهور عمالة الأطفال"، (رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، قسم علم الاجتماع، 2011).
17. صليحة غانم، "عمالة الأطفال وعلاقتها بظروف الأسرة"، (رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الحاج لخضر، 2010).
18. عبد الخالق جلال الدين، الجريمة والانحراف الحدود والمعالجة، دط، (الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1999).
19. عدنان الدوري، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي، دط، (الكويت، منشورات ذات السلاسل، 1981).

د. حسان بوسرسوب..... عمالة الأطفال في المجتمع الجزائري بين الأسباب والحلول: رؤية سوسولوجية

20. عبد الرحمن بن محمد عسيري، تشغيل الأطفال و الانحراف، دط ، (الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات و البحوث ، 2005).
21. عبد الله بن حسين الخليفة، أثار اتجاهات الجريمة، والخصائص الاجتماعية، والاقتصادية لمجتمعات الوافدين الأصلية في سلوكهم الإجرامي في المجتمع السعودي، دط، (الرياض، مكتبة العبيكان، دت).
22. عبد الله بن حسين الخليفة، المحددات الاجتماعية لتوزيع الجريمة على أحياء مدينة الرياض، دط ، (المملكة العربية السعودية، وزارة الداخلية، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، د.ت).
23. عبد العزيز فهمي محمد، "ظاهرة تشغيل الأطفال في السياق الاقتصادي والثقافي" ،(رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، أربد، 1999 م).
24. عدنان ياسين مصطفى، " عمالة الأطفال في العراق"، (مجلة المستقبل العربي، العدد 295، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2003).
25. مساعد بن إبراهيم الحديثي، مبادئ علم الاجتماع الجنائي، دط، (الرياض، مكتبة العبيكان، 1416هـ).
26. محمد السيد، تجريم الإتجار بالأطفال في القوانين و الاتفاقيات ، دط،(الرياض ،جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ، 2009).
27. موسى ، أحمد محمد ، أطفال الشوارع المشكلة وطرق العلاج ، ط1، (المنصورة ، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع ، 2009).
28. محمد عثمان عارف، الجريمة في المجتمع، نقد منهجي لتفسير السلوك الإجرامي، دط، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975).
29. وفود الدول العربية والمنظمات والهيئات المشتركة في المؤتمر، العمالة والتصنيع ودورهما في التنمية، دط، (القاهرة، دت).

المجتمع المدني وبناء مجتمع المواطنة التحديات والمعوقات

بقلم: د. زهية شويشي

□ امعة محمد لمين دباغين، سطيف2

ملخص:

يقصد بالتهيئة الحضرية الاستخدام الأفضل للوسط والمجال، أي التصرف السليم للإنسان في وسطه من خلال نشاطه المنظم لتحسين محيطه في مختلف المجالات وتحقيق أهداف التنمية الشاملة، والمتناسقة وتحقيق التوازن والهمة الاقتصادية عبر مختلف نقاط أو مجال أو حيز الوسط بدلا من ترك التركيب الوسطي ينمو بشكل فوضوي أو عشوائي والذي قد تكون انعكاساته خطيرة أو صعبة المعالجة فيما بعد، وفي هذا المقال سنستعرض أدوات التهيئة العمرانية الحضرية في الجزائر بما تحمله من سياسات للتخطيط الشامل لحياة المواطن طبعاً من خلال محاولة موازنتها مع الظروف السياسية، الاقتصادية والاجتماعية وعوامل أخرى نظرياً وتطبيقياً، خصوصاً في إطارها القانوني المنظم لها والتحول السلبية التي اعترضتها في ظل دخول الجزائر الاقتصاد الحر والسلبيات التي تعرضت لها هذه الأدوات باعتبارها أسلوب تطوير وتنمية للشبكة العمرانية بصفة عامة والاستيطان البشري بصفة خاصة.

د.زهية شويشي أدوات التهيئة الحضرية في الجزائر: سياسة التخطيط الشامل وعوائق التنفيذ

تمهيد:

لقد كانت سياسة التهيئة الشاملة مع نهاية الستينات وبداية السبعينات الدافع الأساسي لبروز أولى الأدوات الخاصة بالتهيئة والتعمير، ليستمر العمل بها إلى غاية نهاية الثمانينات، لكن يجب أن نلاحظ أنه ومع استقلال الجزائر، وجدت الجزائر نفسها أما وضعية صعبة وإرث ثقيل خلفه الاستعمار، الذي عمل على إعادة توزيع السكان من خلال سياسة المحتشدات، وتدمير القرى، والقضاء على نمط الحياة الريفية عبر سياسة التهجير، ومنذ ذلك الحين بدأ إلى الظهور التعمير الفوضوي، من جهة أخرى عملت الهجرة الكثيفة للخبراء والإداريين الأجانب الذين تواجدوا بالجزائر إبان الاحتلال على تعقيد الوضعية الموروثة، وامتدت هذه الفترة الصعبة من تاريخ الجزائر الحديثة إلى غاية 1965 حيث أصدرت التعليمات التقنية للتعمير والبناء والذي بدأ سريانه الفعلي سنة 1962، حيث اتسم العمل في هذه التعليمات باستخدام القوانين الجزائرية الخالصة إلى غاية سنة 1975 بمقتضى "الأمر رقم 73-29 المؤرخ في 05/07/1973" وكانت السياسة العامة للتنمية تسعى إلى:

- إعادة تنظيم البنية الإدارية للبلاد.
 - توزيع الاستثمارات الإنتاجية في مجال "المناطق الداخلية".
 - توزيع الاستثمارات غير المنتجة ذات الصبغة الاجتماعية عبر المجال الوطني.
- أما سياسة التعمير في الجزائر فهي مرتبطة بالأساس بالجهاز التشريعي المطبق في فرنسا منذ 1919. لكن مع بعض التكيفات المرتبطة بخصوصية الجزائر، ففي سنة 1958 انطلق البرنامج العام للتنمية "مخطط قسنطينة" بعد الهزيمة التي لحقت بالسياسة الاستعمارية للجزائر داخليا وخارجيا وهذا طبعا بفضل الثورة الجزائرية، وانعكست كل قوانين التعمير الفرنسية على الجزائر فظهر مفهوم التخطيط الحضري لأول مرة من خلال وضع قانون 1958 الذي احتوى على المخططات التالية:
- مخطط التعمير الموجه "P.U Directeur" وهو مخطط التوجيه العام للتهيئة والتنمية.
 - مخطط التعمير المفصل "P.U Détail" وهو أداة تطبيق للتدابير التي أتى بها مخطط التعمير الموجه، بالإضافة إلى برنامج التعمير والذي يعد أداة وسيطة للتخطيط والتدخل.

د. زهية شويشي أدوات التهيئة الحضرية في الجزائر: سياسة التخطيط الشامل وعوائق التنفيذ

ففي سنة 1962 أدخل مفهوم جديد في السياسة الحضرية بالجزائر وهو مخطط التعمير المبدئي "P.U Principe" والذي يهدف إلى تأخير التنمية والتعمير بالنسبة للبلديات ذات الحجم السكاني الذي لا يتجاوز 10.000 نسمة¹، وكل هذه الأدوات تتميز بقدرتها على التدخل الفعلي من خلال عمليات التهيئة الحضرية مثل مناطق التعمير ذات الأولوية "ZUP" والمجالات الكبرى، نشير إلى أن التهيئة والتخطيط الحضري يستعملان مناهج للدراسة والذان يتجسدان على أرض الواقع من خلال ما يصطلح عليه بأدوات التعمير التي تمثل تعبيراً عن السياسة الاجتماعية والحالة الاقتصادية².

أولاً- أدوات التهيئة والتعمير في الجزائر:

1- مخطط التعمير الموجه: PUD

هو مخطط وأداة لتنمية المناطق الحضرية عبر مجالها الفيزيقي والاجتماعي، والترجمة الفعلية لكلمة التدابير على الميدان والواقع الحضري من خلال التنظيم، والهيكلة العامة المعتمدة والتي تستمر من 10 إلى 15 سنة ويمكن تعريفه أيضاً على أنه مجموع الملفات التي تترجم وتحدد في المعطيات التالية:

- الإطار القانوني للمخطط "مستمد من قوانين التعمير والبناء والسكن"
- الإطار الوظيفي للمخطط "المحتوى تعبير عن كل التدابير القانونية في هذا المجال"
- الإطار التقني للمخطط "شروحات المخطط"
- أما وظيفة المخطط فهي ضمان إطار التخطيط بالنسبة للسلوك الفردي والجماعي عبر المجال، وهذا الإطار يتكون من كل التدابير والتوجهات الإيجابية، كما يتضمن مخطط التعمير الموجه التدابير والأحكام التي تتمحور حول المتغيرات التالية:
- الطبيعة وكيفية التدخل.

1- أحمد توفيق المدني: قرطاجنة في أربع قرون من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

2- بيار جورج: ترجمة جيلالي صاري، السكان والإستطانة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979.

د.زهية شويشي أدوات التهيئة الحضرية في الجزائر: سياسة التخطيط الشامل وعوائق التنفيذ

- الطبيعة ونمط التهيئة.
- شروط استخدام الأرض والمجال الحضري.
- مراحل التنفيذ.
- عوائق وحدود استخدام المجال الحضري.

هذه التدابير تصبح قابلة للتنفيذ توازياً مع سياسة البرامج البلدية والتدخلات ضمن النطاق الحضري بالنسبة للقطاع العام أو الخاص مثل "مخطط التحديث العمراني PMU" ومخطط التنمية البلدية "PCD" إن دراسة وإعداد مخطط التعمير الموجه تتضمن المشاركة الجماعية التشاورية المباشرة وغير المباشرة لكل الهيئات والمصالح التقنية المختلفة، أما عن إجراءات الإعداد والمصادفة الخاصة بمخطط التعمير الموجه فلقد حددتها التعليمات 2-74/PU-1181 عن طريق وزارة السكن والعمران¹، وقد زودت هذه المخططات بما عرف بمخططات التحديث العمراني الذي يستهدف مراكز الولايات أو المدن ذات النمو العمراني والسكاني الكبيرين، كما يعد مخطط التعمير الموجه عبارة عن برنامج عمراني مجالي.

2- المخطط العمراني المؤقت "PUP":

ويخص المدن والمناطق العمرانية صغيرة الحجم وهي غير معنية بالمخطط السابق. ظهر هذا المخطط مع نهاية السبعينات وبداية الثمانينات، استمر به العمل إلى غاية 1990، كما يهتم هذا المخطط بتحديد التوسع المستقبلي للتجمعات الحضرية، ويقوم بإحصاء حاجات السكان من السكن والمرافق والخدمات، من شروط تنفيذ هذا المخطط أنه لا بد وأن يصادق عليه من طرف الولاية².

ولقد حددت التعليمات رقم 1427-2175-PU ورقم 2174 PU الصادرة عن وزارة السكن والعمران مخطط التعمير المؤقت كأداة للتخطيط الحضري بالنسبة للبلديات الصغيرة كما أسلفنا³. ويحدد دور هذا المخطط من خلال نطاقات التوسع العمراني بالنسبة للتجمع

1- المرجع نفسه.

2- البشير التيجاني: مفاهيم وآراء حول توطين الصناعة وتنظيم الإقليم، 1987، ص 18.

3- المرجع نفسه.

د.زهية شويشي أدوات التهيئة الحضرية في الجزائر: سياسة التخطيط الشامل وعوائق التنفيذ

العمراني على المدى المتوسط مع تحديد المناطق الرئيسية المعنية بالمرافق والخدمات. وبالنسبة للمسؤولين المطالبين بتنفيذ هذا المخطط فلا بد أن تتوفر فيهم جملة من الشروط:

- الحفاظ على الأراضي القابلة للتعمير على مدى 10 إلى 15 سنة
- تحديد علو المباني.
- تحديد المساحات الوحدوية بالنسبة لكل ساكن
- تنظيم المساكن عبر وحدات منسجمة ومتناسقة عبر الوحدات الجوارية والأحياء.
- تخصيص أروقة بالنسبة للهياكل "الارتفاقات".
- تخصيص أراضي بالنسبة للنشاطات الصناعية. أما عن إجراءات المصادقة على هذا المخطط "المحيط" فهي:

- إعداد البلدية أو الهيئة التقنية اقتراح بإنشاء محيط عمراني مؤقت ليرسل إلى الولاية لإبداء الرأي.

- لدى الولاية شهرين قبل إبداء آرائها حول المشروع بالرفض أو الموافقة عليه.
- إذا لم تتلق البلدية ردا خلال المدة القانونية يعتبر ذلك المشروع مصادقا عليه.

ويجب أن نشير إلى أن هذا المخطط يعتمد على التحديد للأهداف والتوجهات على الوضعيات الحالية المستقبلية التي يجب أن تأخذ بعين الاعتبار، كما نشير أيضا إلى أن ظهور مرسوم الاحتياجات العقارية سنة 1975 أعطى دفعا في تحديد هذا المخطط "المحيط" عبر بلديات البلاد، هنا نشير وإلى غاية 1980 اعتمد نحو 1023 مخطط على المستوى الوطني وبرمج 230 مخطط في الخطة الرباعية 80 – 84¹، كما أن المخطط المؤقت يحاط بشروط ارتفاق غير قابل للتعمير متغيرة العرض حسب خصوصية كل مجتمع عمراني معني بهذا المخطط. بغرض اجتناب التعمير العشوائي حول المنطقة المهيئة لذلك، وهكذا فإن 534 مخطط مؤقت تمت المصادقة عليه، بينما أنجز 42 مخطط عمراني موجه من بين 243 مشروع مبرمج، وهذا يعكس البطء الشديد في إجراءات الإعداد والمصادقة واتصاف هذه المخططات بالاستاتيكة والجدولة

1- رياض تومي: أدوات التهيئة والتعمير وإشكالية التنمية الحضرية - مدينة الحروش نموذجا، رسالة ماجستير، 2005، ص 69.

د. زهية شويشي أدوات التهيئة الحضرية في الجزائر: سياسة التخطيط الشامل وعوائق التنفيذ

الاقتصادية وبين هذه الوضعية حسب وزير البيئة وتهيئة الإقليم السيد شريف رحمانى يعود إلى ثلاث أسباب:

- الغياب الفعلي لأدوات التعمير الحقيقية خاصة على المدى البعيد خاصة المخططات الوطنية للتهيئة الإقليمية والمخططات الجهوية.

- غياب ميكانزمات تفعيل هذه المخططات وإنجازها ميدانيا.

- مخطط التعمير موجه إلى المدينة فحسب دون النظر إلى علاقات المدينة بالريف على صعيد الهجرة، رغم ذلك تواصل العمل بالمخططين السالف ذكرهما "الموجه، والمؤقت" إلى غاية 1990 أين ظهرت قوانين جديدة أهمها قانون 29/90 التي تمت المصادقة عليه آنذاك¹.

3- المناطق السكنية الحضرية الجديدة "ZHUN":

هذه الأداة ظهرت سنة 1975 كاستجابة لتزايد الحاجات البشرية للسكن، وهي عبارة عن تقنية تطبيقية لتخطيط المجال الحضري التي يجب أن تستجيب للعمل المشترك بين كل الفاعلين في مجال التعمير والسكن والبناء، انبثقت هذه الأداة عبر التعليمات الوزارية رقم 355 بتاريخ 19/02/1975 المحددة لإجراءات إنشاء المناطق الحضرية والتعليمية 2015 1975/12/21 ورقم 515-08/03/1976. إن هذه المناطق جاءت لتملأ الفراغ الذي أحدثه بطء أدوات التخطيط والسياسة الحضرية المعتمدة آنذاك، وتستخدم هذه الأدوات إذا كان المشروع موجه لاستيعاب 400 مسكن، وإجباريا إذا كان المشروع مخصص لـ 1000 وحدة سكنية، مما جعل العديد من المدن الصغرى والمتوسطة تستفيد من هذه العملية، وقد قدرت عدد المشاريع والانجازات التي نفذت في إطار هذه العملية إلى غاية 1990 بحوالي مليون سكن جماعي².

4- التخصيصات:

تهدف هذه الأداة إلى توفير السكن الفردي في نطاق المناطق الحضرية، لتكون منسجمة مع مكونات المدن في إطار المخططات التوجيهية، وتقوم البلديات ووكالاتها العقارية

1- البشير التيجاني: التحضر والتهيئة الحضرية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000.

2- المرجع نفسه.

د.زهية شويشي أدوات التهيئة الحضرية في الجزائر: سياسة التخطيط الشامل وعوائق التنفيذ

المختلفة بإجراء دراسات مسبقة تقوم على تهيئة المجال وتوفير الهياكل القاعدية "ماء، كهرباء، قنوات الصرف الصحي، غاز...الخ"

على أن يتولى المستفيد شراء قطعة الأرض في إطار دفتر الشروط ورخصة بناء مسلمة من قبل مديرية التعمير، تحدد هذه الرخصة المظهر الخارجي للمسكن وارتفاعاته ومعامل استخدام الأرض "COS" ومعامل الاستيلاء "CES" ومدة الإنجاز واستخدام المشروع، وقدرت بعض الإحصاءات إنجاز ما يقارب 1.5 مليون وحدة سكنية ما بين 1966 و 1992¹.

5- المناطق الصناعية ومناطق النشاطات "Z.A-ZAC":

تعتبر هذه الأداة من أدوات التهيئة والتخطيط الحضري إذ أصبحت جزءا مهما من البنية العمرانية لمعظم المدن الجزائرية على اختلاف أحجامها ومراكزها ويشترط في إنشائها وجود على الأقل خمس وحدات صناعية قادرة على توفير 100 منصب عمل أو أكثر. أغلب المناطق الصناعية ومناطق النشاطات تتراوح مساحتها ما بين 50 و 2000 هكتار، وتدخل المناطق الصناعية مع المناطق العمرانية حيث وصل عدد تلك المناطق في عام 1990 حوالي 120 منطقة صناعية². إلا أنها أصبحت تعاني مشاكل وصعاب عديدة في التسيير والمتابعة، كما ظهرت تأثيراتها على النسيج العمراني والبيئة على حد سواء.

وهذا ما دفع السلطات العمومية إلى التوقف عن برمجة مناطق جديدة والإبقاء على تسيير المناطق الموجودة، ودور مناطق النشاط تقوم على الانتشار في مجال الصناعة الصغيرة والمتوسطة القريبة من المناطق الحضرية وهذا لتوفير احتياجاتها، كما تعد آلية ضمن أدوات التهيئة والتعمير، وكتعليق على الأدوات التي استخدمتها الجزائر منذ الاستقلال فقد انتهى العمل بها بمجرد دخول الجزائر مرحلة اقتصادية جديدة، بسبب التحولات التي شهدتها خصوصا مع بداية التسعينات، تحولات طالت مجال التعمير والبناء، فظهرت أدوات جديدة للبناء والسكن، لكن قبل ذلك وقبل التحولات الجذرية التي شهدتها سياسة بناء المدن والقرى

1- عمر صدوق: الطبيعة القانونية للمخطط الوطني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

2- محمد الهادي لعروق: مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.

د. زهية شويشي أدوات التهيئة الحضرية في الجزائر: سياسة التخطيط الشامل وعوائق التنفيذ

وتطوير المشاريع العمرانية تماشيا مع متطلبات العصر وتلبية للاحتياجات الكبيرة للسكان، كانت هناك جملة من الأدوات التي استخدمت في عملية التعمير تميزت بشموليتها التي راعت النظام الاجتماعي والاقتصادي الذي كان ينتهج النهج الاشتراكي القائم على التخطيط الكلي، وبالتالي فكل السياسات التي تترجم في الميدان هي في الواقع تعبير عن سياسة شاملة ومشروع مجتمع فما هي خصائص تلك الأدوات وأثرها على التنمية الحضرية؟

لعب القانون الخاص بالاحتياجات العقارية البلدية دورا كبيرا في تحقيق الاحتياجات العقارية الخاصة بالبناء والتعمير، وشكلت لدى البلديات احتكارا في مجال المضاربات العقارية الخاصة بالبناء، خاصة أراضي الخواص، وصلت هذه الصيغة أوج تطبيقاتها بين 1980 و1988 وإن عرفت بعض التحولات فيما بعد خاصة على صعيد مهامها الأساسية والتي غيرت بالتأكيد أهدافها نتيجة ذلك، كما أن الاحتياجات العقارية عرقلت عمليات التهيئة والتخطيط الحضري خاصة أمام الهيئات المختصة "CADAT" بسبب تعدد تصوراتها ومناهجها والتجارب التي قامت بها في ميدان التعمير "ETAU-ECOLE-COMEDOR" إن أهداف المخطط العمراني الموجه "PUD" والذي سوف يتم التطرق إليه بأكثر تفصيل يعتمد على تحديد احتياجات السكان دون استثناء¹.

ثانيا- سلبيات أدوات التهيئة والتعمير في الجزائر:

- هناك عدة سلبيات ناجمة عن تطبيق أدوات التهيئة والتعمير في الجزائر منها ما يأتي:
- أعانت المخططات وأدوات التعمير والبناء ديناميكية الحياة الحضرية ما أضر على حركية السكان.
 - اقتصر المخططات السكانية السالفة الذكر على تعيين التجمعات الرئيسية البلدية دون النظر إلى ديناميكية إقليم البلدية وأثرها على التجمع السكاني.
 - المخطط العمراني المؤقت هو أداة مساعدة لإنشاء الاحتياطات العقارية.

1- قبائلي لطفي: التوسعات الحضرية الجديدة في قسنطينة الأليات الفاعلون وكلفة التعمير حالة المنطقة الحضرية عين الباي، ماجيستير في التهيئة العمرانية، قسنطينة، 2001.

د. زهية شويشي أدوات التهيئة الحضرية في الجزائر: سياسة التخطيط الشامل وعوائق التنفيذ

- معظم البلديات شملها المخطط الموجه لكن لم يتم المصادقة إلا على نصف المخططات.
- المناطق الصناعية المنشأة سنة 1965 كانت الأداة الوحيدة المعنية بإجراءات التهيئة "51 منطقة صناعية عبر 10 000 هكتار تمت تهيئتها، بعد 1974 قامت البلديات بإجراءات إنشاء التخطيطات من أجل إنشاء مناطق النشاطات.
- المناطق الحضرية الجديدة "ZHUN" المنشأة سنة 1975 تحت وصاية الولاية المعنية وتعتمد على دراسة تهيئة حضرية. نذكر أن 256 منطقة حضرية تحتوي على 660 000 مسكن تم اقتراحها عبر 180 مدينة لكن لم تنجز كلها.
- إن العديد من الدراسات التنفيذية تم إعدادها قصد التدخل في النسيج العمراني لغرض إعادة تهيئتها أو هيكلتها أو تجديدها ولكن لم يتغير تنفيذ معظمها على أرض الواقع.
- أنشئ نحو 600 000 حصة للبناء من قبل البلديات وتعود 500 000 من قبل الخواص ولكن في معظمها تشكو من انعدام التهيئة "طرق - شبكات - إنارة عمومية. كل هذه السياسات استمرت لعقود طويلة بعد استقلال الجزائر ما أدى إلى بروز عديد المشكلات التي لم تلقى حلا إلى غاية يومنا هذا وأبرز هذه المشكلات:
- عدم قدرة الأدوات العمرانية على التحكم في النمو الحضري والعمراني.
- انهيار الكثير من الأنسجة الحضرية.
- بروز العديد من المشكلات الحضرية مثل تزايد ظاهرة النزوح الريفي.
- الاستغلال المفرط للأراضي الزراعية.

ثالثا- الحاجة إلى سياسات حضرية جديدة:

عملت الجزائر منذ الاستقلال على بعث تنمية البلاد بما يؤدي إلى تحسين ظروف المعيشة "تعليم، صحة، خدمات... الخ" وقد حققت على مدى ثلاث عشرات تحولات كبرى في الحياة السياسية والاقتصادية أثرت بشكل واضح على البنية الاجتماعية وتحول المجتمع الجزائري. ومن آثار هذه السياسة أن تزايدت ظاهرة التعمير بمستويات قاسية، كما تضاعفت عدد التجمعات لأكثر من 4000 سكن وتوسعت مشاريع الإنارة العمومية والتجهيز، وتراجع مستوى الفقر حيث انتقل عدد العمال من 180 000 عام 1969 إلى 3440000 في عام 1985.

د. زهية شويشي أدوات التهيئة الحضرية في الجزائر: سياسة التخطيط الشامل وعوائق التنفيذ

وكان أكتوبر 1988 نقطة تحول حاسمة في تاريخ الجزائر "الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، حيث اتجهت الجزائر في اتجاه الليبرالية واقتصاد السوق، معتمدة على جملة من الإصلاحات الهيكلية ظهرت بموجبها تشريعات في ميدان التهيئة والتعمير والتسيير العقاري. لكن قبل التطرق إلى السياسة الحضرية الجديدة، يجدر بنا أن نشير إلى أزمة المدينة الجزائرية نتيجة عدم التطبيق العقلاني للمخططات العمرانية، ما يجعلنا أما حتمية التعرض لوضعية المدينة الجزائرية، حيث يقر الواقع بأن أزمة المدينة الجزائرية تعددت مستوياتها، ففي المجال الفيزيقي والحضاري تقاطعت الأزمات "السياسية والاقتصادية والاجتماعية".

مما صعب محاولات النهوض المجال العقاري من منطلق الاستجابة المتواصلة للاحتياجات الاجتماعية، فقد فشلت الدولة في الوصول إلى الأهداف المرجوة وبسبب الأزمة التي لاحظها وعاشها العام والخاص، وربما لسبب عدم فهم الدولة الجيد لخصوصيات المدينة الجزائرية. فقد افتقدت جل الدراسات التي وضعتها إلى الوحدة¹. حيث تميزت تلك الحلول بالجزئية في حل المشكلات الحضرية، وهي التي لم تتماشى مع تعقد الظواهر وتشابك المتغيرات الإيكولوجية، ما يطرح تساؤلات حول مظاهر الأزمة في الجزائر وما هي آثارها الاجتماعية؟ وهل هذه الأزمة عرفتها فقط المدن الجزائرية أم هي أزمة عالمية؟

فعلى المستوى الفيزيقي عرف التوسع العمراني غير المتوازن عبر محيط المدن والأراضي الزراعية في الجزائر تآكل عدد كبير من المساحات المخصصة لغير السكن والمشاريع العمرانية، بسبب ارتفاع احتياجات السكان من السكن والمشاريع الصناعية والتجارية، كما عرفت تدشين الكثير من المنجزات التي عرفت بالعشوائية في البناء ما أثر على النسيج العمراني وجعله عرضة للإهمال والتراجع، إضافة إلى الاستهلاك المفرط للأراضي والذي دلت عليه إحصاءات البرامج السكنية الحكومية وكعينة على مستوى الجزائر العاصمة تم استهلاك 1550 هـ من الأراضي الفلاحية من 1990، وهذا يدفعنا إلى إبراز مجموعة من الأسباب التي جاءت تبعا لتلك العشوائية:

1- محمد الهادي لعروق: مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.

د. زهية شويشي أدوات التهيئة الحضرية في الجزائر: سياسة التخطيط الشامل وعوائق التنفيذ

- انعدام البعد الاندماجي لسياسات التعمير والبناء المنجزة جعل المشاريع السكنية توصف في كثير من الاحيان على أنها مراقد للنوم "Cites dortoirs" إلى جانب افتقارها للشبكات التقنية المختلفة والخدمات الضرورية.
 - انعدام النظرة المعمارية والعمرانية المتجانسة الكفيلة بتحقيق الأهداف الوظيفية والجمالية والخدماتية في إطار مستقبلي.
 - عدم الاعتماد على الكفاءات في مجال البناء عبر عن الواقع الفعلي السوسيو ثقافي للمدينة الجزائرية.
 - غياب النظرة الشاملة لواقع المدينة والتغطية الواضحة بين التصميم والانجاز أثر على المستوى الاجتماعي للجزائريين وعلى حياتهم الحضرية.
 - عدم قدرة الأفراد والجماعات على التكيف مع الحياة الحضرية.
 - تراجع القيم واستفحال النزعة الفردية واللامبالاة إزاء المجال العمراني.
 - تفشي الأمراض الاجتماعية "كالفقير والتسول والدعارة والعنف والبطالة والانحراف والتفكك الأسري والكثافة العالية للسكان.
 - بروز أزمة النقل خاصة في المدن الكبرى.
 - ارتفاع معدلات البحث عن العمل بسبب البطالة.
 - انهيار إطار الحياة الحضرية "تلوث، الضجيج، الفوضى المروية... إلخ.
 - بروز مشكلة السكن بفعل اختلال التوازن بين الطلب والعرض.
- وهذه المظاهر هي التي تجلت فيها أزمة المدينة الجزائرية، ما يعكس فشل سياسات الدولة في معالجة التعمير والتخطيط الحضري وهو الفشل الذي أجبر الدولة على تحقيق فقط مشاريع ظرفية وعشوائية طبعاً تفاقمت مع مرور الزمن، أما خلفيات هذه المشاكل فيمكن رصدها فيما يلي:

1- انتشار ظاهرة النمو الديمغرافي والهجرة:

ذكرنا سابقاً أن الجزائر حملت بعد الاستقلال إرثاً اجتماعياً واقتصادياً متدهوراً أرغم السلطات في تلك الفترة على وضع أولويات تعتمد على توفير المطالب الاجتماعية الأساسية، في

د. زهية شويشي أدوات التهيئة الحضرية في الجزائر: سياسة التخطيط الشامل وعوائق التنفيذ

مقابل ذلك تنامت ظاهرة الفقر والبطالة في مختلف مدن الجزائر، دفعت بالجزائريين إلى الهجرة إلى المدن كونها في نظرهم المكان الذي يلبي لهم كل متطلباتهم، وهكذا بدأ عصر جديد من النزوح الريفي تميز بحركة هجرة لا نظير لها لسكان الأرياف والمناطق الطاردة في اتجاه المدن والمراكز الحضرية الجاذبة، وبدأت معها مرحلة من النمو الديمغرافي المزدوج "الولادات، الهجرة" كظاهرة متميزة بالنسبة للمجتمع الجزائري، فنمو سكان المدن والتجمعات الحضرية الكبرى أفرز حجم من النزوح نحو المدن بعد الاستقلال وصل ما بين 1966 و1987 إلى حدود 17 000 نازح سنويا، وما بين 1968 و1970 إلى نحو 40 000 مهاجر. ليرتفع بداية السبعينات تزامنا مع تطبيق سياسة التصنيع.

وبالتالي فإن النمو الديمغرافي للمدن على اختلاف مستوياتها عرف معدلات وصلت إلى 3.2% ما بين 1966 و1969 ومعدل 3.4% بين 1969 و1971 ليصل إلى 5.25% سنوات 1972-1974 ما جعل هذه المعدلات تتجاوز المعدل الوطني الطبيعي والمقدر بنحو 3.2% ويرجع الباحثين أسباب هذه الظاهرة إلى:

- * العوامل التاريخية المرتبطة بالريف الجزائري وما به من أحداث.
- * العوامل الديمغرافية من خلال ارتفاع مذهب لمعدلات الولادة وتراجع نسبة الوفيات.
- * العوامل الاقتصادية بروز التصنيع وقطاعات أخرى على حساب الزراعة¹.

ولقد تواصل هذا النمو في سنوات السبعينات والثمانينات على نفس الوتيرة ليتقهقر بشكل محسوس في التسعينات وبداية الألفية الحالية. محققا معدلات تعد الأدنى في تاريخ الجزائر وصلت إلى 2.1% وطبعا نتائج هذه الوضعية جاء بسبب الظروف التي عاشتها الجزائر من تهيمش للأرياف والوضع الأمني الصعب وانعدام المشاريع، مع هذه الظروف تزايدت معدلات الهجرة الريفية الحضرية وارتفعت الكثافة السكانية والنمو الحضري الذي نمت معه الأحياء القصديرية والعشوائية وتشوهت بفعله المدن وبرزت معه شتى أنواع الباثولوجية الاجتماعية.

1- نفس المرجع السابق.

د.زهية شويشي أدوات التهيئة الحضرية في الجزائر: سياسة التخطيط الشامل وعوائق التنفيذ

2- ظاهرة التحضر وما أوجبه من تعمير:

على الرغم من أصوله الريفية وثورته الزراعية، إلا أن المجتمع الجزائري أصبح من أكثر المجتمعات الحضرية ذات النزعة للتمركز بالمدن مع كل ما تحمله المدن من سلبيات، لكن يبدو ان ظاهرة التعمير في الجزائر اتجهت بكل ثقلها وانعكاساتها في اتجاه سلبي لم تستطع الدولة التحكم فيه، فبعد أن كان عدد سكان المدن في الجزائر سنة 1830 لا يتجاوز 5% وصل مع بداية القرن العشرين إلى 18.5% ثم 27.42% مع بداية الثورة 1954، ليصل بعد الاستقلال وفي أول إحصاء للسكن والسكان سنة 1966 إلى 31.54% ثم 40.36% سنة 1977 و 49.82% سنة 1987 وبلغ في إحصاء 1998 57.3% ومن المتوقع أن يصل عدد سكان الجزائر 43 مليون نسمة سنة 2020.

من جهة أخرى فإن العديد من المدن الجزائرية تضاعف حجمها 5 مرات في ثلاثة عقود، وتميزت دوما بإحداث قطيعة غير وظيفية مع إطار العمراني الكولونيالي، وأنتجت نمطا معماريا روتينيا جعل من البنية العمرانية تركيبية ذات وجهتين متناقضتين بين ما هو قديم وما هو حديث، كما تواصل هذا التوسع العمراني بشتى أشكاله تحت تأثير النمو الديمغرافي والهجرة لينتج تجمعات سكانية ذات كثافة عالية وهكذا أصبح معدل التعمير في الجزائر سنة 1998 حوالي 57.3% وهي من أعلى المعدلات في المغرب العربي، وكما ذكرنا مرارا في هذه المقالة أن أسباب هذه الظاهرة يرجع بالأساس للأصول الريفية وعمليات النزوح، لكن ما لم نقله أن هذه الظاهرة "الهجرة" تمت على قسمين هجرة مباشرة "ريف-مدينة" هجرة غير مباشرة أو تدريجية عبر تجمعات صغيرة ساعدت على التكيف قبل الانتقال إلى المدينة، كما ترجع ظاهرة التعمير في الجزائر إلى التطور السريع للقرى الجبلية التقليدية والقرى الكولونيالية والتجمعات العسكرية وأحياء ما بعد الاستقلال والتجمعات ذات النشأة الحديثة على غرار القرى الاشتراكية وكلها لا تحمل مواصفات المدن.

إن مستوى السلم الحضري يبدأ في حدود تجمعات تحتوي على عدد من السكان يتراوحون ما بين 1200 و 6000 نسمة، إضافة إلى المحلات التجارية خاصة التي تصل إلى حدود مئة محل وأكثر من ثلاثون مرفق عمومي وفي هذا الإطار قدرت التجمعات الحضرية من هذا

د.زهية شويشي أدوات التهيئة الحضرية في الجزائر: سياسة التخطيط الشامل وعوائق التنفيذ

المستوى بـ 200 مع نهاية الثمانينات، أما المدن المتوسطة فيتراوح عدد سكانها ما بين 30000 و80000 ساكن وهي مدن ذات مستوى عالي من حيث توفير الخدمات وهي أيضا مدن شكلت ظهور ولايات مثل تبسة، جيجل، قالمة، مسيلة سنة 1974 ومقرات لولايات كبرى مثل برج بوعريج ووادي سوف وسوق أهراس وهذه المدن تمتد حاليا في اتجاه المدن الكبرى، وتلعب دور الوساطة بين الجهات الإقليمية عبر الوطن على غرار تلمسان، معسكر، سطيف، سكيكدة، باتنة، ثم تأتي ثلاث مدن متروبولية وهي وهران قسنطينة وعنابة والتي تهيكّل حولها كل المدن في شمال الجزائر، أما بالنسبة للجزائر العاصمة فهي في نفس الوقت عاصمة جهوية ووطنية تتركز فيها السلطات السياسية والاقتصادية تتجمع فيها 25% من السكان الحضر للبلاد و18% من القيمة المضافة و42% من الأطباء و45% من وتيرة الاتصالات، لذلك تجمع للجزائر العاصمة كم المشكلات الحضرية وتناقضات المجتمع الجزائري من أزمة سكن، إلى أزمة نقل، إلى تعمير عشوائي وانتشار الأمراض الاجتماعية، وفي سياق الحديث عن سكان المدن.

إذ أشارت الإحصاءات عام 1998 أن هناك تفاوتاً حاداً في الانتشار من إقليم لآخر، فبينما تحتل وسط العاصمة 44% من الانتشار السكاني تحتل مدن الغرب الجزائري نسبة 37% والمدن الشرقية 31% كما أن أكبر الولايات كثافة هي الولايات الساحلية إذ تضم المدن المتروبولية الثلاث الجزائر، وهران، عنابة بنسبة 25% من مجموع الحضر، وهذا يرجع حسب الباحثين إلى المزايا الاقتصادية المركزة في هذه المدن دون غيرها مما ولّد المزيد من التهميش والللتكافؤ مع مناطق أخرى، وفيما يتعلق بالشبكة الحضرية أشارت إحصاءات عام 1998 أن عدد المراكز الحضرية وصلت إلى 597 مركز حضري، منها 32 مركز حضري يفوق عدد سكانه 100000 نسمة وهي التي لم تتجاوز سنة 1830 سوى خمس مدن تعداد أكبرها 30000، كما ارتفع معدل المدن المتوسطة إلى 115 مدينة عام 1987 وهو الذي لم يتجاوز 18 مدينة متوسطة سنة 1954.¹ وربما إذا ما أردنا تلخيص أزمة ومشكلات المدينة الجزائرية لوجدنا أنها لا تختزل في زاوية معينة، بل هي جملة أزمات فكرية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، سياسية وحضرية أصبحت حديث العام والخاص والتي تدور في السياقات التالية:

1- نفس المرجع السابق.

د. زهية شويشي أدوات التهيئة الحضرية في الجزائر: سياسة التخطيط الشامل وعوائق التنفيذ

- النمو العشوائي للمدن وغياب التخطيط الحضري.
- سوء استغلال المجال الحضري وظهور ما يسمى بالمدن الجديدة.
- انتشار النشاطات غير الرسمية في المدن الكبرى؛ والتلوي البيئي.

خاتمة:

نستخلص من هذه المقالة المتواضعة بأن التهيئة والتعمير، ما هو إلا أسلوب من أساليب التدخل المباشر بواسطة الأفكار والقرارات والتقنيات ووسائل التنفيذ والانجاز لتنظيم الظروف المعيشية المناسبة للمواطن، في المدن والمناطق السكنية التي تتطلب تطوير الشبكة العمرانية بشكل جيد، مع الأخذ بعين الاعتبار جميع العناصر والمقومات الحضرية لخلق نسيج عمراني يتفاعل معه المواطن في مختلف مناحي حياته.



د. زهية شويشي أدوات التهيئة الحضرية في الجزائر: سياسة التخطيط الشامل وعوائق التنفيذ

* قائمة المراجع:

1. أحمد توفيق المدني. قرطاجنة في أربع قرون من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
2. البشير التيجاني. التحضر والتهيئة الحضرية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000.
3. البشير التيجاني: مفاهيم وآراء حول توطين الصناعة وتنظيم الإقليم، 1987.
4. بوشامة ليديا. شبكة المراكز في وادي الصفصاف بولاية سكيكدة، فوارق في النمو وتنوع وتكامل في الوظائف، ماجستير في التهيئة العمرانية، قسنطينة، 2001.
5. بيار جورج. ترجمة جيلالي صاري، السكان والإستطانة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979.
6. رياض تومي: أدوات التهيئة والتعمير وإشكالية التنمية الحضرية. مدينة الحروش نموذجا. رسالة ماجستير، 2005.
7. عمر صدوق. الطبيعة القانونية للمخطط الوطني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
8. قبابلي لطفي. التوسعات الحضرية الجديدة في قسنطينة الأليات الفاعلون وكلفة التعمير حالة المنطقة الحضرية عين الباي، ماجستير في التهيئة العمرانية، قسنطينة، 2001.
9. محمد الهادي لعروق. مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.

دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

بقلم: ط. د. ريمة مشطوب

ط. د. نورة لخويدر

□ امعة محمد لمين دباغين - سطيف2

ملخص:

ظهر مفهوم الإرهاب في بلدان عديدة وبات بذلك يترجم الاستخدام غير القانوني للقوة أو العنف ضد أفراد أو مؤسسات أو مجتمعات، ومع ظهور شبكة الانترنت أصبح في السنوات الأخيرة وسيلة اتصال بامتياز لما يسمى بالجماعات الإرهابية، فأدى الإعلام الجديد وواكب ظهور مصطلحات ومفردات جديدة، تزامنت مع ظهور ما يسمى بالإرهاب الإلكتروني الذي غزى الفضاء الافتراضي بصور وتشكيلات متنوعة منها الإرهاب التجاري؛ أين أصبحت هناك الآلاف من المواقع التي تستغلها هذه الجماعات الإرهابية لأغراض الدعاية، نشر المعلومات الخاطئة عن المؤسسات والمنتجات والخدمات، جمع الأموال عبر التخطيط للاقتحام، بفضل ما أتاحه الإعلام الفائق من حرية وتفاعلية وتشاركية وتزامنية.

فأصبح الإرهاب التجاري يهدد الاقتصاد باقتحام مواقع البورصة العالمية، التزوير، القرصنة، غسيل الأموال، المتاجرة غير شرعية، السطو على المؤسسات التجارية، سرقة أرقام البطاقات الائتمانية، سرقة الأرقام السرية ونشرها، الحصول على الأموال وعدم إرسال المنتجات المطلوبة، وغيرها من المخالفات والمخاطر.

لهذا أتت هذه الورقة البحثية الراهنة لتسليط الضوء على الدور الذي يقوم به الأمن السيبراني لحماية المنتج والمستهلك للقضاء على عدوان الإرهاب التجاري في الفضاء السيبراني لتنفيذ الجرائم وخرق العمليات التجارية الإلكترونية.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

تمهيد:

إن عصرنة قطاع العدالة يتوقف على إرساء منظومة معلوماتية مركزية خاصة بوزارة العدل، تسمح بتقديم الخدمات في وقت وجيز وتقضي على تلك الممارسات الكلاسيكية التي أثقلت كاهل المواطن، وتسببت في غياب الجودة بسلك القضاء عموماً، سعياً منها لحماية المجتمع من مختلف أشكال الإجرام، وتكييف المنظومة القانونية، من خلال مراجعة عدد من النصوص والمراسيم على غرار " قانون العقوبات"، " قانون الإجراءات الجزائية"، " القانون المتعلق بالوقاية وقمع استعمال المخدرات والمؤثرات العقلية والاتجار غير شرعي"، علاوة على " القانون التجاري".

وقد صرح سفير رئيس المفوضية الأوروبية في الجزائر جون لوك أن دعم قطاع العدالة في الجزائر هو الهدف الذي تصبو إليه من خلال إطلاق برنامج تعاون مع الاتحاد الأوروبي، علماً أنها باشرت في إصلاحات العدالة منذ عام 2000 وقد حققت جملة من التغيرات والتطورات¹.

ومما لاشك فيه أن قطاع العدالة بشكل عام تواجه العديد من العراقيل والمشاكل لتفعيل دورها لعل من أبرزها الإرهاب الذي أصبح يمثل مشكلة العصر، خاصة الإرهاب الإلكتروني الذي اتخذ من الفضاء السيبراني وسيط تستند إليه الجماعات الإرهابية باعتمادها على وسائل عمل معينة غير قانونية تمكنها من تحقيق أهدافها وتجنيد أكبر عدد ممكن من الشباب والنساء وحتى الأطفال في صفوفها حسب تقديرات وإحصائيات منظمة الأمم المتحدة تعتبر الجرائم الإلكترونية من جرائم القرن القادم ذلك لارتفاع نسب ارتكابها وكثرة أعداد مرتكبيها، خاصة، وأنه أصبح ظاهرة اجتماعية أتت تزامناً مع تحول المجتمعات من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الرقمي، ومن فضاء الواقع المادي إلى فضاء الواقع الافتراضي العابر للحدود والقارات . كما ازداد خطر الإرهاب الإلكتروني نتيجة لاستخدام الدولة للتكنولوجيا المتطورة في مختلف الميادين، لسهولة الاستخدام ورخص التكلفة بهدف تحقيق الرخاء والتقدم البشري، لكن الجماعات الإرهابية استغلت الظروف وبدأت تشن هجمات على مختلف القطاعات السياسية، الاقتصادية العسكرية والاجتماعية من خلال اختراقها للمواقع الإلكترونية لرؤساء

¹ - مختارات الصحف باللغة العربية: "العدالة بين العصرنة والإصلاح"، 2017، ع2، ص 6.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

الدول والحكومات والوزارات والتجسس عليها وتدميرها، والإطلاع على مختلف المعلومات الأساسية للدولة خاصة الأمنية منها، إضافة إلى المؤسسات الاقتصادية كالبنوك والبورصات العالمية، مما يؤثر سلبا على الأمن الاقتصادي للدولة¹.

وتؤكد الدكتوراه كونوي في دراستها: "الإرهاب والانترنت": إعلام جديد خطر جديد، على أنّ الانترنت أصبح وسيلة إستراتيجية توظفها الجماعات الإرهابية لتنفيذ برامجها وتحقيق أهدافها، بل أكثر من ذلك أصبحت تبحث عن كيفية ترشيد استغلال هذه التكنولوجيا الجديدة.

ويرى وأيمن في دراسته "كيف يستخدم الإرهاب الحديث الانترنت" أنّ هذه الجماعات استغلت واستفادت من خصائص ومميزات الانترنت كسهولة الدخول إلى الشبكة، انعدام التشريعات والقوانين، الوصول إلى جماهير عريضة... الخ².

لذلك يعتبر الكثيرون الإرهاب الإلكتروني عموما والتجاري خصوصا أخطر بكثير من الإرهاب التقليدي، لكونه أكثر انتشارا فهو يصل إلى مئات الملايين في ثوان معدودات، فأصبح اليوم الفيديو والصورة والكاميرا أكثر خطورة من الكلاشينكوف.

وهذه الآفات تعيق عمل التجارة الإلكترونية وتنتهك قانون التجارة الإلكترونية، فقد أوضحت إيمان هدى فرعون وزيرة البريد وتكنولوجيا الإعلام والاتصال والاقتصاد الرقمي أنّ مشروع قانون التجارة الإلكترونية تمّ المصادقة عليه ليدخل حيز التنفيذ، وهو قانون يؤطر حقوق وواجبات التاجر والمستهلك وجميع الترتيبات المتعلقة بتنفيذ المعاملة على الانترنت، إلى جانب التدابير المرتبطة بحماية وسرية العمليات التجارية الإلكترونية، من معطيات حول الأرصدة والبطاقات البنكية والبريدية للمواطن مع تأمين المعاملات المالية.

كما يعتبر الأمن السيبراني من بين التحديات الأمنية المعاصرة التي لاقت إشكالا عويصا من طرف فواعل عديدة لتحقيقه وبالأخص الدول، حيث أصبح بعدا مفاهيميا تجدر دراسته من

¹ - سارة بوحادة: "أثر الإرهاب الإلكتروني على أمن واستقرار الدول"، المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية ، الجزائر، د.ص.

² - محمد قيراط: "الإعلام الجديد والإرهاب الإلكتروني: آليات الاستخدام وتحديات المواجهة"، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، 2017، ع09، ص10.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

طرف الأوساط الأكاديمية والمعرفية وإيجاد نسق معرفي يسهل على صانع القرار إيجاد الحلول والأفاق على المستوى الإمبريقي، حيث تعتبر الجزائر من بين الدول التي دخلت مصاف الإدارة الإلكترونية والعالم السيبراني، مما ترتب عليه انعكاسات أدى بالدولة الجزائرية إلى تبني إصلاحات وإستراتيجية أمنية لتحقيق أمنها السيبراني في الفضاء السيبري. وفي خضم هذه التوترات والانتهاكات الأمنية العابرة للحدود التي تعيق مسار العدالة السيبرانية واستتباب الأمن والسلام للأرواح والممتلكات وتزعزع أمن الدولة والمجتمع، وتشوه التجارة الإلكترونية التي تسهل التواصل بين العملاء والشركاء، وتوفير احتياجات المستهلكين ومنه تحقيق أهداف كل مشروع تجاري باستخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصال وتوفير أكثر فعالية وأكثر الأرباح لكل الأطراف في المعاملات التجارية السيبرانية، وعليه يمكن الإشكالية المطروحة :

- كيف يساهم الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري؟

- ما السبل التي يستخدمها الأمن السيبراني لمواجهة الجريمة التجارية السيبرانية؟

أولاً- الأبعاد المفاهيمية للأمن السيبراني والإرهاب الإلكتروني:

1.1- مفهوم الإرهاب:

أثير الكثير من الجدل والتساؤل بشأن تحديد مفهوم الإرهاب، وهو ما ساهم في الالتباس والتداخل والفوضى في الطرح والمعالجة والتحليل، فحتى اليوم لا يوجد تعريف متفق عليه دولياً للإرهاب.

نجد في لسان العرب، ما يأتي: (رَهَبَ بِمَعْنَى خَافَ وَالْأَسْمُ الرَّهْبُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (مَنْ رَهَبَ) أَي بِمَعْنَى الرَّهْبَةِ، وَمِنْهُ: "لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ"... كَاعْتِنَاقِ السَّلَاسِلِ، وَالِاخْتِصَاءِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا كَانَتْ الرَّهَابِنَةُ تَتَكَلَّفُهُ، وَقَدْ وَضَعَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْلُهَا مِنَ الرَّهْبَةِ: الْخَوْفُ، وَتَرَكَ مَا لَذَّ الْحَيَاةَ كَالنِّسَاءِ...¹).

¹ - بن مكرم أبو الفضل، جمال الدين محمد: لسان العرب لابن منظور، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1955م / 1374 هـ، ج 8، ص 337.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

يؤكد علماء اللغة أنّ أصل كلمة "إرهاب" مشتقة من الفعل: رهب، يرهب، ويقصد منها التخويف والفزع.

وعرفته الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب بأنه: " كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به، أي كانت دوافعه أو أغراضه، يقع تنفيذه لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم، أو تعريض حياتهم أو حرياتهم وأمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق أو الأملاك أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر".¹

عرف أحد الفقهاء الإرهاب بأنه: "العمل الإجرامي المصحوب بالرعب أو العنف أو الفزع بقصد تحقيق هدف معين".

كما يشار للإرهاب بالمفهوم الواسع: كل جنائية أو جنحة سياسية أو اجتماعية ينتج عن تنفيذها والتعبير عنها ما يثير الفزع العام لما لها من طبيعة ينشأ عنها خطر عام، أما المفهوم الضيق فالإرهاب يعني "الأعمال الإجرامية التي يكون هدفها الأساسي نشر الخوف والرعب، كعنصر شخصي وذلك باستخدام وسائل تستطيع خلق حالة من الخطر العام كعنصر مادي"². ويرى walter أن الإرهاب عملية رعب تتكون من ثلاثة عناصر هي: فعل العنف أو التهديد باستخدامه، رد الفعل الناجم عن أقصى درجات الخوف الذي أصاب الضحايا المحتملين وأخيرا التأثيرات التي تصيب المجتمع بسبب العنف أو التهديد باستخدامه ونتائج الفعل ". وهناك تعريف آخر للإرهاب، يشير إلى أن الإرهاب "هو استعمال العنف للتأثير في الأفراد أو الجماعات أو الحكومة وخلق مناخ من الاضطراب وعدم الأمن لتحقيق هدف معين يرتبط بتوجهات الجماعات الإرهابية ولمنه بصفة عامة يتضمن تأثيرا في المعتقدات أو القيم أو الأوضاع

¹ - المادة الأولى من الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب 1998، جامعة الدول العربية ، الأمانة الفنية لمجلس وزراء العدل العرب، اعتمادها مجلسا وزراء العدل والداخلية العرب في اجتماعهما المشترك يوم 1998/04/22 بتاريخ ودخلت حيز النفاذ 1999/5/7، ص 3.

² - خالد السيد: الإرهاب الدولي والجهود المبذولة لمكافحته، مركز الإعلام الأمني، على الموقع الإلكتروني: <https://www.policemc.gov.bh/>، يوم 2019/02/20، على الساعة : 16:45 مساء، ص 2.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة التي تم التوافق عليها بين المؤسسات والأفراد، والتي تمثل مصلحة قومية عليا للوطن¹.

2.1- مفهوم الإرهاب الإلكتروني:

يعرفه الأستاذ عبد الله العجلان بأنه: "العدوان أو التخويف أو التهديد المادي أو المعنوي الصادر من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان، في دينه أو نفسه أو عرضه أو عقله أو ماله بغير حق، باستخدام الموارد المعلوماتية والوسائل الإلكترونية بشتى صنوف العدوان وصور الفساد، فهو يعتمد على استخدام الإمكانيات العلمية والتقنية، واستغلال وسائل الاتصال والشبكات المعلوماتية من أجل تخويف وترويع الآخرين وإلحاق الضرر بهم².

كما يعرف بأنه استخدام الحاسوب والوسائل العلمية والتكنولوجية من أجل تنفيذ أعمال إرهابية ليس من السهل تنفيذها على أرض الواقع، ويتم تنفيذها من قبل شخص واحد بشرط أن تتوفر فيه القدرة والكفاءة والخبرة اللازمة في استخدام التقنية المعلوماتية.

ظهر مصطلح الإرهاب الإلكتروني في عقد الثمانينات من القرن الماضي على يد باري كولين، عندما تبني تعريفا للإرهاب الإلكتروني مضمونه: هجمة إلكترونية غرضها تهديد الحكومات أو العدوان عليها سعيا لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو إيديولوجية، وأن الهجمة يجب أن تكون ذات أثر مدمر وتخريب مكافئ الأفعال المادية للإرهاب³.

كما أنه الجريمة ذات الطابع المادي، التي تتمثل في كل سلوك غير قانوني من خلال استخدام الأجهزة الإلكترونية، ينتج منه حصول المجرم على فوائد مادية أو معنوية مع تحميل

¹ - مصطفى هويدا: دور الفضائيات العربية في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته نحو الإرهاب، دراسة ميدانية على عينة من الجمهور العربي، اتحاد إذاعات الدول العربية، جامعة الدول العربية، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية (63) تونس، 2008، ص 36-37.

² - العجلان عبد الله بن عبد العزيز بن فهد: "الإرهاب الإلكتروني في عصر المعلومات"، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الأول حول: حماية أمن المعلومات والخصوصية في قانون الانترنت، القاهرة، 2008، ص 23.

³ - الإرهاب الإلكتروني وطرق مواجهته، شبكة النبا المعلوماتي، الموقع الإلكتروني: <http://m.annabaa.org.arabic/information/11123/>، يوم 2019/02/15، على الساعة 11:55 مساءً.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

الضحية خسارة مقابلة وغالبا ما يكون هدف هذه الجرائم هو القرصنة من أجل سرقة أو إتلاف المعلومات الموجودة في الأجهزة ومن ثم ابتزاز الأشخاص باستخدام تلك المعلومات¹. تعريف وزارة الدفاع الأميركية لمفهوم الإرهاب الإلكتروني، حيث تحدد بأنه «كل عمل إجرامي يتم الإعداد له باستخدام الحاسبات ووسائل الاتصالات، وينتج عنه عنف وتدمير أو بثّ الخوف تجاه متلقي الخدمات بما يسبب الارتباك وعدم اليقين، وذلك بهدف الضغط على الحكومة أو السكان لكي تمتثل لأجندة سياسية أو اجتماعية أو فكرية معينة². ويقصد به كذلك استخدام الوسائل الإلكترونية والتقنيات الرقمية، الصادر عن الدول أو الجماعات أو الأفراد، ضد أي شخص طبيعي أو اعتباري، بدوافع سياسية، بغرض إخافته أو تهديده والتأثير فيه ماديا أو معنويا، أو بقصد التأثير في القرارات الحكومية أو الرأي العام³. ويقصد بإرهاب السيبر أو الإرهاب العالم الإلكتروني Cyber Terrorism، وهي هجمات تستهدف نظم الكمبيوتر والمعطيات لأغراض دينية أو سياسية أو فكرية أو عرقية وفي حقيقتها جزء من السيبر باعتبارها جرائم إتلاف للنظم والمعطيات أو جرائم تعطيل للمواقع وعمل الأنظمة. لكنها تتميز عنها بسمات عديدة أبرزها أنها ممارسة لذات مفهوم الأفعال الإرهابية لكن في بيئة الكمبيوتر والإنترنت وعبر الإفادة من خبرات الكريكرز- أي مجرمي الكمبيوتر الحاقدين- العالية، وفي إطار ذات السمات التي تتوفر في جماعات الجريمة المنظمة⁴.

¹ - بوعلوي بوجلطية أحمددي: "الإرهاب الإلكتروني وطرق مواجهته على المستوى العربي دراسة للتجربتين السعودية والقطرية"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاقتصادية والقانونية، العدد 16، جوان 2016، ص 183.

² - المطيري عادل عبد الله: الإرهاب الإلكتروني والأمن السيبراني، على الموقع الإلكتروني: <http://alarab.qa/story/1333816>، يوم 2019/02/12، على الساعة 16:57 مساء.

³ - مايا حسن ملا خاطر: "الإطار القانوني لجريمة الإرهاب الإلكتروني"، مجلة جامعة الناصر، العدد الخامس، المجلد الأول، يناير- يونيو 2015، كلية الحقوق، جامعة دار العلوم، المملكة العربية السعودية، ص 133.

⁴ - مهدي ممد الألفي، ورقة العمل حول: "تشريعات مكافحة جرائم الإرهاب الإلكتروني الأحكام الموضوعية والأنماط"، القاهرة، دن. ص 10.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

3.1- مفهوم الإرهاب التجاري:

ومن خلال التفحص في التراث النظري أنه لم نجد مفهوما واضحا للإرهاب التجاري، فعمدت إليه هذه الدراسة إلى انتقاء مفهوم إجرائي يتماشى وهدفها، وكان كالآتي:

وهو أحد أصناف الإرهاب الإلكتروني الذي يعتمد على الحاسوب وبرمجياته وسيلة للإتجار غير المشروع والمعاملات التجارية في السلع والخدمات لتشويه سمعة المؤسسات الاقتصادية عبر الوسائط الإلكترونية، ونشر المعلومات المكذوبة وتشويه سمعة الأشخاص، غسيل الأموال والتجسس التجاري، والسطو على البطاقات الائتمانية، والاعتداء على التوقيع الإلكتروني، تجارة الأسلحة، وتجارة المخدرات والقمار عبر الإنترنت...، وكل هذه الأصناف تؤدي إلى تخويف وترويع الآخرين وإلحاق الضرر بهم وبمعاملاتهم التجارية عبر المبادلات الإلكترونية. ويمكن أيضا أن يعرف بأنه سلوك غير قانوني من خلال استخدام الأجهزة الإلكترونية في التجارة الإلكترونية، ينتج عنه حصول المجرم على فوائد مادية أو معنوية للإخلال بهذه التجارة، فتصبح وسيلة لتخويف الضحية واستفزازه بالأموال أو وسائل أخرى، ولا يمارس هذا النوع من الإرهاب إلا من طرف من يملك كفاءة وخبرة في المجال الرقمي.

4.1- مفهوم الأمن السيبراني:

عرف ريتشارد كمرر (Richara A.Kemmerer) الأمن السيبراني بأنه: "عبارة عن وسائل دفاعية من شأنها كشف وإحباط المحاولات التي يقوم بها القرصنة".

أما إدوارد أمورسو (Edward Amoroso) الأمن السيبراني بأنه: "وسائل من شأنها الحد من خطر الهجوم على البرمجيات أو أجهزة الحاسوب أو الشبكات، وتشمل تلك الوسائل الأدوات المستخدمة في مواجهة القرصنة وكشف الفيروسات ووقفها، وتوفير الاتصالات المشفرة... إلخ¹.

كما يعني الأمن الإلكتروني أي أداة أو تقنية أو عملية مستخدمة لتحمي أصول المعلومات لنظام الأمن الإلكتروني، حيث يتيح الأمن الإلكتروني ويضيف قيم الشبكات وموجه للبنية

¹ - عنتر بن مرزوق، محي الدين حرشاوي: "الأمن السيبراني كبعد جديد في السياسة الدفاعية الجزائرية"، د.ن، على الموقع الإلكتروني <https://manifest.univ-ouargla.dz>، يوم 20/21/2019، على الساعة 16:55 مساء، ص 02.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

الأساسية المرنة والصلبة. والمكونات البنية الأساسية الصلبة تعني الأجهزة الصلبة Hardware والبرمجيات Software المطلوبة لحماية النظام والبيانات من التهديدات والأمن من خارج أو داخل النظام، أما المكونات البنية الأساسية المرنة تعني السياسات، والعمليات والبروتوكولات، والتوجهات التي تحمي النظام والبيانات من مصادرها المختلفة¹.

والملاحظ أن مصطلح سيبأر أو الفضاء الإلكتروني وفي كثير المراجع الفضاء السيبراني، ظهر مع ظهور الانترنت وتعميم استخدام الرقمنة، موازاة مع كم هائل من المصطلحات مثل الفضاء الرقمي، الدفاع الإلكتروني، الهجوم الإلكتروني، الجريمة الإلكترونية وغيرها، في حين أن الأمن السيبراني أو الإلكتروني ظهر حديثا وهو يعني: مجمل القوانين السياسية، الأدوات، النصوص، المفاهيم، وميكانيزمات الأمن وطرق تسيير الأخطار والممارسات المتعلقة بتكنولوجيات المعلومات والاتصالات المستخدمة لحماية الدول والمنظمات والأشخاص.

ويقصد أيضا بالأمن السيبراني بأنه الحالة المرغوب فيها لعمل أنظمة المعلومات والاتصالات والتي تمنحها القدرة على المقاومة والتصدي لكل ما ينجم عن الفضاء السيبراني، والذي من شأنه أن يعرض المعلومات المخزنة أو المعالجة أو المنقولة للتلف أو التغيير أو التجسس². ويعرف كذلك الأمن السيبراني بأنه: "عبارة عن مجموع الوسائل التقنية والتنظيمية والإدارية التي يتم استخدامها لمنع الاستخدام الغير مصرح به، وسوء الاستغلال واستعادة المعلومات الإلكترونية ونظم الاتصالات والمعلومات التي تحتويها وذلك بهدف ضمان توافر واستمرارية عمل نظم المعلومات وتعزيز حماية وسرية وخصوصية البيانات الشخصية واتخاذ جميع التدابير اللازمة لحماية المواطنين والمستهلكين من المخاطر في الفضاء السيبراني³.

والملاحظ من التعاريف للأمن السيبراني كثيرا ما يذكر بالموازاة مع الفضاء السيبراني والذي يقصد به- الفضاء السيبراني- كما عرّفته الوكالة الفرنسية لأمن أنظمة الإعلام (ANSSI)، وهي

¹ - بوعلی أحمدی بوجلطية، مرجع سابق، ص 183.

² - عنتر بن مرزوق، محي الدين حرشاي، مرجع سابق، ص 03.

³ - حمزة صيوان، الفتلاوي عطية: "الأمن السيبراني والحروب السيبرانية"، جريدة خيمة العراق الصادرة عن وزارة الدفاع العراقية، العدد 357، 04 مارس 2015، ص 10.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

وكالة حكومية مكلفة بالدفاع السيبراني الفرنسي على أنه: "فضاء التواصل المشكل من خلال الربط البيئي العالمي لمعدات المعالجة الآلية للمعطيات الرقمية".

إذن فهو مجال مركب مادي وغير مادي يشمل مجموعة من العناصر هي: أجهزة الكمبيوتر، أنظمة الشبكات والبرمجيات، حوسبة المعلومات، نقل وتخزين البيانات، ومستخدمو كل هذه العناصر".

كما أن عملية تعزيز الجانب الدلالي لهذا الفضاء تستدعي تحليل البنية التركيبية له، إذ يُمكن اعتبارها بنية ذي ثلاث طبقات هي:

01- الطبقة المادية: تشمل معدات الحواسيب، والبرمجيات، والمعدات الضرورية لعملية الربط البيئي.

02- الطبقة المنطقية: تشمل مجموع البرامج المترجمة للمعلومة على شكل معطيات رقمية، حيث يتم الانتقال من لغة الإنسان إلى لغة الآلة في شكل خوارزمية، ومنها إلى برامج مطوّرة بلغة البرمجة.

03- الطبقة الإعلامية: وتتمثل هذه الطبقة في البعد الاجتماعي الذي يضاف إلى الطبقتين السابقتين، حيث أنه في الفضاء الرقمي يمكن أن يكون لكل إنسان عدة هويات رقمية (عنوان بريده الإلكتروني، رقم هاتفه النقال، صور رمزية على مواقع التواصل الاجتماعي...)¹.

ثانيا- فروق دلالية بين الأمن المعلوماتي والأمن السيبراني:

أمن المعلومات يهدف إلى حماية الأنظمة الحاسوبية من الوصول غير الشرعي لها، أو العبث بالمعلومات أثناء التخزين أو المعالجة أو النقل، كما يهدف إلى الحماية ضد تعطيل خدمة المستخدمين الشرعيين.

¹ إسماعيل قادي: إدارة الحروب النفسية في الفضاء الإلكتروني: الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في الشرق الأوسط، جامعة الجزائر3، الندوة الدولية: عولمة الإعلام السياسي وتحديات الأمن القومي للدول النامية، دن، ص 4-5.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

كما أنه يعنى أمن المعلومات بالوسائل الضرورية لاكتشاف وتوثيق وصد كل هذه التهديدات، وأمن المعلومات يشمل كل ما من شأنه حماية (المعلومة) التي قد تكون في نظام حاسوبي، أو قد لا تكون.

فهو المضلة الكبرى التي تغطي كل الأفرع الأخرى المرتبطة بحماية البيانات والمعلومات وتأمينها، ويهتم بمجالات ضخمة، كالتشفير، والتخزين، والتأمين الفيزيائي، والمعايير الأمنية، وإدارة أمن المعلومات والمخاطر.

فأمن المعلومات والأمن السيبراني هما مصطلحان متشابهان، لكنهما ليسا متطابقين، فالأمن السيبراني هو سلاح إستراتيجي بيد الحكومات والأفراد، لاسيما أن الحرب السيبرانية أصبحت جزءا لا يتجزأ من الأساليب الحديثة للحروب والهجمات بين الدول¹.

ثالثا- هدف وأهمية الأمن السيبراني:

إن هدف الأمن السيبراني هو المساعدة على حماية الأصول وموارد المنظمات من النواحي التنظيمية، والبشرية، والمالية، والتقنية، والمعلوماتية بحيث يسمح لها بمواصلة مهمتها، والهدف النهائي هو ضمان عدم تضررها ضررا دائما وهذا يتألف من تقليل احتمالات تجسد أي تهديد، والحد من الضرر الناجم أو سوء الأداء، وضمان استعادة العمليات العادية لحالتها السابقة خلال إبطار زمني مقبول وبتكلفة مقبولة، في أعقاب وقوع حادث أمني. وتستغرق عملية الأمن السيبراني المجتمع بأسره، من حيث يكون كل فرد فيه معنيا بتنفيذها، ويمكن دعم ذلك بتطوير مدونة سلوك سيبرانية لأجل الاستخدام السليم لتكنولوجيات المعلومات والاتصالات، وإعلان سياسات أمن حقيقية تفنن المعايير التي يكون متوقعا من مستخدمي الأمن السيبراني (الكيانات والشركاء والموردون) الوفاء بها².

¹ - صالح بن علي بن عبد الرحمن الربيعية: الأمن القومي وحماية المستخدم من مخاطر الإنترنت، هيئة الاتصالات وتقنية المعلومات، المملكة العربية السعودية، 2030، ص 10-11.

² - توريه حمدون: "دليل الأمن السيبراني للدول النامية"، الاتحاد الدولي للاتصالات، تصدر 03، 2006.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

رابعا- خصائص الإرهاب التجاري:

- ✓ هو إرهاب لا يحتاج إلى ارتكاب العنف والقوة بل يتطلب وجود حاسوب متصل بالشبكة ومزود ببعض البرمجيات والتطبيقات.
- ✓ يمثل جريمة إرهابية عابرة للحدود والدول والقارات (لا حدود جغرافية).
- ✓ صعوبة اكتشاف الجرائم التي ينفذها، خاصة مع نقص الخبرة لدى أجهزة الأمن السيبراني.
- ✓ صعوبة إثبات المخالفات التي يرتكبها الإرهاب التجاري، بسبب سرعة غياب الدليل الرقمي
- ✓ مرتكب الجريمة التجارية السيبرانية هو شخص ذو خبرة فائقة في مجال الحواسيب والتقنيات.
- ✓ جريمة تحتاج إلى خبرة فنية، ويصعب على المحقق التقليدي التعامل معها¹.

خامسا- أشكال الإرهاب التجاري:

1.5- غسيل الأموال: اختلف الكثير في تعريف غسيل الأموال وقد يكون التعريف الشامل هو: كل عملية من شأنها إخفاء المصدر غير المشروع الذي اكتسبت منه الأموال"، ومن البديهي أن يأخذ المجرمون بأحدث ما توصلت إليه التقنية لخدمة أنشطتهم الإجرامية ويشمل ذلك بالطبع طرق غسيل الأموال التي استفادت من عصر التقنية فلجأت إلى الإنترنت لتوسيع وتسريع أعمالها في غسيل أموالها غير المشروعة، ويجد المتصفح للإنترنت مواقع متعددة تتحدث عن هذه العمليات منها: <http://www.laundryman.u.net.com> كما يجد المواقع التي تستخدم كساتر لعمليات غسيل الأموال ومنها المواقع الافتراضية لنوادي القمار التي قام مكتب المباحث الفدرالية (FBI) الأمريكي بمراقبة بعض هذه المواقع.

فجريمة غسيل الأموال بأنها " كل ما يدير أو يحاول أن يدير تعامل مالي يوظف عائدات بطريقة ما لنشاط غير قانوني عارفا بأن المال المستخدم هو عائدات بطريقة ما لنشاط غير

¹ - عطية أيسر محمد: "دور الآليات الحديثة للحد من الجرائم المستحدثة: الإرهاب الإلكتروني وطرق مواجهته"، ورقة مقدمة في الملتقى العلمي: الجرائم المستحدثة في ظل المتغيرات والتحولات الإقليمية والدولية، كلية العلوم الإستراتيجية، عمان، 2014، ص 11-12.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

قانوني أو كل من ينقل أو يرسل أو يحيل وسيلة نقدية أو مبالغ تمثل عائدات بطريقة ما لنشاط غير قانوني عارفا بأن هذه الوسيلة النقدية أو المال يمثل ما لنشاط غير قانوني¹.

وقد ظهر اصطلاح (غسل الأموال) لأول مرة في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الاتجار غير المشروع في المخدرات والتي عقدت في فيينا عام 1998، وقد نص في المادة الثالثة منها على أن غسل الأموال يتمثل إما في تحويل الأموال أو نقلها مع العلم بأنها من نتاج جرائم المخدرات، أو في إخفاء أو تمويه حقيقة الأموال أو مصدرها أو في اكتساب أو حيازة أو استخدام الأموال مع العلم وقت تسليمها أنها من حصيلة جريمة من الجرائم المنصوص عليها في الاتفاقية².

2.5- تزوير البيانات: تعتبر من أكثر جرائم نظم المعلومات انتشارا فلا تكاد تخلو جريمة من جرائم نظم المعلومات من شكل من أشكال تزوير البيانات، وتتم عملية التزوير بالدخول إلى قاعدة البيانات وتعديل البيانات الموجودة بها أو إضافة معلومات مغلوبة بهدف الاستفادة غير المشروعة من ذلك.

وقد وقعت حادثة في ولاية كاليفورنيا الأمريكية حيث عمدت مدخلة البيانات بنادي السيارات وبناء لاتفاقية مسبقة بتغيير ملكية السيارات المسجلة في الحاسب الآلي بحث تصبح باسم أحد لصوص السيارات والذي يعمد إلى سرقة السيارة وبيعها وعندما يتقدم مالك السيارة للإبلاغ يتضح عدم وجود سجلات للسيارة باسمه وبعد السيارة تقوم تلك الفتاة بإعادة تسجيل السيارة باسم مالكيها وكانت تتقاضى مقابل ذلك مبلغ مائة دولار واستمرت في عملها هذا إلى أن قبض عليها، وفي حادثة أخرى قام مشرف تشغيل الحاسب بأحد البنوك الأمريكية بعملية تزوير حسابات أصدقائه في البنك بحيث تزيد أرصدهم ومن ثم يتم سحب تلك المبالغ

¹ - حسين علي محسن: "جريمة غسل الأموال الإلكترونية"، كلية القانون، الجامعة المستنصرية، دن، ص 01.

² - رشدي مراد، 2003: على الموقع الإلكتروني:

<http://www.maher.sandroses.com/m706.htm>

يوم: 2019/02/15، على الساعة 19:47 مساءً.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

من قبل أصدقائه وقد نجح في ذلك وكان ينوي التوقف قبل موعد المراجعة الدورية لحسابات البنك إلا أن طمع أصدقائه أجبره على الاستمرار إلى أن قبض عليه .
ومما شك فيه أن البدء التدريجي في التحول إلى الحكومات الإلكترونية سيزيد من فرص ارتكاب مثل هذه الجرائم حيث سترتبط الكثير من الشركات والبنوك بالإنترنت مما يسهل الدخول على تلك الأنظمة من قبل محترفي اختراق الأنظمة وتزوير البيانات لخدمة أهدافهم الإجرامية¹.

تعتبر هذه الجريمة من أكثر جرائم نظم المعلومات والانترنت انتشارا فلا تكاد تخلو جريمة من جرائم نظم المعلومات من شكل من أشكال تزوير البيانات، وتتم عملية التزوير بالدخول إلى قاعدة البيانات وتعديل البيانات الموجودة بها أو إضافة معلومات مغلوبة بهدف الاستفادة غير المشروعة من ذلك .

ومما لا شك فيه ان البدء التدريجي في التحول إلى الحكومات الإلكترونية E-Government سيزيد من فرص ارتكاب مثل هذه الجرائم حيث سترتبط الكثير من الشركات والبنوك بالإنترنت مما يسهل الدخول على تلك الأنظمة من قبل محترفي اختراق الأنظمة وتزوير البيانات لخدمة أهدافهم الإجرامية.

وجرائم التزوير ليست بالجرائم الحديثة، ولذا فإنه لا تخلوا الأنظمة من قوانين واضحة لمكافحةها والتعامل معها جنائيا وقضائيا وكفي التشريعات الحالية لتجريمها وتحديد العقوبة عليها².

¹- العريان عبد الحميد إبراهيم محمد: "العلاقة بين الإرهاب المعلوماتي والجرائم المنظمة": ما هورد فعل القطاع الخاص، الدورة التدريبية مكافحة الجرائم الإرهابية المعلوماتية خلال الفترة، كلية التدريب، قسم البرامج التدريبية، المغرب، القنيطرة، 2006 ، ص 41.

²- أضرار وجرائم شبكة الانترنت، على الموقع الإلكتروني: <https://vb.ckfu.org/attachments/>، يوم 15/02/2019، على الساعة 19:47 مساء.

3.5- القرصنة:

يقصد بالقرصنة الاستخدام أو والنسخ غير المشروع لنظم التشغيل أو/ ولبرامج الحاسب الآلي المختلفة. وقد تطورت وسائل القرصنة مع تطور التقنية، ففي عصر الإنترنت تطورت صور القرصنة واتسعت وأصبح من الشائع جدا العثور على مواقع بالإنترنت خاصة لترويج البرامج المقرصنة مجانا أو بمقابل مادي رمزي.

وقد أدت قرصنة البرامج إلى خسائر مادية باهظة جدا وصلت في العام 1988 إلى 11 مليار دولار أمريكي في مجال البرمجيات وحدها، ولذلك سعت الشركات المختصة في صناعة البرامج إلى الاتحاد وأن شاء منظمة خاصة لمراقبة وتحليل سوق البرمجيات ومن ذلك منظمة اتحاد برمجيات الأعمال أو ما تعرف اختصارا بـ(BSA)، والتي أجرت دراسة تبين منها أن القرصنة على الإنترنت ستطغى على أنواع القرصنة الأخرى، ودق هذا التقرير ناقوس الخطر للشركات المعنية فبدأت في طرح الحلول المختلفة لتفادي القرصنة على الإنترنت ومنها تهديد بعض الشركات بفحص القرص الصلب لمتصفحهم على الإنترنت لمعرفة مدى استخدام المتصفح للموقع لبرامج مقرصنة إلا أن تلك الشركات تراجعت عن هذا التهديد إثر محاربته من قبل جمعيات حماية الخصوصية لمستخدمي الإنترنت¹.

4.5 - المواقع المتخصصة في القذف وتشويه سمعة الأشخاص:

المواقع الموجهة ضد أشخاص محددین فهي موجودة ولكنها ليست منتشرة انتشارا المواقع الأخرى وتركز هجومها غالبا على أبرز سلبيات الشخص المستهدف ونشر بعض أسرار سواء التي يتم الحصول عليها بطريقة غير مشروعة بعد الدخول على جهازه والعبث به أو بتلفيق الأخبار عنه².

5.5 - القمار عبر الإنترنت:

في الماضي كان لعب القمار يستلزم وجود اللاعبين معا على طاولة واحدة ليتمكنوا من لعب القمار، أما الآن ومع انتشار شبكة الانترنت على مستوى العالم فقد أصبح لعب القمار

¹ - إبراهيم محمد: "العلاقة بين الإرهاب المعلوماتي والجرائم المنظمة"، ص 34.

² - إبراهيم محمد، مرجع سابق، ص 41.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

أسهل حيث التف اللاعبين على صفحة واحدة من صفحات الانترنت على مستوى العالم ومن أماكن متفرقة أسهل من ذي قبل.

سادسا- استغلال الإرهاب التجاري للفضاء السيبراني:

مكن الإعلام الجديد الإرهاب التجاري من تكوين جماهير على اختلاف الفئات الاجتماعية، نظرا لمجانيته وانتشاره، خصوصا مع ظهور الويب 2.0 وما أنتجه من منصات وشبكات ورداهات تفاعلية جذبت الصغير والكبير، ومن أهمها نجد:

أ- الفيسبوك: يمثل الشبكة الاجتماعية الأضخم والأكثر استخداما، لذلك يقول أحد خبراء الاتصال: "لو كان الفيسبوك دولة... سيكون ثالث أكبر دولة بالعالم بعد الصين والهند... عدد مستخدميه تجاوز 300 مليون... كل دقيقة تأتي بالمزيد¹.

فاستغلته الجماعات الإرهابية من خلال نشر فيديوهات وصور كاذبة عن مؤسسات اقتصادية وحتى رجال أعمال لتشويه سمعتهم، وفقدان مركزهم.

ب- يوتيوب: يعتبر من أهم المنابر المستخدمة من قبل الجماعات الإرهابية لنشر ثقافتهم و كسب أطراف جدد لتوسيع معاملاتهم وخلق مجتمع إرهابي افتراضي، وحسب إحصائيات يوتيوب تمت مشاهدة ألف مليار فيديو سنة 2011، وهناك مليار مستخدم اليوتيوب يشاهدون 6 مليارات ساعة من الفيديوهات كل شهر².

هي صفحات وغيرها من الشبكات التي يمارس الإرهاب التجاري نشاطه عبرها مستفيدا من مختلف التقنيات والأساليب للإقناع والتأثير قصد استقطاب الجماهير ونجد مثلا: صفحة "فيسبوك شوب" أو Facebook Shop.

حيث سجلت عشرات الآلاف من المشاركين والمتفاعلين معها، إلى جانب استغلالها في جمع الأموال والحصول على التبرعات والدعم المالي، كلها مسائل عانى معها الأمن السيبراني لإيجاد سبل لمواجهتها والتقليل من توسعاتها.

¹ - علي عبد الفتاح: الإعلام الاجتماعي، دار اليازوري، عمان، ص 168.

² - Weiman, Gabriel: *New terrorism and new media*, Washington. D. c, Wilson centre, commons, lab, research series, Vol2.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

كما أن الإرهاب التجاري هو تهديد اقتصادي وذلك اختراق النظام المصرفي وإلحاق الضرر بأعمال البنوك وأسواق المال العالمية، وتعطيل عمليات التحويل المالي، مما يُلحق الأذى بالاستثمار الأجنبي وبالثقة بالاستثمار عامةً، وإلحاق الأذى بالاقتصاد الوطني، وتعديل ضغط الغاز عن بُعد في أنابيب الغاز لتفجيرها، ونظم السلامة في المصانع الكيماوية لإحداث أضرار بالناس، ومن أمثلتها قيام بعض الإرهابيين بتحويل ملايين الدولارات من بعض الحسابات الشخصية لكبار العملاء بعد اختراق نظام التحويلات الدولي بين البنوك، وقيام بعض الهاكرز المحترفين بسرقة بيانات بطاقات الائتمان من بعض أكبر مراكز التسوق الإلكتروني الدولية وخصم ملايين الدولارات من أصحاب تلك البطاقات، وكذلك قيام بعض المنظمات الإرهابية بالعمل على تدمير اقتصاد إحدى دول الشرق الأوسط بشراء سندات دولية لتلك الدولة من داخلها عبر البورصات العالمية وبيعها بالخارج بأسعار أقل من قيمتها مما أدى لانتهيار عملتها ولتوفير تمويل لأعمالها الإرهابية في الدول التي تم بيع السندات فيها.

سابعاً- الأمن السيبراني والجريمة التجارية السيبرانية:

يؤدي الأمن السيبراني دوراً هاماً في التنمية الراهنة لتكنولوجيا المعلومات، فتعزيز الأمن السيبراني وحماية البنى التحتية، عنصرين أساسيين في أمن كل أمة ورفاهها الاقتصادي، فأصبح بذلك أمان الانترنت وحماية المستخدمين، جزء لا يتجزأ من تنمية الخدمات الجديدة ومن السياسات الحكومية¹.

ويمثل ردع الجريمة السيبرانية التجارية عنصراً جوهرياً في الأمن السيبراني لحماية المنتج والمستهلك، ومن بين استراتيجيات الأمن السيبراني نجد تنمية نظم الحماية التقنية أو توعية المستخدمين لوقايتهم من الوقوع في براثن الجريمة التجارية.

في هذا الصدد أطلق الأمين العام للاتحاد الدولي للاتصالات في 2007 البرنامج العالمي للأمن السيبراني الذي يستند إلى خمسة (05) مجالات عمل واستراتيجيات وهي: التدابير القانونية، التدابير التقنية والإجرائية، الهياكل التنظيمية، بناء القدرات، التعاون الدولي.

¹ - ماركو جيركي: "فهم الجريمة السيبرانية: الظواهر والتحديات والاستجابة القانونية"، الاتحاد الدولي للاتصالات، 2012، ص 10.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

ثامنا- الأمن السيبراني وسبل مواجهة الإرهاب التجاري:

حذر الكثير من المختصين من خطر التعدي على الديمقراطية والحرية باسم محاربة الإرهاب، لأنّ الانترنت تتناغم مع مبادئ الشفافية وحرية الرأي والتعبير والعدالة الاجتماعية والمساواة، ويرى الدكتور الحمامي في هذا الشأن: "تعاضم النقاش حول إمكانات تنظيم الميديا الاجتماعية بالتوازي مع تنامي استخداماتها وتنوعها"¹.

فالمطلوب هو التعامل مع المشكلة بمهنية واحترافية وبطرق منهجية ومنظمة، لذا على الأمن السيبراني التركيز على فهم آليات الإرهاب التجاري وخصائصه وتطوره، ومن أهم الإجراءات التي يجب على المنظمات الأمنية اتخاذها ما يلي:

- رصد أنشطة الجماعات الإرهابية على الشبكات الاجتماعية.
- تحليل خطاب العنف والكراهية والتحريض على الإرهاب على اختلاف أشكاله.
- إشراك المجتمع المدني للتعاون على الإبلاغ على كل المواقع ذات العلاقة بالإرهاب مع نشر ثقافة الوقاية وتوعية المجتمع بمخاطر الإرهاب التجاري، ونشر ثقافة الحوار.
- سن القوانين والتشريعات التي تنظم الأنشطة الاقتصادية السيبرانية، التي تسد كافة الثغرات التي تكتنف جريمة الإرهاب التجاري كالقوانين المتعلقة مثلا بكيفية اكتشاف الأدلة الالكترونية وحفظها.
- تنظيم مؤتمرات وندوات علمية في الجامعات ومراكز البحوث في مختلف دول العالم تضم خبراء ومختصين من مختلف التخصصات لدراسة الظاهرة واقتراح الحلول الناجعة².
- وقد كان للجهود الجزائرية دورا في مجال تحقيق الأمن السيبراني، وكان الترتيب العالمي للجزائر حسب الرقم القياسي العالمي للأمن السيبراني، حيث احتلت الجزائر المرتبة 23 عالميا من أصل 29 مرتبة في مستوى التأهب في مجال الأمن السيبراني في الترتيب العالمي بالرقم

¹ الصادق الحمامي: "الميديا الاجتماعية والإرهاب": ورقة بحثية مقدمة في الورشة الدولية حول: التعاطي الإعلامي مع ظاهرة التطرف والإرهاب، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 2015.

² محمد قيراط، مرجع سابق، ص 26.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

القياسي 0,176، وعلى المستوى العربي احتلت المرتبة العاشرة حسب التزامها بتلك التدابير التي يحددها الرقم القياسي العالمي للأمن السيبراني.

جدول رقم (01): يوضح ترتيب بلدان منطقة الدول العربية حسب الرقم القياسي العالمي

للأمن السيبراني

الترتيب الإقليمي	الرقم القياسي	التعاون	بناء القدرات	تنظيمية	تقنية	قانونية	الدول العربية
1	0.7647	0.6250	0.7500	1.0000	0.667	0.7500	عمان
2	0.6176	0.5000	0.6250	0.5000	0.8333	0.7500	قطر
3	0.5882	0.5000	1.0000	0.3750	0.5000	0.5000	مصر
4	0.5588	0.3750	0.5000	0.7500	0.6667	0.5000	المغرب
5	0.5294	0.5000	0.2500	0.6250	0.5000	1.0000	تونس
6	0.4412	0.3750	0.2500	0.5000	0.5000	0.7500	السودان
7	0.3529	12.50	0.5000	0.2500	0.3333	0.7500	الإمارات العربية المتحدة
8	0.2941	0.2500	0.3750	0.1250	0.1667	0.7500	البحرين
8	0.2941	0.3750	0.1250	0.3750	0.3333	0.2500	ليبيا
8	0.2941	0.1250	0.3750	0.1250	0.3333	0.7500	المملكة العربية السعودية
9	0.2059	0.1250	0.0000	0.5000	0.0000	0.5000	الأردن
<u>10</u>	<u>0.1765</u>	<u>0.2500</u>	<u>0.1250</u>	<u>0.0000</u>	<u>0.0000</u>	<u>0.7500</u>	<u>الجزائر</u>

المصدر: عنتر بن مرزوق ، محي الدين حرشاوي: الأمن السيبراني كبعد جديد في السياسة الدفاعية الجزائرية ، د. ن ،

ص 8.

من خلال الجدول أعلاه يمكن القول أن جهود الجزائرية في مجال تحقيق الأمن السيبراني تبقى ضئيلة ، حيث تركزت أساسا في مجال اتخاذ التدابير القانونية دون غيرها من التدابير الأخرى، ويتضح ذلك من خلال صدور القانون رقم 04-09 المؤرخ في 05 أوت 2009، الذي يتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال ومكافحتها،

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

والتي تم فيه تحديد الحالات التي تسمح باللجوء إلى مراقبة الاتصالات الإلكترونية بناء على ما ورد في المادة 4 التي نصت على ما يلي:

- للوقاية من الأفعال الموصوفة بجرائم الإرهاب أو التخريب أو الجرائم الماسة بأمن الدولة.
- في حالة توفر المعلومات عن احتمال اعتداء على منظومة معلوماتية على نحو يهدد النظام العام أو الدفاع الوطني أو مؤسسات الدولة أو الاقتصاد الوطني .
- لمقتضيات التحريات والتحقيقات القضائية عندما يكون من الصعب الوصول إلى نتيجة تهم الأبحاث الجارية دون اللجوء المراقبة الإلكترونية .
- في إطار تنفيذ طلبات المساعدة القضائية الدولية المتبادلة.

كما نصت المادة 13 على إنشاء هيئة وطنية للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها، وهذا تم من خلال صدور المرسوم الرئاسي رقم 15-261 المؤرخ في 08 أكتوبر سنة 2015، وهيئات أخرى.¹

خلاصة:

أصبح الإرهاب التجاري واقع يفرض نفسه على المجتمعات، فأصبحت جرائمه هاجسا يشغل العقول خاصة مع الثورة المعلوماتية والتقنية، التي سمحت لهذه المجموعات ممارسة نشاطاتها عبر كل مناطق العالم، وفي أي لحظة، لذلك سعت المنظمات الأمنية إلى اتخاذ جملة من التدابير والإجراءات اللازمة للمواجهة، لكنها تبقى الجهود قليلة وبحاجة إلى بحوث ودراسات التنسيق والتشريع والتنظيم لاحتواء الظاهرة، ويمكن القول أن الإرهاب الإلكتروني بشكل عام والإرهاب التجاري بشكل خاص أصبح تهديدا أمنيا سيبرانيا يزعزع أمن الدولة وأفرادها، خاصة مع الاجتياح الرقمي الرهيب الذي أصبح يدخله كل شرائح المجتمع، وبهذا بدل أن يصبح نعمة لتطورها المجتمعات أصبح نقمة تقوض حريات الأفراد والمؤسسات، وبما أن التجارة الإلكترونية في الفضاء السيبراني رغم مزاياها إلا أنها كانت منفذا يستخدم بشكل سلبي من خلال استخدامها من طرف الجماعات الإرهابية وقيامها بهجمات وجرائم الكترونية على

¹ - عنتر بن مرزوق ، معي الدين حرشاوي، مرجع سابق، ص9.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

مختلف القطاعات التجارية، الاقتصادية، مما ينتج عنها خسائر فادحة تمس بجميع الميادين خاصة الأمني منها مما يتطلب على أطراف المجتمع الدولي اتخاذ كافة التدابير اللازمة لمواجهة هذه الاعتداءات والتهديدات أو الحد منها.

ويمكن عرض مجموعة من التوصيات للحد من أخطار الإرهاب الإلكتروني التجاري وتحقيق الأمن المادي السيبراني وتوفير استقرار الدول:

- ضرورة تفعيل وتحسين المراسيم القانونية التي تندد بمخاطر الإرهاب التجاري على المستوى الإقليمي الوطنية والدولي.
- تكوين وتأطير فرق وخبراء يمتازون بالكفاءة والدقة في البرمجيات الحاسوبية لمواجهة الاعتداءات على الممتلكات والأشخاص على الفضاء الإلكتروني.
- تطوير تقنيات مراقبة شبكة الانترنت وتعزيز إجراءات الأمن والحراسة للمواقع الرسمية.
- العمل على عقد مؤتمرات دولية تعزز أهمية وفائدة التعاون الثنائي والدولي لمكافحة ظاهرة الإرهاب التجاري لتسليم المجرمين وتحقيق أمن واستقرار الدول.
- الاستفادة من تجارب الدول الرائدة في مجال الأمن السيبراني ودوره في مواجهة الإرهاب بكل أشكاله خاصة في الفضاء الرقمي.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

* قائمة المراجع:

أ- باللغة العربية:

1. الحمامي الصادق: الميديا الاجتماعية والإرهاب: ورقة بحثية مقدمة في الورشة الدولية حول: التعاطي الإعلامي مع ظاهرة التطرف والإرهاب، إتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 2015.
2. العجلان عبد الله بن عبد العزيز بن فهد: الإرهاب الإلكتروني في عصر المعلومات، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الأول حول: حماية أمن المعلومات والخصوصية في قانون الانترنت، القاهرة، 2008.
3. العريان عبد الحميد إبراهيم محمد: العلاقة بين الإرهاب المعلوماتي والجرائم المنظمة: ما هو رد فعل القطاع الخاص، الدورة التدريبية لمكافحة الجرائم الإرهابية المعلوماتية خلال الفترة، كلية التدريب، قسم البرامج التدريبية، المغرب، القنيطرة، 2006.
4. المادة الأولى من الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب 1998، جامعة الدول العربية، الأمانة الفنية لمجلس وزراء العدل العرب، الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، اعتمادها مجلسا وزراء العدل والداخلية العرب في اجتماعهما المشترك يوم 1998/04/22 بتاريخ ودخلت حيز النفاذ 1999/5/7.
5. بن مكرم أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب لابن منظور، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1955م / 1374 هـ، ج 8.
6. بوحادة سارة: أثر الإرهاب الإلكتروني على أمن واستقرار الدول، المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية - الجزائر.
7. بوعلي بوجلطية أحمددي: الإرهاب الإلكتروني وطرق مواجهته على المستوى العربي دراسة للتجربتين السعودية والقطرية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاقتصادية والقانونية، العدد 16، جوان 2016.
8. توريه حمدون: دليل الأمن السيبراني للدول النامية، الإتحاد الدولي للاتصالات، تصدير 2006.3.
9. جيركي ماركو: فهم الجريمة السيبرانية: الظواهر والتحديات والاستجابة القانونية، الإتحاد الدولي للاتصالات، 2012.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

10. صالح بن علي بن عبد الرحمن الربيعة: الأمن القومي وحماية المستخدم من مخاطر الإنترنت، هيئة الاتصالات وتقنية المعلومات، المملكة العربية السعودية، 2030.
11. صيوان حمزة، الفتلاوي عطية: "الأمن السيبراني والحروب السيبرانية"، جريدة خيمة العراق الصادرة عن وزارة الدفاع العراقية، العدد 357، 4 مارس 2015.
12. عطية أيسر محمد: دور الآليات الحديثة للحد من الجرائم المستحدثة: الإرهاب الإلكتروني وطرق مواجهته، ورقة مقدمة في الملتقى العلمي: الجرائم المستحدثة في ظل المتغيرات والتحوليات الإقليمية والدولية، كلية العلوم الإستراتيجية، عمان، 2014.
13. علي عبد الفتاح: الإعلام الاجتماعي، دار اليازوري، عمان، 2014.
14. قادي إسماعيل: إدارة الحروب النفسية في الفضاء الإلكتروني: الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في الشرق الأوسط، جامعة الجزائر3، الندوة الدولية: عولمة الإعلام السياسي وتحديات الأمن القومي للدول النامية.
15. قيراط محمد: الإعلام الجديد والإرهاب الإلكتروني: آليات الاستخدام وتحديات المواجهة، جامعة قطر، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، ع 2017، 9.
16. مايا حسن ملا خاطر: الإطار القانوني لجريمة الإرهاب الإلكتروني، مجلة جامعة الناصر، العدد الخامس، المجلد الأول، يناير- يونيو 2015، كلية الحقوق، جامعة دارالعلوم، المملكة العربية السعودية.
17. مختارات الصحف باللغة العربية: التجارة الإلكترونية مباشرة بعد مصادقة البرلمان على مشروع القانون، العدد 02، 2017.
18. مختارات الصحف باللغة العربية: العدالة بين العصرية والإصلاح، العدد 02، 2017.
19. مهد مهد الألفي، ورقة العمل حول: تشريعات مكافحة جرائم الإرهاب الإلكتروني "الأحكام الموضوعية والأنماط"، القاهرة.
20. هويدا مصطفى: دور الفضائيات العربية في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته نحو الإرهاب؛ دراسة ميدانية على عينة من الجمهور العربي، اتحاد إذاعات الدول العربية، جامعة الدول العربية سلسلة بحوث ودراسات إذاعية (63) تونس، 2008.
21. حسين علي محسن: جريمة غسل الأموال الإلكترونية، كلية القانون، الجامعة المستنصرية.

ط. د. ريمة مشطوب / ط. د. نورة لخويدر دور الأمن السيبراني في علاج الإرهاب التجاري

ب- باللغة الأجنبية:

22. Weiman, Gabriel : New terrorism and new media, Washington. D.c, Wilson centre, commons, lab, research series, Vol2.

ج- المواقع الإلكترونية:

23. المطيري عادل عبد الله: الإرهاب الإلكتروني والأمن السيبراني، على الموقع الإلكتروني: <http://alarab.qa/story/1333816> ، يوم 2019/02/12، على الساعة 16:57 مساءً.
24. رشدي مراد: غسل الأموال عبر الوسائل الإلكترونية، المؤتمر العلمي الأول: حول الجوانب القانونية والأمنية للعمليات الإلكترونية، منظم المؤتمر: أكاديمية شرطة دبي ، مركز البحوث والدراسات ، 26 و 28 / 4 / 2003، دبي، الإمارات العربية المتحدة، على الموقع الإلكتروني: <http://www.maher.sandroses.com/m706.htm>، يوم 2019/02/15، الساعة 19:47 مساءً.
25. أضرار وجرائم شبكة الانترنت (Damages and Crimes of Internet) على الموقع الإلكتروني: <https://vb.ckfu.org/attachments/>، يوم 2019/02/15، على الساعة 19:47 مساءً.
26. الإرهاب الإلكتروني وطرق مواجهته، شبكة النبأ المعلوماتية، الموقع الإلكتروني: <http://m.annabaa.org.arabic/information/11123/>، يوم 2019/02/15، على الساعة 11:55 مساءً.
27. بن مرزوق عنتر ، حرشاوي محي الدين: الأمن السيبراني كبعد جديد في السياسة الدفاعية الجزائرية، دن ، على الموقع الإلكتروني: <https://manifest.univ-ouargla.dz>، يوم 2019/20/21، على الساعة 16:55 مساءً .
28. خالد السيد: الإرهاب الدولي والجهود المبذولة لمكافحته، مركز الإعلام الأمني، على الموقع الإلكتروني: <https://www.policemc.gov.bh/>، يوم 2019/02/20، على الساعة 16:45 مساءً.

**دور المؤسسات العقابية في الإدماج الاجتماعي للمساكين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث سطيف
بقلم: د. محمد أمين قرواني
إمعة محمد لمين دباغين سطيف 2**

ملخص:

تكاد تترسخ فكرة العقاب عند أي واحد منا وربطها بالسجن، هذا التصور ارتبط مدلوله عبر مختلف الأزمنة والتاريخ القديم لنشأة السجن، غير أن هذا المفهوم تغير مع مرور الزمن، وأصبح السجن أو المؤسسة العقابية كما تسمى في العصر الحديث تغيير في أداء وظيفتها، وقد رافق هذا التغيير تطور في معاملة السجنين نفسه، حيث يتم النظر إليه كشخص يحتاج إلى العلاج والرعاية.

لذا فإن تغيير السجن إلى مؤسسة إعادة التربية والتأهيل يساعد على إعادة إدماج السجناء في النسيج الاجتماعي من جديد ويضمن بنسبة معتبرة عدم العود إلى الانحراف، وعليه سنتناول من خلال هذه الدراسة أن نتناول تحول فكرة العقاب إلى علاج، وتغيير وظيفة السجن إلى إعادة تربية وتأهيل، بالإضافة إلى التعرف على مختلف البرامج التعليمية والعلاجية للسجناء داخل المؤسسات العقابية، وإعادة إدماجهم في المجتمع من جديد.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الادمج الاجتماعي للمساكين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الادمج الاجتماعي للأحداث سطيف

أولاً- مشكلة الدراسة:

تعاني المجتمعات منذ عصور قديمة من ظاهرة الانحراف والجريمة، وقد استفحلت الظاهرة في الوقت الراهن وأصبحت أكثر انتشاراً وفي تزايد مستمر وبطرق متنوعة، وهي من الظواهر التي تهدد استقرار المجتمع وذلك لما تحدثه من اضطرابات في مختلف النظم المشكلة له.

تحرص الدول والحكومات اليوم على توفير الأمن والاستقرار لشعوبها، وتعمل على تسخير كل الوسائل المتاحة للتقليل من هذه الظاهرة التي تهدد الأمن العام للمجتمع ولذلك تعالت الأصوات بضرورة دراسة الظاهرة علمياً والوقوف ضد انتشارها والتقليل من نسبها، وذلك بمعرفة أسبابها وتقديم الحلول الملائمة لها.

وقد تعددت أساليب وطرق مكافحة الجريمة عبر العصور، منها من يجنح إلى اللين وينظر إلى المنحرف أو المجرم باعتباره ضحية يحتاج إلى المساعدة وإعادة التربية والتأهيل ليعاد إلى أحضان المجتمع، ومنها من يرى أن أسلوب الردع والقسوة هو الحل للرد على كل فعل وسلوك يحدث خللاً في النسق الاجتماعي ويشكل تهديداً للنظام الاجتماعي العام. فشيدت المباني والمحاكم والأماكن الخاصة لعزل المنحرفين عن المجتمع ومعاقبتهم لما اقترفوه من أعمال تخل بالنظام العام للمجتمع، وهذه الأماكن تعرف بالمؤسسات العقابية أو السجون.

والواقع اليوم يكشف أن هذه السياسة الردعية لم تحد أو تقلل من هذه الظاهرة، فحسب التقارير الرسمية للمكتب العربي لمكافحة الجريمة التابع لمجلس وزراء الداخلية العرب أن الجرائم العامة ضد الإنسان التي سجلت في الدول العربية خلال السنوات 1995 إلى غاية 2000 بأنواعها ارتفع من 104409 جريمة سنة 1995 لتصل في سنة 2000 إلى 726311 جريمة¹.

الأمر الذي يحتم على الباحثين الاجتماعيين والنفسانيين ورجال القانون ضرورة الاهتمام بالظاهرة ونظراً لما يثير انتشارها من اضطراب في العلاقات الإنسانية والقيم والعادات السائدة،

¹ - عباس أبوشامة، جرائم العنف وأساليب مواجهتها في الدول العربية، ط1، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2003، ص146.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الإدماج الاجتماعي للمساجين الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث سطيف

وما تشكله من عرقلة النسق الاجتماعي، فعلماء الاجتماع يرجعون تفسير الانحراف والجريمة إلى عوامل ترتبط بالبيئة الاجتماعية التي يعيشها الإنسان، والمشكلات الاجتماعية المسببة له.

واستناداً إلى ما سبق ظهرت العديد من المدارس الفكرية التي تهتم بمعالجة الانحراف والجريمة، والتركيز على المنحرفين وطرق الوقاية من الانحراف، وتقديم العلاج والتأهيل داخل المؤسسات العقابية وإعادة إدماجهم بعد الإفراج عنهم، ومن أبرزها مدرسة الدفاع الاجتماعي، ومدرسة التأهيل، ومدرسة العلاج والإدماج وغيرها، حيث تدعو إلى الاهتمام بالمساجين وتقديم العلاج والتأهيل كبديل للعقاب، وتقديم الرعاية الاجتماعية داخل السجون وإدماجهم بعد الإفراج عنهم، وهذا بهدف معالجة هذه الظاهرة والتقليل منها والحد من انعكاساتها.

وتعتبر قضية إعادة إدماج المساجين من القضايا والمسائل المهمة في الوقت الراهن باعتبار أن هذه الفئة هي جزء من المجتمع لا يمكن تجاهلها، وذلك لما لها من تأثير على أمن واستقرار المجتمع، وقد دعت دول العالم بعد انعقاد المؤتمر الدولي الأول لمكافحة الجريمة ومعاملة المجرمين الذي انعقد عام 1955 في جنيف برعاية الأمم المتحدة إلى ضرورة تقديم الرعاية الاجتماعية للمساجين وبعد الإفراج عنهم. وفي المؤتمر الثاني لبيئة الأمم المتحدة المنعقد في لندن عام 1960، دعا إلى ضرورة بذل كافة الجهود اللازمة لتقديم الرعاية للمساجين، وحسن معاملتهم داخل السجون، ودعوة جميع شرائح المجتمع إلى المساهمة في ذلك.

ولقد عملت الجزائر كغيرها من الدول بهذه القرارات واستعانت بتجارب الدول في مجال إعادة إدماج المساجين وذلك بإدخال جملة من الإصلاحات في السياسة العقابية والاهتمام أكثر بالسجناء، ومحاولة تأهيلهم من جديد وإعادة إدماجهم في المجتمع مرة ثانية وخاصة بعد صدور قانون إصلاح السجون في 19 أكتوبر 1999 الذي نص على إعادة بناء السجون وتحديث الهياكل العقابية، وصدور قوانين خاصة بمعاملة المساجين وتقديم العلاج المناسب لهم وإعادة إدماجهم من جديد في المجتمع وهي تهدف في مجملها إلى تقديم كافة أساليب الرعاية الاجتماعية والدعم لهذه الفئة والدعوة إلى مساهمة مؤسسات المجتمع المدني في إعادة تأهيلهم داخل السجون وتغيير سلوك المنحرفين وتعديلهم.

وعليه ترتبط مسؤولية جميع شرائح المجتمع ومختلف مؤسساته وتنظيماته الرسمية

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الإدماج الاجتماعي للمساجين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث سطيف
وغير الرسمية في تحسين أوضاع المجتمع، وتحقيق الأمن والاستقرار والتقدم.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة العلمية للبحث في جوهر الموضوع، والوقوف على
واقع إدماج المساجين في الجزائر، والاطلاع على مساهمة المؤسسة العقابية ودورها في إعادة
إدماج المساجين، وبالتالي تبرز لنا العديد من التساؤلات الهامة في هذا البحث، جاءت على
النحو التالي:

1- ما هي الأساليب التي يتبعها المكونون والمربون داخل المؤسسة العقابية الهادفة إلى تعديل
سلوك المساجين؟
2- هل للبرامج والأنشطة التي يتبعها المكونون والمربون داخل المؤسسة العقابية دور في الإدماج
الاجتماعي للمساجين؟

3- ما مدى أهمية دور المكونون والمربون في التقليل من نسب عود المساجين إلى الانحراف؟
4- هل يواجه عناصر المكونون والمربون عراقيل تحد من أدائهم لأدوارهم؟ وما هي الحلول
المقترحة لها؟
ثانيا- مفاهيم الدراسة ودلالاتها النظرية:

1- الدور: باعتباره "مجموعة مترابطة من الأنشطة التي يقوم بها الأفراد، فالدور يتضح لدى
الفرد عند تفاعله داخل جماعته، وذلك بخوضه لمجموعة من المعايير تفرضها عليه هذه الأخيرة
(الجماعة)، وتحدد له واجباته، وحقوقه من خلال المركز والمكانة التي يشغلها، ومن ثم فإن كل
دور مرتبط بالآخر".

2- المؤسسة العقابية: يقصد بالمؤسسة العقابية الأماكن التي تخصصها الدولة لتنفيذ
العقوبات والتدابير المانعة للحرية على المحكوم عليهم بها¹، وينظر إلى السجون على أنها
مؤسسات علاجية وتأهيلية وليست مؤسسات عقابية وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار المؤسسة

¹ - فوزية عبد الستار، مبادئ علم الإجرام والعقاب، ط5، درا النهضة العربي للطباعة والنشر، بيروت لبنان،
1985، ص307.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الاندماج الاجتماعي للمساجين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الاندماج الاجتماعي للأحداث سطيف
 العقابية أو السجن لها وظائفها ودورها وأهدافها، على أنها أماكن يتم إيداع الأفراد المحكوم
 عليهم بعقوبات مقيدة للحرية لفترة زمنية محددة حسب نوع الجريمة، تهدف إلى علاج وتأهيل
 ورعاية المسجونين وإصلاح سلوكهم، وتمكينهم من العودة إلى المجتمع مرة أخرى.

3- الاندماج الاجتماعي: "هو عملية متابعته الأفراد قبل انحرافهم أو وقوعهم في الجرم، وبعد
 وقوعهم فيه أثناء فترة إيداعهم السجن وبعد الإفراج عنهم. تأخذ طابعاً علاجياً للمنحرفين
 والمجرمين، وترتكز على التأهيل الشامل والمتكامل لشخصية الفرد في مختلف الجوانب
 الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والدينية والتعليمية والمهنية، وتمكن الأفراد من الاندماج في
 الحياة الاجتماعية بعد الإفراج عنهم أو قبله، وذلك لمحاولة التقليل من الانحراف والعودة إلى
 ارتكاب أية أفعال وممارسات تهدد المجتمع وقوانينه".

4- السجن: أن السجن هو كل شخص بالغ أودع السجن أو المؤسسات العقابية، بناء على
 صدور أحكام قضائية، صدرت بحق المتهم وفقاً لما اقترفه من جرائم تهدد أمن وسلامة
 المواطنين، وإخلال بالنظام العام في المجتمع".

ثالثاً- أهمية الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أهمية دور المؤسسات العقابية في
 المساهمة في إعادة الإندماج الاجتماعي للمساجين والعناية بهم خلال مراحل الإندماج، والبرامج
 التأهيلية والتربوية والاجتماعية التي تمكنهم بعد الخروج من السجن الاندماج في الحياة
 الاجتماعية وتحقيق التكيف الاجتماعي لهم.

رابعاً- أهداف الدراسة:

- 1- التعرف على ما مختلف الأدوار التي تقوم بها المؤسسة العقابية الرامية لإعادة إندماج
 المساجين في المجتمع.
- 2- التعرف على البرامج التأهيلية والتعليمية داخل المؤسسات العقابية.
- 3- التعرف على احتياجات المساجين بهدف معالجة الظاهرة المدروسة.
- 4- التعرف على أهم الصعوبات التي تواجه المساجين بعد الإفراج عنهم في المجتمع.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الادمج الاجتماعي للمساجين
.....الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الادمج الاجتماعي للأحداث سطيف

خامسا- مراحل تطور ونشأة المؤسسات العقابية:

يعتبر تطور المؤسسات العقابية بالمفهوم الحالي ليس وليد اليوم، وإنما كان نتيجة لتطور طويل عبر مختلف الأزمنة والعصور ويكون من المفيد في هذا الفصل التعرض إلى ظهور المؤسسات العقابية، وأنظمتها وأسلوب معاملة المساجين داخلها، ووظيفتها ودورها وأهدافها والعوامل التي أثرت فيها حتى أضحت بهذا الشكل اليوم .

ويشير عبد القادر القهوجي " إلى أن تطور السجون ارتبط بتطور أغراض العقوبة، ففي المجتمعات القديمة كان الغرض من العقوبة هو إضفاء شعور الانتقام على المجني عليه، وكانت السجون في تلك الحقبة من الزمن مجرد أماكن يحتجز فيها المتهم أو المحكوم عليه إما انتظارا للمحاكمة أو تنفيذاً للعقوبة فيه، فكانت إما زنانات مظلمة تحت سطح الأرض أو حفر عميقة يصعب الخروج منها وإما فجوات داخل الأشجار الفخمة أو أقفاص معلقة، وفي جميع الأحوال لم يكن الإشراف عليها منوطاً بأمر السلطة العامة بل يتولاه أفراد عاديون...، يضاف إلى ذلك قسوة الحياة داخل هذه السجون وعدم توفر الرعاية الصحية للسجناء وعدم الاهتمام بتغذيتهم وتكديسهم دون تمييز أو تصنيف¹.

ووصف السجون قديماً يمكننا من معرفة تطورها وواقعها وأهدافها، إذ لم تكن حسب هذا الوصف إلا أماكن لتنفيذ العقوبة والانتقام من الأفراد المسجونين.

إن ظهور المؤسسات العقابية بشكلها الحالي لم يكن سوى قرنين من الزمن أما السجن في حد ذاته وجد في جميع المجتمعات تقريبا وفي كل الأزمنة منذ ظهور المجتمعات المنظمة، حيث وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: " قال ربي السجن أحب إلي مما يدعونني إليه"².

وتشير المصادر التاريخية إلى ظهور السجون وإقرار العقوبة إلى العصر الروماني، وقد كان الحاكم يودع الأشخاص الذين يشكلون خطراً عليه وعلى سلطته وعلى الأمن العام في حين

¹ - علي عبد القادر قهوجي وفتوح عبد الله الشاذلي، علم الإجرام والعقاب، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 1998، ص275.

² - سورة يوسف، الآية رقم: 33.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الادمج الاجتماعي للمساجين
 الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الادمج الاجتماعي للأحداث سطيف
 يعتقد أبو الفتوح أبو المعاطي أن ظهور السجون مقترن بتنفيذ العقوبة ولم يظهر إلا في
 الحضارة الفرعونية¹.

ومن خلال هذا يمكن القول أن تطور السجون عبر مختلف العصور كان نتيجة
 لتطور وظيفة السجون ودورها في تحقيق أغراض العقوبة، بالإضافة إلى تأثيرها بالاتجاهات
 الفكرية والفلسفية، والدينية التي كان لها دور بارز في تغيير وظيفة السجون إلى ما هي عليه
 اليوم والتي تسعى بدورها في الاهتمام بالمسجون وتوفير كافة الظروف الملائمة التي تساعد على
 إدماجه في المجتمع.

أما المرحلة الثانية من تطور نشأة السجون كانت ما بعد القرن 18 فرغم أن مرحلة
 العصور الوسطى تأثرت بالأديان السماوية وخاصة الدين المسيحي، إلا أن كثيرا من الممارسات
 الفردية كانت بعيدة كل البعد عن التعاليم الدينية. لكن التحولات والتغيرات التي حدثت في
 المجتمع الأوروبي وتراجع الأنظمة الإقطاعية أمام انتشار الرأسمالية ساهم في إحداث تغيير
 واضح في اتجاهات جديدة للعملية العقابية، حيث ظهر تحول كبير فيها وكان أهم تغيير هو
 التحول من العقاب كهدف بحد ذاته إلى محاولة إصلاح من اقترف عملا يخالف النظام .
 وتميزت هذه المرحلة عن سابقتها كونها تجاوزت الآراء الفردية التي كانت تدعو إلى
 إصلاح السجون حيث تبلورت اتجاهات ومذاهب فكرية تحمل في طياتها مجموعة من الآراء
 والأفكار أدت إلى تغيير شكل العقاب وتعميق مفاهيم أخرى. فنجد حركات الإصلاح الاجتماعي
 للسجون التي تزعمها "بيكاريا" سنة 1764م، وحذا حذوه آخرون مثل جون هيوارد وينيتم
 وذلك بالدعوة إلى إلغاء أساليب التعذيب وشق أنواع العقوبات البدنية في معاملة المجرمين
 وإحلال فكرة التهذيب والإصلاح محل فكرة الانتقام والردع.
 ويعتبر بروز الحركات الإصلاحية والمدارس الفكرية التي تناولت النظم والتشريعات
 العقابية، راجع لتنوع الفلسفات الفكرية التي تدعو للحرية والمساواة وحماية حقوق الفرد
 والمجتمع في هذه المرحلة.

¹ أحسن مبارك طالب، العمل الطوعي لنزلاء المؤسسات الإصلاحية، ط1، أكاديمية نايف العربية للعلوم
 الإنسانية، الرياض، السعودي، 2000، ص35.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الادمج الاجتماعي للمساجين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الادمج الاجتماعي للأحداث سطيف

سادسا- نظام المؤسسات العقابية في الجزائر.

لقد أخذ المشرع الجزائري بالنظام التدريجي وهو أحدث النظم العقابية التي عرفتها التشريعات، نظرا للمزايا التي يتمتع بها هذا النظام كتحقيق التدرج في العقوبة من الشدة إلى الخفة حيث تنص المادة: 33 من قانون تنظيم السجون وإعادة التربية على ما يلي: "يطبق النظام التدريجي في مؤسسات إعادة التربية وفي المراكز المختصة بالتقويم، ويشتمل النظام التدريجي في البيئة المغلقة على إنجاز متتابع لثلاثة أطوار من الحبس:

- طور الوضع في السجن الانفرادي الذي يعزل فيه المسجونين ليلا ونهارا.
- الطور المزدوج للحبس يعزل فيه المسجونين ليلا فقط.
- طور الحبس الجماعي"¹.

ثم يقضي في نظام الحرية النصفية في مؤسسات شبه مفتوحة وذلك في المادة 144 من قانون تنظيم السجون وإعادة التربية بقولها: "إن نظام الحرية النصفية هو استخدام المحكوم عليهم خارج المؤسسة في كل نوع من الشغل أثناء النهار من غير مراقبة مستمرة من طرف الإدارة".

- ثم يقضي بعد ذلك في المؤسسات المفتوحة حيث يعمل من خلالها في مؤسسات بعيدة زراعية أو صناعية دون حراسة أمنية وذلك في المادة 145 من قانون تنظيم السجون وإعادة التربية بقولها: "إن مؤسسة البيئة المفتوحة تمتاز بنظام يركز على قبول الطاعة وعلى شعور المحكوم عليهم بالمسؤولية اتجاه المجتمع الذي يعيش فيه وعلى عدم الالتجاء إلى أساليب الرقابة المألوفة"².

¹ - وزارة العدل، "المديرية العامة لإدارة السجون وإعادة الإدماج"، مجلة رسالة الإدماج، العدد الثاني، الجزائر، أوت 2005.

² - نفس المرجع.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الادمج الاجتماعي للمساكين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الادمج الاجتماعي للأحداث سطيف

1- أساليب المعاملة داخل المؤسسات العقابية ومراكز إعادة التربية .

ستقتصر الدراسة في هذا العنصر على أهم هذه الأساليب في المؤسسات العقابية والإصلاحية الحديثة، وهي التصنيف، التعليم، التهذيب، الرعاية الصحية والاجتماعية، وذلك بصورة مختصرة.

1.1- تصنيف المحكوم عليهم:

التصنيف هو عملية تقسيم المحكوم عليهم لفئات معينة طبقا للسن والجنس والعود والحالة الاجتماعية وتوزيعهم بناء على ذلك في مختلف المؤسسات العقابية كي تقوم بإجراء بحوث أخرى فرعية يتخذ على أساسها أسلوب المعاملة العقابية الملائمة للتأهيل الاجتماعي¹. ومن خلال هذا التعريف تبدو لنا أهمية التصنيف واضحة فهو يعتبر أسلوبا ناجحا في تحقيق التأهيل والإصلاح لأن تقسيم المجرمين إلى فئات متجانسة، أي وضع المجرمين الذين تجمعهم ظروف متشابهة في مجموعة واحدة، وإخضاعهم لبرنامج تأهيلي واحد من شأنه أن يحقق التأهيل والإصلاح للمجرمين، وهذا التصنيف يقوم على عدة أسس هي:
أ- النوع: بمعنى الفصل بين الرجال والنساء ووضع كل نوع في مؤسسة عقابية خاصة به وذلك بهدف منع قيام علاقات جنسية غير مشروعة.

ب- السن: وهو الفصل بين الصغار والكبار حيث يوضع الأحداث في مؤسسة خاصة بهم والبالغين في مؤسسة أخرى وهذا بهدف اجتناب التأثير السيئ للكبار على الصغار.

ج- السوابق: "يتم تصنيف المحكوم عليهم إلى طوائف المبتدئين الذين ارتكبوا الجريمة لأول مرة والذين عادوا إلى ارتكاب الجريمة مرة أخرى والمعتادين على الإجرام، فالمبتدئين يكونون أكثر مرونة وأكثر تقبلا للتأثير الصالح فتوجه إليهم معاملة عقابية خاصة"².

د- مدة العقوبة: والمراد بهذا الأساس أن يتم الفصل بين المحكوم عليهم بمدة طويلة والمحكوم عليهم بمدة قصيرة، فأصحاب الفئة الأولى من الطبيعي أنهم يشكلون خطورة كبيرة، نظرا لمدة العقوبة، فلهذا كان من الأحسن إبعادهم عن الفئة الثانية باعتبارها أقل خطورة، فضلا عن

¹ - نظير فرج مينا، الموجز في علم الإجرام والعقاب، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1993، ص 197.

² - فوزية عبد الستار، المرجع السابق، ص 357.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الادمج الاجتماعي للمساكين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الادمج الاجتماعي للأحداث سطيف
 هذا فإن مدة العقوبة تتعلق بفترة التأهيل والإصلاح، فكلما كانت المدة قصيرة كلما كانت فترة
 التأهيل هي الأخرى قصيرة.

هـ- الحالة الصحية: وتعني الفصل بين المرضى والأصحاء وقد يكون المحكوم عليهم مصابين
 بأمراض نفسية وعقلية أو مدمنين على الخمر أو المخدرات، وأن الهدف من هذه التفرقة هو
 تفادي انتقال العدوى إلى الأصحاء إلى جانب تقديم الرعاية الصحية لهذه الفئة المريضة،
 فعلاج المرضى يعني قدرتهم على التكيف مع الحياة الاجتماعية من جديد.

2.1- التعليم والتأهيل:

إن لكل من التعليم والتأهيل دور مهم في إعادة تأهيل المحكوم عليهم وإصلاحهم، ولذا
 سوف نتكلم عن التعليم أولاً ثم التأهيل.

أ- التعليم: يقصد بالتعليم بصورة عامة تلقين الإنسان دروس جيدة وتزوده بمعلومات كثيرة،
 وللتعليم أهمية كبيرة في تأهيل المحكوم عليهم حيث أنه يقضي على الخطورة الإجرامية الكامنة
 في نفسية المجرم بثقيفه وتحسين مستواه الذهني والفكري، كما يساعد "على تنمية المبادئ
 والقيم الخلقية السامية ومراعاة الحقوق والواجبات في المجتمع، مما يساهم في بناء شخصية
 السجين ويعينه على مواجهة الصعاب سواءاً من حيث التكيف الاجتماعي داخل المؤسسة أو
 خارجها، أو من حيث الإحاطة بالمشاكل الاجتماعية والأساليب الصحية لحلها والتغلب عليها دون
 اللجوء إلى الطريق الإجرامي"¹.

والتعليم داخل المؤسسة العقابية على نوعين تعليم عام وتعليم فني، فالتعليم العام
 يشمل الكتابة والقراءة وبعض المعلومات الرئيسية وهو إجباري، أما التعليم الفني فهو يتمثل
 في تعليم السجناء بعض الأنشطة والمهن التي تتفق مع رغبتهم لتمكينهم فيما بعد من كسب
 رزقهم وقوتهم، ويتم هذا التعليم عن طريق وسائل عديدة ومتنوعة منها إعطاء دروس
 ومحاضرات من طرف أشخاص متخصصين ومدربين، وتسمح هذه الوسيلة بتنمية القدرات

¹ محمد شلال العاني، علي حسن طواليه، علم الإجرام والعقاب، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان، 1998،
 ص355.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الادمج الاجتماعي للمساجين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الادمج الاجتماعي للأحداث سطيف
 الذهنية والفكرية للسجناء، كذلك يمكن تعليم النزلاء عن طريق المطالعة" وهي قراءة الكتب
 العلمية والثقافية ويتطلب ذلك أن تحتوي المؤسسة العقابية على مكتبة تضم ما يحتاج النزلاء
 من كتب ومجلات ودوريات علمية تساعد في إصلاحهم، فالمطالعة لها دور كبير في ملء وقت
 فراغ المساجين ودفع الأفكار السيئة التي قد تدور في ذهنهم¹.

ب- التهذيب: "لتهذيب أهمية في إصلاح المحكوم عليهم إذ يمهد لاندماجهم في المجتمع وتكيفهم
 بعد الإفراج، ولقد كان التهذيب دينيا في بادئ الأمر حيث انتشر في سجون الكنيسة ثم انتقل إلى
 السجون المدنية واتسع نطاقه ليشمل التهذيب الديني والتهذيب الخلقي".

التهذيب الديني: ويقصد به تعليم السجين الأمور الدينية وآداب الشريعة الإسلامية، ويقوم
 بعملية التهذيب الديني رجال الدين تعينهم الإدارة العقابية بشرط أن يكونوا أكفاء وقدوة
 حسنة، ويتم التهذيب الديني بوسائل عدة منها: تنظيم المحاضرات والدروس الدينية وإقامة
 الحفلات الدينية بالإضافة إلى تزويد مكتبة السجن بكتب ومجلات دينية حتى يستطيع السجناء
 الاطلاع عليها والاستفادة منها.

ج - التهذيب الخلقي: ويقصد به "إبراز القيم الأخلاقية للمحكوم عليهم وإقناعهم بها وتدريبهم
 على أن يستمدوا معايير السلوك في المجتمع ثم الالتزام بها"².

3.1- الرعاية الصحية والاجتماعية:

"ويقصد بأساليب الرعاية الصحية والاجتماعية للمساجين بيان ما يجب أن تبذله
 المؤسسة العقابية نحو الأفراد فيما باعتبارهم آدميين ووجوب مراعاتهم من الناحية الصحية
 والنفسية والاجتماعية"³.

¹ - عبد القادر قهوجي وفتوح عبد الله الشاذلي، مرجع سابق، ص 323.

² - نفس المرجع.

³ - إسحاق إبراهيم منصور، موجز في علم الإجرام وعلم العقاب، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، بن
 عكنون، الجزائر، 1991، ص 187.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الادمج الاجتماعي للمساكين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الادمج الاجتماعي للأحداث سطيف
 والرعاية الصحية لا تقتصر على علاج المرضى المحكوم عليهم وإنما تشمل أيضا اتخاذ
 الاحتياطات اللازمة للوقاية من الأمراض التي يمكن أن تنتشر بين النزلاء، ومن هذا فإن الرعاية
 الصحية تأخذ أسلوبين: أسلوب وقائي، والآخر علاجي.
 الأسلوب الوقائي: "الأساليب الوقائية للرعاية الصحية تستغرق كل ما يتعلق بحياة السجن
 داخل المؤسسة العقابية وتمثل في مجموعة الاحتياطات والشروط التي يتعين توافرها في
 المؤسسة العقابية وفي المأكل والملبس الذي يقدم للسجين، إلى جانب الاهتمام بنظافته
 الشخصية، وإتاحة ممارسة الأنشطة الرياضية والترفيهية"¹.

2- المؤسسة العقابية:

من بين الشروط التي يجب توافرها في المؤسسة العقابية أن تكون واسعة تكفي عدد
 المسجونين، وتخصيص فيها أماكن معينة للنوم وأخرى للعمل وأخرى للأكل، وأن يكون
 للمؤسسة العقابية نوافذ تسمح بدخول الشمس والهواء النقي النظيف، هذا إلى جانب توفير
 مرافق صحية لعلاج المرضى وإجراء الفحوص والاختبارات المختلفة، كما يجب توفير أماكن
 خاصة لدورات المياه حتى يتسنى للسجناء قضاء حاجاتهم في أي وقت، بالإضافة إلى هذا يجب
 أن تكون كل هذه الأماكن نظيفة طوال اليوم.
 - الغذاء: يجب أن يكون الطعام المقدم للسجناء نظيفا كافيا جيد الصنع تتوافر فيه جميع
 العناصر الغذائية الكاملة. هذا إلى جانب توفير مياه الشرب النقية لهم.
 - الملابس: يرتدي كل سجين اللباس المخصص له، ويكون اللباس متناسب مع درجة الحرارة
 والبرودة كما أنه يتم تغييره على فترات مختلفة.
 - النظافة الشخصية: كل سجين ملزم بتنظيف جسمه وملابسه، ولهذا السبب يجب توفر
 أماكن خاصة بالاستحمام مجهزة بمياه كافية تناسب حرارتها الظروف المناخية.
 - ممارسة الرياضة: نظرا لما للرياضة من دور كبير في تقويم الجسم وحمايته من الأمراض
 فينبغي على المؤسسة أن توفر للمساكين أماكن خاصة لممارسة الرياضة على اختلاف أنواعها.

¹ - عبد القادر قهوجي، فتوح عبد الله الشاذلي، مرجع سابق، ص 517.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الاندماج الاجتماعي للمساجين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الاندماج الاجتماعي للأحداث سطيف

- تقديم الرعاية الصحية الخاصة للحوامل: "تشمل الوقاية رعاية المحكوم عليها الحامل حتى لا تتعرض لأضرار صحية، ويتطلب وضع نظام للمعاملة العقابية خاصة بالمحكوم عليهم الحوامل. كذلك يسمح لهم بالانتقال إلى مستشفى عام عندما يقترب موعد الوضع، وأن تتم عملية الوضع داخل السجن إذا قرر الطبيب المشرف ذلك"¹.

الأسلوب العلاجي: إن العلاج من بين الأساليب المهمة والضرورية لمكافحة الظاهرة الإجرامية، فعلاج المجرم من المرض الذي دفعه إلى ارتكاب الجريمة يعني القضاء على الإجرام من جهة وتأهيل الجاني من جهة أخرى، فهو يعتبر حق السجين تلتزم به الدولة دون مقابل ولهذا السبب يجب أن يوجد داخل كل مؤسسة عقابية طبيب واحد على الأقل "مؤهل وملم بالطب النفسي وأن ينظم الخدمات الطبية بها على نحو وثيق الاتصال بالإدارة العامة للخدمات الصحية، ويكون للسجن المركزي طبيب"².

هذا إلى جانب توفير الأدوات والأجهزة الطبية اللازمة لعلاج المرضى من المحكوم عليهم. ويتم العلاج داخل المؤسسات العقابية بفحص المحكوم عليه أولاً من الناحية النفسية والصحية فإذا وجده الطبيب مريضاً بمرض نفسي أو عقلي أمر بنقله إلى مستشفى الأمراض العقلية تحت الحراسة، أما إذا وجده مريضاً بمرض وبائي كالحصى ينقل إلى المستشفى المخصص لعلاجهم. ويقوم الطبيب بتقديم التقارير الطبية لمدير السجن تتضمن كشف طبي يبين فيه حالة السجين الصحية.

3- الرعاية الاجتماعية: يعرفها "جلال ثروت" بأنها مساعدة النزير على تقبل الحياة داخل السجن وتكييفه معها، وتوجيهه النصيح له في حل مشاكله بسبب الحياة الجديدة وكذلك تأهيله وإعداده للعودة إلى المجتمع مواطن صالح"³.

وتنحصر أساليب الرعاية الاجتماعية في ثلاث طرق هي دراسة مشاكل السجين.

¹ - فوزية عبد الستار، مرجع سابق، ص 397.

² - محمد صبيح نجم، المدخل إلى علم الإجرام وعلم العقاب، ط1، دار الثقافة، عمان، الأردن، 1998، ص 104.

³ - جلال ثروت، الظاهرة الإجرامية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997، ص 278.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الاندماج الاجتماعي للمساجين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الاندماج الاجتماعي للأحداث سطيف

- تنظيم أوقات فراغهم - كفالة اتصالهم بالعالم الخارجي.

أ- دراسة مشاكل المحكوم عليهم:

تعدد المشاكل التي قد تحيط بالسجين وقد يكون مشاكل أسرية أو اقتصادية وقد تكون نتيجة نفسية، ومن هنا يبرز دور الأخصائي الاجتماعي والنفسي في وضع حلول لكل هذه المشاكل كالاتصال بأسرة السجين لفهم أساس المشكلة ثم تقديم المعونة ويد المساعدة لهم وبعدها يطمئن السجين بحالتهم، بالإضافة إلى ذلك يقوم الأخصائي بإزالة الأعراض النفسية للمحكوم عليه بإقناعه بفائدة المعاملة العقابية في تأهيله وإصلاحه حتى يتمكن من الاندماج بعد الإفراج عنه.

ب- تنظيم أوقات الفراغ للمحكوم عليهم:

يجب أن يقوم الأخصائي الاجتماعي بتنظيم استغلال أوقات فراغ السجناء، وما لهذا التنظيم من أهمية كبيرة "إذ يرجع إجرام بعض المنحرفين إلى إساءة استغلال أوقات فراغهم وتعويدهم على حسن استغلال هذا الوقت واستخدام إمكاناتهم المعطلة فيه قد يجنبهم تأثير واحدا من العوامل الدافعة إلى طريق الجريمة"¹.

ج- كفالة الاتصال الخارجي:

مما لا شك فيه أن رؤية السجين لأهله وأسرته وأصدقائه من الأمور التي تهدئه وتريح أعصابه، بالإضافة إلى أنها تجعله متلهفا للخروج من السجن، الأمر الذي يؤدي إلى تجاوبه مع التأهيل في حقبة زمنية قصيرة. ويتخذ الاتصال الخارجي صورتين هما:

د - السماح بزيارة السجين:

وهذه الزيارة محددة المدة فمثلا تكون مرة واحدة في الشهر بالنسبة للمحكوم عليهم بعقوبة طويلة المدة، وتكون مرة واحدة في كل أسبوعين بالنسبة للمحكوم عليهم بعقوبة قصيرة المدة، كما أن وقت الزيارة محدد بفترة قصيرة ربع أو نصف ساعة كأطول وقت وتتم هذه الزيارة تحت رقابة الإدارة العقابية².

¹ - فوزية عبد الستار، مرجع سابق، ص 402.

² - اسحاق ابراهيم، مرجع سابق، ص 191.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الإدماج الاجتماعي للمساكين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث سطيف

هـ - السماح بمراسلة السجنين:

يمكن للسجناء تبادل مع أهلهم وأصدقائهم ولكن هذه المراسلات تخضع لرقابة الإدارة العقابية "حتى تتأكد أنها لا تتضمن معلومات تؤدي إلى الإضرار بالنظام العقابي من ناحية، وحتى يمكنها التعرف على مشاكل السجنين من ناحية أخرى، فتعمل على حلها كلما أمكن ذلك مما يساعد على تأهيلهم¹.

4- الإدماج الاجتماعي للمفرج عنهم:

تنص الكثير من التشريعات على تقديم المساعدة الكاملة للمفرج عنهم بمجرد خروجهم من المؤسسة العقابية، والوقوف بجانبهم لتخطي كل المشاكل الاجتماعية ويقوم بهذه العملية أخصائيو اجتماعيون وهيئات وجمعيات ومنظمات المجتمع المدني عند إخبارهم من طرف الإدارة العقابية .

وتتخذ عملية الإدماج الاجتماعي عدة أشكال تتمثل في ما يلي:

- توفير مسكن مناسب للمفرج عنهم مع أسرهم.
- منح المفرج عنهم مبلغ من المال نقدا سواء كان من عمله داخل المؤسسة العقابية أو من قبل الهيئات الاجتماعية.
- البحث لهم عن عمل ملائم وشريف.
- توفير العلاج للمرضى منهم .
- محاولة إقناع الرأي العام بضرورة الاهتمام بمشاكل المفرج عنهم وتقديم العون لهم ولاشك أن هذه الصورة وغيرها تعيد ثقة المفرج عنه في نفسه وفي شعوره بأنه مواطن لا يختلف.

5. أهمية الإدماج الاجتماعي للمساكين:

تبرز أهمية الإدماج الاجتماعي للمساكين في محاولة جعل الأفراد المفرج عنهم عاديين في المجتمع، وجعلهم يزاولون حياتهم اليومية دون تمييز أو تهميش بعد الإفراج عنهم، فمرحلة العزلة التي كان السجنين يمر بها خلال فترة العقوبة والأوضاع التي عايشها والعلاقات التي كونها

¹ - نفس المرجع.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الإدماج الاجتماعي للمساكين
 الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث سطيف
 مع السجناء والقيم والأفكار التي حملها داخل السجن بمختلف أشكالها السلبية، وتعرف
 بثقافة السجن، أو المجتمع الثقافي للسجن.

بالإضافة إلى الصدمة التي يعيشها السجن بعد إفراج عنه في الأيام الأولى، وخاصة الحالة
 النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، والواقع الاجتماعي الذي تركه لفترة زمنية،
 يصعب على التكيف المباشر للمفرج عنهم، وقد أثبتت بعض الدراسات أن 40% من المفرج عنهم
 عادوا لارتكاب الجريمة مرة ثانية بعد الأشهر الأولى من الإفراج كما يذكر¹.

وهذا ما يثبت إهمال عملية الإدماج الاجتماعي للمفرج عنهم وعدم متابعته من طرف
 الإدارة الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني، وكذلك عدم جدوى عقوبة السجن وسياسة
 الردع والقسوة إزاء مكافحة الجريمة، وكذلك وقوع أفراد أسر السجناء في الانحراف وارتكاب
 جرائم متنوعة وهذا ما أثبتته دراسة الباحث (محمد هلال ناجي، 2003) عن ارتكاب أفراد أسر
 السجناء لجرائم ممنوعة كالسرقة والمتاجرة بالمخدرات، ومن هنا تمكن أهمية الإدماج
 الاجتماعي للسجناء وفقا لسياسة معينة موضوعة من طرف الأشخاص المسؤولين المختصين
 على هذه العملية².

6. مسؤولية الرعاية والإدماج الاجتماعي للمساكين:

إن مسؤولية تنفيذ برامج الرعاية الاجتماعية وتحقيق أهدافها تكاد تنحصر على المؤسسات
 العقابية في حد ذاتها، حيث أن العاملين في المؤسسات العقابية والإداريين عليهم تحمل
 مسؤولية تقديم الرعاية الاجتماعية للمساكين ككل، من خلال مجموعة من الايجابيات التي
 تحققها المؤسسات العقابية بالرعاية الاجتماعية ومن بينها:

¹ - فؤاد السعيد، سوسيولوجيا الجريمة في الوطن العربي، المنتدى للدراسات والنشر، القاهرة،
 مصر، 1994، ص 37.

² - هلال، ناجي محمد سليم، العنف في السجن: دراسة اجتماعية علي عينة من السجناء، المجلة العربية
 للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 18، العدد 36، رجب 1424 هـ / أكتوبر 2003، ص 152.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الإدماج الاجتماعي للمساجين
 الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث سطيف
 * تعتبر المؤسسة العقابية أكثر خبرة في التعامل مع المساجين المفرج عنهم، وأكثر دراية بهم من
 جميع النواحي باعتباره قضى فترة زمنية تمكنهم من التعرف عليهم وجميع أحوالهم الشخصية
 والأسرية والاقتصادية.
 * وجود علاقة بين الأخصائي الاجتماعي بالمؤسسة العقابية والمساجين وهذه العلاقة تساعد
 على الإدماج الاجتماعي للمفرج عنهم.
 * إن تولي المؤسسة العقابية تنفيذ برامج الرعاية الاجتماعية يساعد على توفير الجهد والوقت
 والأموال، إذ أن تولي جهات أخرى تنفيذ برامج الرعاية الاجتماعية تعيق إجراء علاقات مهنية
 واجتماعية ونفسية جديدة وهذا يتطلب جهدا إضافيا وأموال ووقت أطول.
 * إن قيام المؤسسة العقابية بدور الرعاية الاجتماعية وإدماج المفرج عنهم، يشعر المساجين بأن
 المؤسسة العقابية تقوم بدور إصلاحي وعلاجي لا بدور انتقامي عقابي.

7- مشكلات السجن بعد الإفراج عنه:

يواجه السجن بعد انتهاء مدة عقوبته حياة جديدة تكون في الغالب غريبة، وخاصة إذا
 كانت مدة سجنه طويلة فمجتمع السجن يختلف عن المجتمع العادي، فبعد فترة العقوبة
 يواجه المفرج عنهم عدة مشكلات قد تكون مادية، أو اجتماعية أو نفسية، هذا ما جعل
 الباحثين دراسة مشكلات السجن بعد الإفراج عنه، وقد اصطلح البعض على تسمية هذه
 المشكلات "أزمة الإفراج" أو "صدمة الإفراج"، وبعضهم يعتبرها مشكلة الحرية بعد السجن¹،
 ومن خلال معرفة مشكلات المفرج عنهم يمكن تحديد دور المجتمع المدني بمختلف أشكاله،
 وخاصة الجهات المعنية أن تساهم في التخفيف منها بشكل كبير، وذلك بالتنسيق مع
 المؤسسات العقابية، والأخذ بمراحل عمليات الإدماج .
 وأبرز المشكلات التي تواجه السجن هي:

¹ - خليفة محروس، رعاية المسجونين والمفرج عنهم وأسره في المجتمع العربي، أكاديمية نايف العربية للعلوم
 الأمنية، الرياض، السعودية، 1997، ص 77.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الادمج الاجتماعي للمساجين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الادمج الاجتماعي للأحداث سطيف

أ- تشتت الأسرة:

كثير من المسجونين يجدون صعوبات أسرية تبدأ بدخولهم للسجن، فقد تطالب بعض زوجات السجناء الطلاق بعد دخول الزوج المؤسسة العقابية، ففي دراسة للباحث (محمد هلال ناجي)، وجد أن 43% من زوجات المسجونين قمن بهجر منزل الزوجة أو طلبن الطلاق بسبب غياب الزوج "السجين"، وقد يصاحب ذلك غياب الأم مما يسبب في تصدع وانشقاق بناء الأسرة¹.

إن تشتت أفراد الأسرة من بين المشكلات التي تواجه السجن بعد الإفراج عنه، وهذا ما يتطلب من الجهات الرسمية وغير الرسمية المتمثلة في مؤسسات ومنظمات المجتمع المدني التي تعمل في هذا المجال أن تعني باهتمام استشارة السجن أثناء مدة العقوبة، وذلك بالاتصال بأفراد الأسرة والتعرف على احتياجاتها المادية والاجتماعية والنفسية للأبناء، وذلك بهدف الحفاظ على تماسك الأفراد وعدم تصدع وانشقاق أسرة السجن.

ب- عدم تقبل المجتمع للمفرج عنه:

ونقص هنا المجتمع العام والمجتمع الخاص، فمجتمعه الخاص الذي يبدأ بأسرته وينتهي بأفراد الحي الذي يعيش فيه، فقد لا يجد منه القبول والرفض والنفور منه، أو حتى التحذير من التعامل مع أفراد أسرته، أما المجتمع العام فهو سائر عموم الناس، ويتمثل ذلك في طبيعة التعامل الذي يواجهه منهم حين معرفتهم عنه بأنه خريج السجن، وهذه المعاملة السلبية تنعكس على نفسية المفرج عنه، وقد تدفعه للعودة مرة أخرى للجريمة بسبب بحثه عن مجتمع جديد يتقبله، ولن يجد في الغالب إلا رفاق السجن.

ودلت دراسة (منصور عبد الله الروقي) أن نسبة 80% من المجرمين العائدين إلى الجريمة سببه الضغوط الاجتماعية التي واجهوها بعد خروجهم من السجن، بالإضافة إلى عدم تقبل المجتمع لهم وهذه المشكلة تتضح بشكل أكبر في المجتمعات الصغيرة "القرى"، وتقل آثارها في المجتمعات الكبرى "المدنية" حسب تقسيم دوركايم للمجتمعات "المجتمع العضوي والمجتمع

¹ - هلال، ناجي محمد سليم، مرجع سابق، ص 150.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الإدماج الاجتماعي للمساجين
 الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث سطيف
 الآلي¹. وهذا ما أكدته دراسة (غازي رحيمي أحمد الجهني) أن نسبة 37.9 % من أفراد المجتمع
 يواجهون المفرج عنه برفض اجتماعي قاس، وهذا قد يدفعه إلى العودة للجريمة مرة ثانية².
 إن النظرة السلبية للمفرج عنه من طرف المجتمع أو كما يسميها البعض "بالتحقير
 الاجتماعي" تولد العديد من المشاكل والصعوبات لدى الأشخاص المفرج عنهم، وقد تذهب
 الجهود المبذولة لإصلاح السجين وتأهيله والرعاية داخل المؤسسات العقابية بسبب رفض
 المجتمع لهم وعدم تقبلهم كأفراد في المجتمع، ويمكن القول أنه يمكن لمؤسسات المجتمع المدني
 أن تساهم في إدماج المفرج عنه من خلال نشر الوعي لأفراد المجتمع بضرورة تقبل هذه الفئة
 كونها جزء من النسق العام، وكذلك محاولة تشجيعهم على الانخراط والانضمام إلى جمعيات
 ومنظمات تهتم بتنشيط و تثقيف الشباب وشؤون المجتمع. مما قد يسهل على الاندماج
 الاجتماعي للمفرج عنهم وفك عقدة الإفراج أو كما يسميها البعض "صدمة الإفراج".

ج- عدم العمل:

يعتبر العمل من إحدى المشكلات التي تواجه المفرج عنهم، وهذا ما قد يسبب
 الحصول على المال بطرق غير مشروعة، مما ينتج عنه العودة إلى الجريمة مرة ثانية، ولقد
 أظهرت بعض الدراسات العلمية التي أجريت لمعرفة اتجاهات المجتمع نحو تشغيل المفرج
 عنهم، أن المجتمع غير متقبل لهذه الفئة، إذ تبين أن 11 % من أفراد العينة المبحوثة وافقت
 على تشغيل المفرج عنهم، ويرجع ذلك إلى عدم الثقة فيهم أو الخوف من التأثير على سمعة
 العمل³، وقد تكون سبب في العودة إلى الانحراف مرة ثانية، وعليه لا بد من العمل على مواجهة
 هذه المشكلات والتقليل من حدتها وذلك بتوفير مناصب شغل للمفرج عنه وتقديم لهم بعض

¹ منصور عبد الله الروقي، المشاركة الأهلية التطوعية ومدى تكاملها في مجال الرعاية اللاحقة، أطروحة
 (ماجستير)- جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الإدارية،
 السعودية، 1995، ص124.

² غازي رحيمي أحمد الجهني، اتجاهات المجتمع السعودي نحو السجناء المفرج عنهم، أطروحة (ماجستير)-
 المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، المعهد العالي للعلوم الأمنية، قسم العلوم
 الاجتماعية، السعودية، 1994، ص216.

³ غازي رحيمي أحمد الجهني، مرجع سابق، ص216.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الإدماج الاجتماعي للمساجين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث سطيف
 المال لسد حاجياته عند الإفراج، ففي الجزائر صرح المدير العام لإدارة السجون لجريدة
 الشروق "أنه تم توزيع آلات خياطة وطرز وحلاقة على 30 امرأة من السجينات المفرج عنهن،
 حيث هذه المساعدة كانت متماشية مع برامج التكوين الذي تلقته السجينات طيلة فترة مكوثها
 في مؤسسات إعادة التربية" وأشار في نفس التصريح أنه "تم تشغيل 350 محبوس سنة
 2006"¹.

د- تأثير العناصر الإجرامية:

قد يكون المفرج عنه تعرف على بعض الأشخاص المجرمين أثناء مدة العقوبة داخل
 السجن، وارتبط قبل دخوله السجن بمجرمين آخرين، وقد تحالف مع مجرمين جدد داخل
 السجن، لذلك يجد صعوبة كبيرة في التخلص من هذه العلاقات السابقة وخاصة العصابات
 الإجرامية ذات النشاط المستمر، ففي دراسة علمية للباحث (عبد الله السدحان) أظهرت أن
 23% من الأحداث المودعين في دور الملاحظة الاجتماعية استمرت علاقتهم بزملائهم الذين
 تعرفوا عليهم داخل الدور حتى بعد خروجهم منها، وهذا يعود بشكل كبير إلى الظروف السيئة
 التي قد يعيشها داخل المؤسسات العقابية².

هـ- الرقابة المستمرة للشرطة بعد الإفراج:

نجد أن هناك من الأفراد المفرج عنهم تمارس عليهم نوعا من الرقابة المستمرة من
 طرف الأجهزة الأمنية وخاصة الأفراد المتكرر إجرامهم، حيث قد تطول مدة هذه الرقابة أو
 تقصر بحسب نوع الجريمة، وهذا ما يسبب عائقا في التكيف الاجتماعي لهم، فكلما حدثت
 جريمة في منطقتهم تم استدعائهم إلى مراكز الشرطة للتحقيق والاستجواب، فهذا الإجراء
 المستمر من قبل الشرطة ضد المفرج عنهم يجعل الفرد لا ينفك عن ماضيه وتذكير الآخرين بأنه

¹ - زبير فاضل، تنصيب المصالح الخارجية لإعادة الإدماج قريبا، جريدة الشروق، العدد، 2006/12/02،
 الجزائر، ص 08.

² - عبد الله بن ناصر السدحان، الرعاية اللاحقة للمفرج عنهم في التشريع الإسلامي والجنايئ المعاصر، ط1،
 جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 2006، ص 294.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الادمج الاجتماعي للمساكين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الادمج الاجتماعي للأحداث سطيف
 كان مجرماً، مما يتسبب في لصقه بالمتهم الدائم في المجتمع، ومما قد يعود إلى الإجرام
 والانحراف من جديد.

و- الضعف النفسي والاجتماعي للمفرج عنه:

إن الحالة النفسية والظروف التي عاشها المفرج عنه أثناء مدة العقوبة لا يمكن
 تجاهلها أو نكران تأثيرها، فالعديد من الدراسات العلمية تؤكد أن السجن تظهر في شخصيته
 تغيرات نفسية متعددة، أفرزتها الظروف النفسية والاجتماعية داخل السجن مع وجود تباين
 بين السجناء في القدرة على التكيف مع الوضع الجديد ومدة العقوبة والخبرات السابقة
 للعائدين مرة ثانية وأكثر، فمن المؤكد أن هناك تغيرات نفسية تظهر على المفرج عنهم جراء
 وجود بيئة مهيأة لظهور العديد من الأمراض النفسية مثل: الاكتئاب، القلق، التوهم ...، وظهور
 العديد من التغيرات الانفعالية مثل: الإحباط، الخوف من المستقبل، فقدان الثقة بالنفس،
 التردد¹.

ومن خلال هذا ندرك أهمية توفير البيئة الاجتماعية الصالحة والرغبة في تغير الأوضاع
 الاجتماعية المسببة للانحراف. ونذكر أيضاً مثال آخر هو ما قامت به جمعية وقائية خاصة
 بالمنحرفين في مدينة وهران الجزائرية "اتحاد الأطباء الجزائريين" (فرع مدينة وهران) وسميت
 هذه الجمعية بالأطباء في الاستماع *les médecins à l'écoute* هدفها هو مساعدة فئات
 الأحداث المعرضين للانحراف (ذكور وإناث) أو المفرج عنهم، وذلك بالاهتمام بمشاكل هؤلاء
 وتقديم يد العون لهم والمساعدة الفعلية لهم قدر المستطاع عن طريق الاستماع أولاً، ودراسة
 أوضاعهم على الطبيعة *au milieu ouvert* أي في عين المكان أو في المحيط السكني والعائلي
 لهؤلاء الشباب وذلك بالذهاب أو الانتقال إلى مكان تواجدهم، وشمل ذلك كل الشبان
 المعرضين للانحراف أو الذين يعانون من مشاكل نفسية، اجتماعية، صحية، اقتصادية،
 دراسية .

¹ عبد الله حسين الخليفة، البناء الاجتماعي والجرائم المستحدثة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية،
 الرياض، السعودية، 1998، ص 155.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الإدماج الاجتماعي للمساجين
 الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث سطيف
 ومجال الرعاية اللاحقة في الجزائر يتضمن كافة المجالات الصحية والاجتماعية والمهنية
 والنفسية والوعظ والإرشاد، وقد تم إنشاء المديرية العامة لإدارة السجون وإعادة الإدماج
 التابعة لوزارة العدل، للإشراف على تنفيذ برامج الرعاية الاجتماعية وإدماج السجناء. كما تم
 بعد تنظيم قانون السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين الصادر في 2005/02/06،
 تحت رقم: 04/05 في فصله الأول المتضمن الأحكام التمهيدية للمعاملة العقابية، حيث ينص
 على جعل العقوبة وسيلة لحماية المجتمع بواسطة إعادة التربية والإدماج الاجتماعي
 للمحبوسين¹.

سابعاً- الإجراءات الميدانية للدراسة:

1- منهج الدراسة:

اعتباراً من أن موضوع البحث هو الذي يفرض نوع المنهج وأدواته، فقد اعتمدنا على
 المنهج الوصفي في دراسة موضوع " دور المؤسسات العقابية في إعادة الإدماج الاجتماعي
 للمساجين " كون الدراسة تندرج ضمن الدراسات الوصفية التي تهتم بالكشف عن الحقائق
 الواقعة والمرتبطة بجماعة معينة من الأفراد، فهومن بين المناهج الأكثر انتشاراً واستخداماً في
 العلوم الاجتماعية. وذلك لاهتمامه بوصف الظواهر ووصفاً دقيقاً ويعبر عنها كمياً وكيفياً
 وتحليلها وتفسيرها بطريقة علمية، بهدف الوصول إلى استنتاجات موضوعية وعلمية تساهم في
 التعرف على الحقائق الغامضة.

2- مجتمع وعينة الدراسة:

وفي هذه الدراسة الحالية تم اللجوء حسب ظروف وإمكانيات الباحث إلى نوعين من
 أسلوب المعاينة، أي التعامل مع مجتمع الدراسة بكل أفرادها مستخدماً المسح الشامل، وأيضاً
 أخذ عينة ممثلة من المجتمع الأصلي، وبالتالي فإن مجتمع هذه الدراسة يتكون من الأحداث
 المسجونين بمركز إعادة التربية، وعينة من المسؤولين المكونون في برامج الإدماج الاجتماعي
 للأحداث وعددهم 8 أفراد.

¹ - وزارة العدل، المديرية العامة لإدارة السجون وإعادة الإدماج، مرجع سابق، ص 08.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الادمج الاجتماعي للمساكين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الادمج الاجتماعي للأحداث سطيف
 أما مجتمع الدراسة من الأحداث فقد اعتمد الباحث على المسح الشامل لهم والمقدر
 عددهم بـ 71 حدثاً، وقد استبعد الباحث بعض الأفراد الذين أودعوا بالمركز حديثاً والمقدرة بـ
 16 فرد، وبالتالي يصبح العدد الإجمالي للأفراد المبحوثين بـ 55 حدث جانح، يتراوح أعمارهم ما
 بين 16 سنة إلى 19 سنة.

3- مجالات الدراسة:

أ- المجال الجغرافي: لقد تم إجراء الدراسة الميدانية بمركز إعادة التربية وإعادة الإدماج
 الاجتماعي للأحداث الجانحين ببلدية سطيف، وقد أنشئ سنة 1971، وبدأ عمله بصورة رسمية
 سنة 1975، وهويتسع لحوالي 110 أحداث وتكون مدة الإقامة فيه من 6 أشهر إلى أكثر من سنة،
 حيث أن هذه المدة تتحدد وفقاً للأحكام التي يصدرها قاضي الأحداث .

ويتكون هذا المركز من عدة هياكل ومصالح منها ثلاثة مرآقد سعة الواحدة منها 36 شخصاً
 وقد تصل السعة الإجمالية إلى 110 أحداث، وتحتوي هذه المرآقد على الخزانات ودورات المياه
 إلى جانب وجود مياه ساخنة للاستحمام، كما يتوفر المركز على ثلاثة أقسام للتدريس، وقاعة
 لعرض الأفلام، وثلاث ورشات قاعة للمطالعة ومكتبة تحتوي على 600 كتاب متنوعة ومخزن
 للمواد الغذائية ومغسل للثياب مجهز بلوازمه الضرورية من غسالات ومواد الغسيل، إلى جانب
 وجود عيادة طبية مجهزة، ومجموعة من غسالات ومواد ذوي المرض الخطير، بالإضافة إلى
 ساحة كبيرة مخصصة للتجوال خلال الفترات المخصصة لذلك، ويجوار هذه الساحة قاعة
 مخصصة لزيارة الأهل لذويهم السجناء. كما يضم المركز ملعباً صغيراً لمزاولة النشاطات
 الرياضية.

كما يتوفر المركز على مكاتب إدارية لضمان سير النشاطات داخل المركز وهي مكتب خاص
 بمدير المركز والسكرتارية ومكتب المربي الرئيسي، إلى جانب مكتب الأخصائي النفسي ومكتب
 المقتصد، ومجموعة من المساحات الخضراء التي تحيط بالمركز من جميع النواحي، إلى جانب
 وجود مبنى خاص بالموظفين يحتوي على أربع شقق، ومسكن خاص بمدير المركز، ومن الناحية
 الظاهرية للمركز، يتميز بأسواره العالية وغلق المداخل الرئيسية بأبواب من حديد وأمام

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الإدماج الاجتماعي للمساكين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث سطيف
 المدخل الرئيسي كاميرا للمراقبة، كما أن تواجدها بواسطة حي مدينة الهوا الجميل، كما يوجد
 بمحاذاة المؤسسة العقابية المخصصة للكبار والإناث.

وما يلاحظ على هذا المركز أن شروط الرعاية الصحية والنظافة والخدمات الاجتماعية
 متوفرة داخل هذا المركز مما يساعد على القيام بمختلف برامج التأهيل والإدماج الاجتماعي
 لهم أثناء تواجدهم به.

ب- المجال الزمني: تم إجراء الدراسة الميدانية في الفترة الممتدة ما بين شهر جانفي وفيفري
 2017 مكننا من توزيع الاستمارات وإجراء المقابلات وملاحظة الوقائع والشواهد داخل
 المؤسسة العقابية بسطيف.

ج- المجال البشري: انطلاقا منه يتم تحديد نوع العينة المطلوبة حيث يضم المجتمع الأصلي
 لمركز "إعادة التربية وإعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث الجانحين" ويضم عدداً من المصالح
 الإدارية والبيداغوجية تسهر على تطبيق مختلف البرامج والنشاطات التعليمية والتكوينية
 والترفيهية .

فمن الناحية التنظيمية والبيداغوجية، يشرف على المركز مدير معين من طرف الجهات
 الوصية والذي من بين مهامه تسيير الإدارة وضمان سير النشاطات البيداغوجية، ويساعده في
 ذلك فرقة متخصصة تتكون من ثلاثة مربين قسم، أربعة حراس ليل أربعة مربين أفواج،
 أخصائي نفسي وهم مقسمون إلى ثلاثة أقسام . أما مصلحة الإدارة فتضم كلا من مصلحة
 العمال والأمانة والمقتصد والتمريض .

أما مجتمع الدراسة من الأحداث فقد اعتمد الباحث على المسح الشامل لهم والمقدر
 عددهم بـ71 حدثاً، وقد استبعد الباحث بعض الأفراد الذين أودعوا بالمركز حديثاً والمقدرة بـ
 16 فرد، وبالتالي يصبح العدد الإجمالي للأفراد المبحوثين بـ55 حدث جانح، يتراوح أعمارهم ما
 بين 16 سنة إلى 19 سنة.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الإدماج الاجتماعي للمساجين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث سطيف

4- أدوات جمع البيانات المستخدمة في الدراسة:

أ- الملاحظة: الملاحظة المعتمدة أثناء الزيارات الميدانية هي الملاحظة العلمية البسيطة المنتظمة.
ب- المقابلة: تم استخدام هذه الأداة في جمع المعلومات مباشرة مع المسؤولين في المؤسسة العقابية وأخص بالذكر المسؤول المكلف بالنشاط الرياضي والمكلف بالنشاطات الثقافية والفنون والمكلف بالصحة النفسية والمكلف بالتكوين مهني والحرفي والمكلف بالتعليم، وتمحور موضوع هذه المقابلات حول الدور الذي تمارسه المؤسسة العقابية في إعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث، وعن أهم الانجازات المحققة في هذا المجال، وعن الآفاق المستقبلية والمتوقع إنجازها في المراحل القادمة. وعليه تم بناء دليل المقابلة ضم عدداً من الأسئلة:

س1- ما هي البرامج التي تتبعها المؤسسة الهادفة إلى إعادة إدماج الأحداث؟

س2- هل يمتلك المدربون والمكونون المهارات والكفاءات اللازمة للتعامل مع الأحداث الجانحين في المركز؟

س3- هل استطعتم تحقيق أهدافكم من خلال البرامج التأهيلية والتعليمية في مركز إعادة التربية وإدماج الأحداث؟

س4- ما هي العراقيل التي تواجه المدربين والمكونين وتحد من دورها في إدماج الأحداث؟

ج- الاستمارة:

اشتملت استمارة البحث مجموعة من الأسئلة موجهة للمبحوثين الأحداث المودعين بالمركز، حيث تم تطبيقها عبر فترتين زمنيتين. الأولى بغرض تجريبيها ووزعت على مجموعة من المبحوثين (25) استمارة تجريبية للمبحوثين الأحداث، حيث استفدنا من إجاباتهم وفي ضوءها حاولنا تعديل ما أمكننا تعديله في صياغة الأسئلة، ثم تم توزيع الاستمارة النهائية في فترة لاحقة وجمع ما أمكننا جمعه طبعاً.

5- الأدوات الإحصائية (أساليب المعالجة الإحصائية):

أ- جداول التكرارات الإحصائية والنسب المئوية: وذلك لوصف خصائص أفراد عينة مجتمع الدراسة، وتحديد استجاباتهم من خلال المحاور الرئيسية التي تضمنتها أداتا الدراسة بواسطة

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الادمج الاجتماعي للمساكين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الادمج الاجتماعي للأحداث سطيف
 النسب المئوية. وكذا حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري: لقياس مدى التشتت في
 استجابات المبحوثين من خلال كل عبارة من عبارات المحاور الاستمارة و، معامل الارتباط (ألفا
 كرونباخ) وذلك لتحديد معامل ثبات أداتي الدراسة.

ب- صدق وثبات أداة جمع البيانات:

* الصدق: بعد التحقق من الصدق الظاهري للاستمارة، قام الباحث بتطبيق الأداة على
 المبحوثين الأحداث، حيث وزعت (25) استمارة على الأحداث وذلك لتحديد مدى التجانس
 الداخلي لأداة الدراسة، وذلك بحساب معامل الصدق الذاتي وبجذر معامل الثبات، وجاء
 معامل الصدق الذاتي لأداة الدراسة الخاصة بالأحداث الجانحين قد بلغ (0.92) وهو معامل
 صدق مرتفع ودال إحصائياً عند مستوى دلالة أقل من (0.01) مما يشير إلى التجانس الداخلي
 لعبارات ومحاور الاستمارة وبالتالي إمكان صدق النتائج التي يمكن أن تسفر عنها أداة الدراسة
 عند تطبيقها.

* الثبات: للتأكد من ثبات أداة الدراسة قام الباحث بإعادة الاختبار بتطبيقها على عينة
 الدراسة، وتم حساب ثبات أداتي الدراسة باستخدام معامل (ألفا كرونباخ)، حيث أن معامل
 الثبات لأداة الدراسة الخاصة بالأحداث الجانحين قد بلغ (0.86) وهو معامل ثبات مرتفع
 ودال إحصائياً عند مستوى دلالة أقل من (0.01) مما يشير إلى إمكان ثبات النتائج التي يمكن
 أن تسفر عنها أداة الدراسة عند تطبيقها.

ثامنا. نتائج الدراسة ومناقشتها:

** - النتائج المتعلقة بالبيانات الشخصية لأفراد العينة:

* اتضح أن جميع أفراد المجتمع من المكونين والمربين في مرحلة الشباب (30 - 40 سنة) وهم
 حاصلون على شهادة الماجستير ومستوى التعليم الثالث ثانوي وخبرتهم العملية أقل من 14
 سنة.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الاندماج الاجتماعي للمساجين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الاندماج الاجتماعي للأحداث سطيف
 كما تبين أن أغلبية الأحداث الجانحين ممن هم في المرحلة العمرية 17-18 سنة ينحصر
 مستوى تعليمهم بين الابتدائي والمتوسط وأن نسبة الانحراف ترتفع في المرحلة العمرية 16 و18
 سنة ثم تنخفض بشكل كبير في السن 19 سنة.
 * كما تبين من خلال المستوى المعيشي للأحداث أن الظروف الاجتماعية وخاصة منها المادية
 كلها عوامل مسببة للانحراف والجريمة.

** نتائج الدراسة وفق محاور وتساؤلات الدراسة:

1- أظهرت الدراسة أن أهم الأساليب التي يتبعها المكونين والمربين في تعديل سلوك الأحداث
 الجانحين هي:

* تعديل عادات الحدث من خلال النصح والتوجيه والإقناع.

* تعزيز الثقة بالنفس من خلال التشجيع والتحفيز.

* تشجيع الحدث على العمل مع بقية زملاءه.

* تعليم الحدث مهارات علمية وثقافية.

* مساعدة الحدث الاندماج في المجتمع كفرد صالح.

2- وبالنسبة لأهم الأساليب التي يتبعها المكونين والمربين في تعديل سلوك الحدث جاءت بدرجة
 ضعيفة جدا حول في أسلوب وهو يقوم المكونين والمربين بتشجيع العمل مع بقية الزملاء وذلك
 باتفاق أعلى من المتوسط حول أهمية هذا الأسلوب.

وهذه النتيجة تجيب على التساؤل الأول من تساؤلات الدراسة الخاص بالأساليب التي يتبعها
 المكونين والمربين الهادفة إلى تعديل سلوك الأحداث.

3- أظهرت الدراسة أن المكونين والمربين يتبعون جميع الأنشطة الثقافية والاجتماعية والرياضية
 الهادفة لإعادة إدماج الأحداث الجانحين في المجتمع (من وجهة نظر المكونين والمربين) وذلك
 بدرجة أعلى من المتوسط ما عدا نشاطين فقط وهما:

* تساعد المسرحيات الأحداث في تنمية سلوكيات جديدة.

* تعالج المسرحيات قضايا ومشكلات الأحداث.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الإدماج الاجتماعي للمساجين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث سطيف

4- وبالنسبة إلى الأنشطة الثقافية والاجتماعية والرياضية الهادفة التي يتبعها المكونين والمربين لإعادة إدماج الأحداث الجانحين في المجتمع وذلك بدرجة أعلى من المتوسط، ما عدا البرامج والأنشطة التعليمية والثقافية فقد اتفقت معها بدرجة أقل من المتوسط مما يدل على أن لكل البرامج والنشاطات دورا مهما في إعادة إدماج الأحداث الجانحين في المجتمع .

وهذه النتيجة تجيب عن التساؤل الثاني من تساؤلات الدراسة والذي يستفسر عن دور البرامج والأنشطة التي تتبعها المؤسسة العقابية في إعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث.

5- كما أظهرت الدراسة أن المكونين والمربين يتبعون بعض المهارات والكفاءات التي تساعدهم على أداء أدوارهم (من وجهة نظر الأحداث) وذلك بدرجة أعلى من المتوسط، من بينها:

* توفر القدرة على كسب صداقة وثقة الحدث.

* توفر القدرة على التأثير والإقناع.

* توفر القدرة على تطبيق الأنشطة والبرامج.

* توفر المؤهل العلمي للقيام بهذا الدور.

* الفهم الكامل والوعي لكل ما يقوم به في العمل.

* اتزان الشخصية والمرونة في المعاملة.

* القدرة على التأقلم والتكيف مع الظروف الجديدة.

6- وبالنسبة لتوفر المهارات والكفاءات لدى الكشافين والتي تساعدهم على أدوارهم، وذلك بدرجة أعلى من المتوسط، مما يدل على أن أفراد المكونين والمربين لديهم المهارات والكفاءات اللازمة للأداء أدوارهم وإعادة إدماج الأحداث الجانحين في المجتمع.

وهذه النتيجة تجيب عن التساؤل الثالث من تساؤلات الدراسة والذي يستفسر عن مدى توافر الكفاءات والمهارات لدى المكونين والمربين والتي تساعدهم على أداء أدوارهم بفعالية.

7- وأظهرت الدراسة كذلك أن هناك عراقيل ومشكلات تواجه المكونين والمربين وتحد من أداء أدوارهم بفعالية حيث يرى أفراد مجتمع الدراسة من المكونين والمربين أن أهم الصعوبات التي تواجههم هي:

* عدم توفير الإمكانيات المادية وخاصة المالية منها.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الاندماج الاجتماعي للمساجين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الاندماج الاجتماعي للأحداث سطيف

* الوقت المخصص لتطبيق الأنشطة والبرامج غير كافي.

* صعوبة متابعة الحدث بعد الإفراج عنه.

* نقص التدريبات والدورات التكوينية للتعامل مع الأحداث.

واتضح من البيانات أن هذه الصعوبات تحد من أداء المكونين والمربين لأدوارهم بدرجة

متوسطة.

8- أما عن الحلول المقترحة لتحقيق الاندماج الاجتماعي في المؤسسات العقابية كانت كالتالي:

* توفير الإمكانيات المادية وخاصة المالية وتكثيف الأنشطة التربوية والتثقيفية للأحداث

* تهيئة السجين بعد الإفراج من الناحية النفسية للاندماج الاجتماعي.

* توفير بيئة مناسبة تساعد على القيام بالدور الإيجابي للمكونين والمربين.

* تفعيل المنافسات الثقافية والتربوية والرياضية بالحوافز والجوائز للأحداث.

القيام بدورات تدريبية للمكونين والمربين لتطوير إمكاناتهم ومهاراتهم في التعامل مع الأحداث.

* فتح المجال للجمعيات والمنظمات للمشاركة في إعادة اندماج السجين أثناء مدة العقوبة

وبعدها.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الادمج الاجتماعي للمساكين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الادمج الاجتماعي للأحداث سطيف

* قائمة المراجع:

أولاً: الكتب:

1. أحسن مبارك طالب، العمل الطوعي لنزلاء المؤسسات الإصلاحية، ط1، أكاديمية نايف العربية للعلوم الإنسانية، الرياض، السعودي، 2000 .
2. إسحاق إبراهيم منصور، موجز في علم الإجرام وعلم العقاب، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1991.
3. جلال ثروت، الظاهرة الإجرامية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997.
4. خليفة محروس، رعاية المسجونين والمفرج عنهم وأسرههم في المجتمع العربي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 1997.
5. عباس أبوشامة، جرائم العنف وأساليب مواجهتها في الدول العربية، ط1، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2003.
6. عبد الله بن ناصر السدحان، الرعاية اللاحقة للمفرج عنهم في التشريع الإسلامي والجناي المعاصر، ط1، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 2006.
7. عبد الله حسين الخليفة، البناء الاجتماعي والجرائم المستحدثة. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 1998.
8. علي عبد القادر قهوجي وفتوح عبد الله الشاذلي، علم الإجرام والعقاب، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 1998.
9. فؤاد السعيد، سوسيولوجيا الجريمة في الوطن العربي، المنتدى للدراسات والنشر، القاهرة، مصر، 1994.
10. فوزية عبد الستار، مبادئ علم الإجرام والعقاب، ط5، درا النهضة العربي للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1985.
11. محمد شلال العاني، علي حسن طوالبه، علم الإجرام والعقاب، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان، 1998.
12. محمد صبحي نجم، المدخل إلى علم الإجرام وعلم العقاب، ط1، دار الثقافة، عمان، الأردن، 1998.
13. نظير فرج مينا، الموجز في علم الإجرام والعقاب، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1993.

د. محمد أمين قرواني دور المؤسسات العقابية في الإدماج الاجتماعي للمساكين
الدراسة الميدانية بمؤسسة إعادة الإدماج الاجتماعي للأحداث سطيف

ثانيا: المجلات والجرائد:

1. وزارة العدل، المديرية العامة لإدارة السجون وإعادة الإدماج، مجلة رسالة الإدماج، العدد الثاني، الجزائر، أوت 2005.
2. هلال، ناجي محمد سليم، العنف في السجن: دراسة اجتماعية علي عينة من السجناء، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 18، العدد 36، رجب 1424 هـ / أكتوبر 2003.
3. زبير فاضل، تنصيب المصالح الخارجية لإعادة الإدماج قريبا، جريدة الشروق، العدد، 2006/12/02، الجزائر.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

1. منصور عبد الله الروقي، المشاركة الأهلية التطوعية ومدى تكاملها في مجال الرعاية اللاحقة، أطروحة (ماجستير)-جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الإدارية، السعودية، 1995.
2. غازي رحيمي أحمد الجهني، اتجاهات المجتمع السعودي نحو السجناء المفرج عنهم، أطروحة (ماجستير)-المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، المعهد العالي للعلوم الأمنية، قسم العلوم الاجتماعية، السعودية، 1994.

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

بقلم: د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري

□ امعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2

ملخص:

اتجهت المجتمعات الحديثة ومنها المجتمع الجزائري نحو التنمية والتحديث، مما أدى إلى بروز العديد من الانعكاسات التي مسّت جميع أنساق البناء الاجتماعي فيها ولعلّ أهمّها الأسرة، هذه الأخيرة التي تعتبر واحدة من أهمّ دعائم هذا البناء، والتي تأثرت بتلك التحوّلات. وتغيّر مفهوم السلطة الوالدية وأصبح شكلا من أشكال التملك، ثمّ نوعا من أنواع الولاية التي توظّف من طرف الوالدين مما يسهم في الحدّ من السلطات التي كان يتمتع بها الوالدان، وتستجيب هذه الأخيرة لحالات يحددها القانون، وبالتالي أصبح القانون يوقع عقوبات على الوالدين في حالة إلحاق الأذى بالأبناء، مما يُضعف سلطة الأب مثلا على أبنائه. كما أصبحت العلاقة بين الأبناء والآباء أكثر ميولا للديمقراطية منه إلى التسلّط والقهر، فازدادت حرّية الأبناء في تقرير شؤونهم الذاتية المتعلقة بمختلف جوانب حياتهم الشخصية (دراسة، عمل، زواج....).

ومن هنا تأتي هذه الورقة البحثية لمعالجة الموضوع من منظور سوسيولوجي في محاولة لكشف وتفسير الانعكاسات وتجليات مختلف هذه التغيرات على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية.

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

تمهيد:

شهدت المجتمعات الحديثة ومنها الجزائري تحولات عديدة، مما جعلها تعاني من آثار كثيرة ومشكلات وخيمة، ما انعكس على أنساق البناء الاجتماعي بالسلب ومنها الأسرة. هذه الأخيرة التي تعتبر من بين أهم دعائم هذا البناء، والتي تلقت تلك التأثيرات. فما كان يصلح لحياة البارحة لا يصلح لحياة اليوم ونخص بالذكر السلطة الوالدية، التي أسالت الكثير من الحبر خاصة فيما تعلق بعلاقة الوالدين بأبنائهم، خروج المرأة للعمل، تفكك الروابط الأسرية...

فقد تغير مفهوم السلطة الوالدية وأصبح شكلا من أشكال التملك، ثم نوعا من أنواع الولاية التي توظف من طرف الوالدين مما يسهم في الحد من السلطات التي كان يتمتع بها الوالدان، وتستجيب هذه الأخيرة لحالات يحددها القانون، وبالتالي أصبح القانون يوقع عقوبات على الوالدين في حالة إلحاق الأذى بالأبناء، مما يضعف سلطة الأب مثلا على أبنائه. كما أصبحت العلاقة بين الأبناء والآباء أكثر ميولا للديمقراطية منه إلى التسلط والقهر، فازدادت حرية الأبناء في تقرير شؤونهم الذاتية المتعلقة بمختلف جوانب حياتهم الشخصية (دراسة، عمل، زواج...).

ونسعى في هذا المقال إلى تناول ومعالجة الموضوع من منظور سوسيولوجي في محاولة جادة للإحاطة به، والكشف وتفسير الانعكاسات وتجليات مختلف هذه التغيرات على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية؛ من خلال محاولة الإجابة على التساؤل المحوري التالي: ما هي مظاهر التغير في الأسرة الجزائرية وانعكاسات ذلك على السلطة الوالدية فيها؟

1- قراءة في المفاهيم:

تكتسي المفاهيم أهمية بالغة في البحوث والدراسات السوسيولوجية، ولهذا السبب وجب ضبطها لتفادي اللبس الذي قد يكتنف استخدامها من بحث أو دراسة لأخرى، وسنحاول أن نتطرق إلى أهم المفاهيم التي وردت في هذه المداخلة، سواء تلك التي لها علاقة مباشرة بالموضوع أو ورد وتكرر استخدامها.

1-1- التغير الاجتماعي:

أ- لغة: كما جاء في لسان العرب (تغير) الشيء عن حاله أي تحول وجعله غير ما كان عليه، لقوله تعالى: " ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " [الأنفال:53]

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

ب- اصطلاحاً: هو التغير أو التحول الذي يطرأ على أي جانب من جوانب المجتمع خلال فترة زمنية محددة.

ويعرّف بأنه التحوّلات التي تطرأ على بناء مجتمع خلال مدى زمني معيّن وبدرجات متفاوتة الشدّة وقد يطال بناء المجتمع بأسره كما هو الحال في (الثورات) أو قد ينحصر في نظام اجتماعي معيّن: أسرة ، دين ...

عرّفه حسن الخولي: "هو تلك العملية المستمرة والتي تستمر على فترات زمنية متعاقبة تم خلالها حدوث اختلافات أو تعديلات معينة في العلاقات الإنسانية أو المؤسسات أو التّنظيمات أو الأدوار الاجتماعية. وعرّفه صمويل كوينج بأنه: "التغير الاجتماعي تحولات تحدث في أنماط الحياة الإنسانية والتغير طابع مميّز لجميع المجتمعات وهذه التحوّلات ترجع لعدة عوامل إقليمية وخارجية".

أما إجرائياً فالتغير هو: عملية ديناميكية مربوطة بفترات زمنية متعاقبة، وهذا التغير غير مقصود بل هو خارجي وتترتب عنه تغيّرات في أنماط الحياة الإنسانية وفي أنماط السلوك والعلاقات والمؤسسات والأدوار...

2-1- السلطة الوالدية:

تعرّف بأنّها: "تلك القوى التي تتحكم في سلوك الفرد منذ ولادته من حيث المنح أو المنع، الثواب أو العقاب، وتبدو أهميتها في تكوين صورة عامة عن السلطة فيما بعد"¹. ومن هذا التعريف يتضح أنّ السلطة الوالدية تتنوع أساليبها بين المنح والثواب والعقاب... والتي من خلالها يمكن تصور صورة السلطة الوالدية.

أما "عبد العزيز خواجه" فيعرّفها في كتابه "مبادئ التنشئة الاجتماعية" بأنّها: "نمط من أنماط التنشئة الأسرية، حيث يمثل المربي (الأب والأم) السلطة"².

وهذا التعريف ركز على اعتبار أنّ السلطة الوالدية نمط من أنماط عملية التنشئة الأسرية داخل البناء الأسري حيث يعبر كل من الوالدين على السلطة.

وهناك من يعرّفها على أنها تلك "السلطة المهيمنة والمسيطرّة المقترنة بالدخل الأسري، من خلال جملة الوسائل والأساليب المستخدمة في عملية التنشئة الاجتماعية"¹.

¹ - لوكيا الهاشمي، بوعجوج الشّافعي: سلطة الوالدين وعلاقتها بالصراعات المختلفة لدى المراهقين في الوسط المدرسي، دار الأيام للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص 46.

² - عبد العزيز خواجه: مبادئ التنشئة الاجتماعية، دار العرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 64.

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

ويركز هذا التعريف على أن السلطة عملية مقترنة بالسيطرة والهيمنة، المطبقة من خلال وسائل وطرائق يستخدمها الوالدين في تنشئة الأبناء.

مما سبق يمكن الحكم أن: السلطة الوالدية هي عملية ترتبط بالتنشئة الاجتماعية للأبناء، رغم أنها قد تتجلى في أشكال هيمنة وسيطرة على الأبناء خلال مراحل عمرية معينة، ويستخدم الآباء فيها أساليب مثل المنح، الثواب والعقاب...

2- عوامل تغير الأسرة:

هناك جملة من العوامل التي ساهمت وتساهم في تغير الأسرة كبناء اجتماعي أساسي، وكلبنة رئيسة للربط الاجتماعي: من خلال تغير بنائها ووظيفتها الأساسية، ومن هذه العوامل نذكر ما يلي:

1-2- العامل السكاني: يعتبر عامل السكان عامل أساسي في تغير الأسرة مثل كثافة السكان، ومعدلات الولادات والوفيات، الهجرة الداخلية والخارجية، وظاهرة التمدين.

2-2- العامل الإيديولوجي: يتبن لنا بوضوح من خلال ارتفاع مستوى الخدمات والرعاية التي يحصلون عليها الأطفال خصوصا في المجتمعات الأوروبية مثل ألمانيا وبريطانيا.

2-3- العامل الاقتصادي: يظهر من خلال خروج المرأة من دائرة البيت الضيقة إلى مجتمع العمل والإنتاج وما إلى ذلك من دعم اقتصادي للأسرة وللمجتمع.

2-4- العامل الفكري: وهي القوة الفكرية التي تعمل على تغيير النماذج الاجتماعية والواقعية وفقا لسياسة متكاملة تتخذ أساليب ووسائل هادفة وتساندها بتبديرات اجتماعية.

3- مظاهر السلطة الوالدية في الأسرة:

تتعدد مظاهر السلطة الوالدية بتعدد آراء وخلفيات الأسر، إلا أنها تشترك في كونها سلطة والديه تفرض على الأبناء، ويمكن تلخيص مظاهر السلطة الوالدية في النقاط التالية:

- المنح والتقبل: لا تعتمد السلطة الوالدية على أسلوب القسوة فقط، بل السلطة الوالدية أيضا تعتمد على أسلوب المنح أي منح الأبناء لبعض المسؤوليات أو الحريات مقابل نصحتهم وإرشادهم، ومراقبتهم ومحاولة ضبط سلوكياتهم في إطار العرف والقيم المجتمعية.

والتقبل يتم من خلاله تقبل الفرد لذاته، ليتقبله الآخر في الجماعة، فالتنشئة الأسرية تعمل على فرض مبادئ وقوانين تدرج تحت السلطة الوالدية كقوى تراقب الأبناء، حيث يعتمد

¹ - أبقاوة الشيخ: موقف الطالب الجامعي من السلطة الأبوية في العائلة)، رسالة ماجستير في علم

الاجتماع غير منشورة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2009-2010، ص13.

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

على المحاور والمناقشة والإقناع ، والحب على السلوك المقبول اجتماعيا، مما يساعد الأبناء على تقبل ذواتهم واكتشاف قدراتهم ، ونموهم نموا سليما¹.

- القسوة: تعتبر القسوة أحد مظاهر السلطة الوالدية المطبقة على الأبناء والقسوة هي: مجموعة الأساليب التي يتبعها الوالدين لضبط سلوك الأبناء ، أو تعديل اتجاهاتهم الغير المرغوب فيها ، ويتضمن كل إشكال العقاب الجسدي: كالصفع والضرب ، أو المعنوي: كالتهديد أو الشتم ويتسم هذا المظهر بالشدّة المفرطة وعدم إتاحة الفرصة للأبناء في التعبير عن آرائهم أو الدفاع عنها، إذ تولد إحساسا لدى الأبناء بأن السلطة الوالدية تعمل على التهديد والترهيب ، وقد توجه الأبناء إلى مسارات الانحراف لا الضبط والتوافق مع قيم وضوابط المجتمع ككل².

وقد تشكل السلطة الوالدية للأبناء حالة أو مرحلة حرجة في حياتهم، يواجهون صعوبات فيها تؤثر على توافقيهم الاجتماعي خاصة تلك السيطرة والقسوة عبر مراحل نموهم، حيث ينوبان على الأبناء في كل تصرفاتهم أي القيام بما يتوجب على الأبناء القيام به³.

كما قد تشكل عاملا إيجابيا في بعض جوانبها فقد يكون لأسلوب القسوة عاملا في تنمية روح المسؤولية للأبناء وتنمية ذواتهم بشكل صحيح وسليم، فقد تكون للقسوة مظاهر إيجابية في تحقيق السلطة الضابطة.

- العقاب: يعتبر العقاب مظهرا من مظاهر السلطة الوالدية وينقسم العقاب إلى قسمين وهما العقاب المعنوي والجسدي، ويتجسد الأول في الملاحظة الشفوية (الإنداز، التهديد...) أو الرفض فمن ناحية يعمل العقاب المعنوي على إدراك الأبناء لحقائق خفية ، ومن ناحية أخرى قد يعمل العنف المبالغ فيه إلى تحطيم نفسية الأبناء وشعورهم بعدم الرغبة في بذل الجهد أو حتى الاندماج داخل الجماعة، ومنه كسر تلك الضوابط الاجتماعية والأخلاقية ، أما العقاب

¹ - زعيمة منى: الأسرة والمدرسة ومسارات التعلم العلاقة ما بين خطاب الوالدية والتعلّمات المدرسية للأطفال، رسالة ماجستير غير منشورة في علم التربية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2012-2013، ص102.

² - عبد الرحمن بن محمد بن سليمان البليهي: أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالتوافق النفسي)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، 2008، ص68 .

³ - باسمه حلاوة: "دور الوالدين في تكوين الشخصية الاجتماعية عند الأبناء"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، جامعة دمشق، سوريا، 2011، ص68.

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

الجسمي فيترجم أساسا في كل ماله صلة بالجانب الجسمي ويكون مجسدا في: الضرب والألم البدني وهذا النوع لا يحترم إنسانية الفرد¹.

- التدخل في الخيارات المستقبلية للأبناء وحياتهم الشخصية:

"قد يتدخل الآباء في الخيارات المستقبلية للأبناء وهذا كإجبارهم على اختيار تخصص معين، دون وجود رغبة من طرف الأبناء فيه، وهذا كإجبارهم على اختيار تخصص ما مثلا دون وجود رغبة من طرف الأبناء فيه، وهذا ما قد يخلق نتائج سلبية أو إيجابية فقد يكون سببا في فشل الأبناء دراسيا أو التكرار المتواصل أو الغياب مثلا المتكرر، أو قد تكون حافزا إيجابيا والإيمان باختيار الآباء الأنسب للأبناء"².

أما بالنسبة للحياة الشخصية للأبناء فقد تجد سلطة أبوية أخرى متمثلة في التدخل المستمر في لباس الأبناء المظهر الخارجي بصفة عامة وأيضا التدخل في اختيار الأصدقاء، حيث لاتعطى فرصة للأبناء في التعبير عن آرائهم، ما قد يولد مكبوتات داخلية للأبناء حيث ينعدم أسلوب الديمقراطية والحوار ويطغى التسلط والتجبر³.

وقد ينعكس تدخل الوالدين في الحياة الشخصية للأبناء بصورة إيجابية من خلال إتباع أساليب الإرشاد والنصح، خاصة أن الوالدين أكثر حاجة في الحياة وهذا بهدف ضبط سلوك الأبناء من جهة ومن جهة أخرى مساعدتهم على اختيار ما يناسبهم سواء من اختيار تخصص ما أو طريقة لباسهم التي يجب أن تتلاءم والمحيط الاجتماعي وهذا من أجل المحافظة على الأبناء.

5- أسباب وجود السلطة الوالدية في الأسرة:

هناك مجموعة من الأسباب المؤدية للسلطة الوالدية ويمكن تلخيصها في جملة النقاط

التالي:⁴

➤ خبرات الآباء في طفولتهم ونمط تنشئتهم الاجتماعية،

¹ - محمد الشيخ محمود: "أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء الأسوياء والجانحون"، مجلة جامعة دمشق، ع4، جامعة دمشق، سوريا، 2010، ص25.

² - وليد حمادة: "سوء معاملة الأبناء وإهمالهم وعلاقته بالتحصيل الدراسي"، مجلة جامعة دمشق، المجلد26، جامعة دمشق، سوريا، 2011، ص11.

³ - بداوي مسعودة: أساليب المعاملة الوالدية ومشكلات الأبناء المراقبين، أطروحة دكتوراه غير منشورة في علم النفس التربوي، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص34.

⁴ - وفيق صفوت مختار: الأسرة وأساليب تربية الطفل، دار العلم والثقافة، القاهرة، 2004، ص288.

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

- قد تكون الأسرة مؤمنة ببعض الأفكار التي تحاول فرضها على الأبناء، كالامتناع عن إبداء آرائهم أو عن أي أنشطة لا تتماشى مع ما يؤمنون به،
 - عدم إيمان الآباء بمبدأ التشجيع أو الإثابة بل يؤمنون بمبدأ القمع والعقوبة، لأن عدم استخدام العقاب لا يؤدي إلى حدوث الكف المطلوب، فعن طريق هذه العمليات والعقوبات يتسنى تنشئة الأبناء تنشئة صالحة، فهي الضمان الوحيد في نظر الآباء والأمهات،
 - غياب العلاقة الوالدية مع الطفل أو عدم الإدراك بأهمية المرافقة، الوالدية في مراحل نمو الطفل المختلفة،
 - وجود حواجز نفسية وتربوية بين الأولياء والأبناء،
 - التباين في القوة بين الأم والأب،
 - انعدام التواصل بين الأولياء.
- 6- أهمية وأهداف السلطة الوالدية:

تتمثل أهمية السلطة الوالدية في:

"تعتبر السلطة الوالدية ضرورية في عملية التربية وبدونها قد يشعر الطفل أن والديه قد تخليا عنه وتركاه لمصيره لكن لا بد من ممارستها بنوع من المرونة، وذلك من خلال التواصل مع الأبناء خاصة منذ طفولتهم كونهم لا يفهمون السلطة لمجرد السلطة. إن منع الطفل عن فعل شيء دون أن تبرز له أو تشرح له سبب المنع من ذلك، لأن هذا المنع يظل بالنسبة له بدون معنى وبالتالي يدخله في خانة التسلط ولهذا تبرز أهمية السلطة في تجنب إيقاع الطفل في الصراع الداخلي ومحاولة فرض سلطة عقلانية هادفة تضبط كل سلوكيات وأفكار واتجاهات الأبناء"¹.

أمّا فيما يخص أهداف السلطة الوالدية، فيمكن إيجازها:

- تنشيط المدركات العقلية حيث تلعب السلطة الوالدية دوراً أساسياً في إنجاح عملية التربية فتعتبر من أصعب المهام التي قد يتولاها الآباء وتتطلب قدرًا من الصبر والذكاء لكن الإشكالية تكمن في ضبابية مفهوم السلطة وعدم القدرة على احتواء مضامينها الإنسانية والاجتماعية فممارسة السلطة لا يعني أبداً في كل الأحوال تسلطاً وجبروتاً بل يحتاج إلى ذكاء وخبرة فنجاح التربية السليمة أساسها الشعور بالأمن والاستقرار والثقة حتى تساعد في خلق نمو نفسي سليم.

¹ - وفيق صفوت مختار: الأسرة وأساليب تربية الطفل، دار العلوم والثقافة، القاهرة، 2004، ص 288.

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

- بناء علاقات اجتماعية سليمة مبنية على الحذر وحسن الانتقاء¹.
- تنمية الجانب القيادي للأبناء .
- المحافظة على القدرة في تكوين الذات.
- إضافة إلى أنها تهدف إلى :
- تحدد السلطة وتضبط وتقيم سلوكات ومواقف الأبناء تماشياً مع معيار سلوك يكون في العموم معيار مطلق بسلطة عليا.
- خلق صراعات مع الطفل بالبحث عن ثغرات في سلوكاته أو قيمة وتصحيحها.
- يرسخ القيم الإجرائية مثل: احترام السلطة ، احترام العمل ، احترام النظام، احترام العادات.
- يجعل الطفل مسئول على جزء من النظام المنزلي².
- 7- أبعاد السلطة الوالدية:
- البعد النفسي: إن الإفراط في استعمال السلطة الوالدية يترتب عنه: إحساس الأبناء بالعجز، وفقدان توكيدهم لذاتهم وعدم الرضا عنها وصعوبة الإفصاح عن آرائهم، وأفكارهم والتعبير عن ما يريدونه بجرأة كافية لشعورهم الدائم بالخوف من إطار أسري خانق يتميز بأنانية الوالدين وتشدهما في استعمال مصفاة سلوكية تحتجز كل التصرفات العفوية الصادرة من الأبناء ومراقبتهم، وتتبع أخطائهم وتذكيرهم بها في كل مرة وفي الحالات التي يكون الشتم والسخرية وحتى الضرب خاصة من الطرق التي قد تؤدي إلى بعض السلوكات الشاذة كالكذب للإفلات من العقاب .
- إن المجتمع الذي يمارس السلطة العمودية من الأعلى إلى الأسفل تفرض على الأبناء وتتخذ من التأثير والضغط واستعمال القوة منهجا لتحقيق ضبط الأبناء، حيث يشعرون في ظلها بأن حاجتهم مهددة غير مقبولة وأن كيانهم مهدد على الدوام مما يزيد من مشاعر خوفهم، إضافة إلى الخجل ما يزيد من ترددهم ويقلل من ثقتهم بأنفسهم ومبادراتهم لأنها تفتقد العفوية، أيضا التلقائية وتنشأ له مشكلات عصبية وفي الصغر مشاكل مثل التبول اللاإرادي وقضم الأظافر والبدء في الكلام.

¹ - جليل وديع شكور: أمراض المجتمع الأسباب التفسير الوقاية والعلاج، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1998، ص41.

² - المرجع السابق.

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

وإذ كانت السلطة الوالدية في نظر بعض الوالدين تجعل من الابن شخصا مؤدبا ومطيعا وذا أخلاق، فإنه من المهم بين هذه السلوكيات الإيجابية إضافة إلى سلوكيات الخجل والخوف وسهولة الانقياد والشعور بالتبذل العاطفي تجاه الراشدين بصفة عامة والآباء بصفة خاصة، مما يؤدي به إلى اللامبالاة لما يدور حول جوار صعوباته في مواجهة أبسط المشاكل التي تعترضه.

كما قد تولد السلطة المبنية على المراقبة والمنح والثواب تنمية روح المسؤولية والشعور بالنضج الفكري والضبط الذاتي الأخلاقي، حيث يتبنى الطفل معايير أسرته الأخلاقية للإشباع حاجته مثل للحب والتقدير ونيل رضاهم، ثم يتبنى معايير الأسرة أثناء غياب الوالدين وذلك بعد نمو ضميره، فالسلطة الوالدية تحمل في طياتها معايير وقيم ضابطة كما تنمي السلطة الوالدية إحساس الأبناء بنضجهم، وشعورهم بأنهم أشخاص فاعلي نداخل المجتمع لهم أدوارهم الفاعلة¹.

- البعد الاجتماعي: إن السلطة الوالدية تؤثر في كل العلاقات الاجتماعية للأفراد لاسيما الوسط المدرسي حيث تولد نزعة إلى الشعور إما بالانجذاب إلى تكوين علاقات اجتماعية، كعلاقات الرفاق والصدقات، إضافة إلى أنها تهدف إلى بلوغ الضبط الاجتماعي من خلال ضبط الأفراد إضافة إلى تنمية روح المسؤولية والتفكير الهادف وإما العكس، أي التفور من تكوين أو قبول تكوين علاقات اجتماعية حيث تولد نزعة إلى الشعور بالكراهية لكل ما يمثل السلطة والنظام مثل المدرسين والمؤطرين داخل المؤسسة التربوية التي يتمدرس فيها الأبناء ومؤسسة الأسرة، حيث تتحول عند البعض إلى رغبة في الانتقام وإلحاق الضرر بالغير خاصة ممثلي السلطة.

"إن التعود على هذا الأسلوب يجعل الأبناء أشخاصا متمردين متحدين للضوابط الاجتماعية أو سلبيا لا يملك روح المبادرة والطموح ومشاركة الآخرين نشاطاتهم، واهتماماتهم مع تولد مشاعر الإحساس بالنقص والميل إلى الخضوع والطاعة العمياء في غير مناسبة لصعوبة المناقشة والعقوبة في السلوك"².

ففي ظل تربية تتميز بالقسر والإكراه مما تجعل ممن تمارس عليهم السلطة يكفون عن سلوكهم إلى الحد الأقصى لتجنب العقوبة فيكون ساكنا متمردا، أي أنها لا تساعد على تكوين

¹ - لو كيا الهاشعي، بوعجوج الشافعي: مرجع سبق ذكره، ص 64.

² - المرجع نفسه، ص 65.

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

شبكة علاقات صلبة بين الأفراد وقد تؤدي إلى مجموعة من المشاكل. وفي نفس الوقت تكون للسلطة الوالدية دور إيجابي من خلال الإدراك والحذر في اختيار وانتقاء لشبكة العلاقات بكل دقة .

- البعد التربوي: كثيرا ما نلاحظ تشابه الصفات بين الآباء والأمهات والأبناء إلى درجة التطابق في بعض الأحيان وهكذا فإن التنشئة الوالدية المتميزة بأسلوب السلطة سواء بجانبها الإيجابي أو السلبي فما هي إلا إعادة إنتاج نفسها بنفسها بما يشبه عملية استنساخ سلوكي إن صح التعبير فالسلطة الوالدية هي أعمق من مجرد معاملة إنها منظم علائقي له خاصية نموذجية في تنظيم العلاقات الاجتماعية التي هي بدورها بعد من أبعاد الشخصية، وإذا كان العالم "R.Spitz" إذا يثبت أن الأبناء إذا وصلوا إلى مرحلة الرضا يكتسب منظما هاما في العلاقة الغيرية فإن المراهق إذا عرف متى يقول(نعم) ومتى يقول(لا) فإنه يكون قد نجح في اكتساب منظم للسلطة"¹.

إنّ استدخال السلطة في التنشئة الأسرية له علاقة بالتعامل الزمني والمكاني، فقد تكون سابقا أغلب نتائجها إيجابية خاصة في ظل الأسر القديمة والكبيرة عكس ما نشاهده اليوم من تطورات اجتماعية وتكنولوجية وثقافية، قد تعيق السلطة في تحقيق نتائجها الإيجابية وتمحورها في نتائج سلبية تنتج العديد من المشكلات والانحرافات الاجتماعية فعوض أن تكون سلطة ضابطة إيجابية تتحول إلى سلطة ضابطة سلبية، حيث تعتبر السلطة الوالدية القاعدة الأساسية والرئيسية التي تنطلق منها مختلف الأساليب التربوية التي تعمل على تنظيم حاجات الأبناء وإشباعها نحو اكتساب التنظيم الداخلي اللازم لعمليات التكيف الاجتماعي. فالسلطة الوالدية لها دور فعال في توجيه الأبناء نحو إتقان مهارات الاتصال على أسس ومبادئ تتوافق مع قيم الانضباط السلوكي والأخلاقي².

8- النظريات المفسرة للسلطة الوالدية:

يذهب العلماء والباحثون في علم الاجتماع وعلم النفس وعلم التربية كثيرا عن تأثير اتجاهات الوالدين في التنشئة الاجتماعية والأسرية، ومن هذه الاتجاهات نذكر: العقاب والتسامح، والاستغلال، فإذا كانت درجة العدوانية مرتفعة في سلوك الآباء واستعمالهم لوسائل

¹ - المرجع نفسه، ص66.

² - جابر نصر الدين، حمودة سليمة: "السلطة الوالدية وأثرها في بناء شخصية الأبناء"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع1، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2012، ص288.

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

تسلطية في تحقيق ضبط الأبناء، فهذا يؤثر بشكل نموذجي في سلوك الأبناء وعاداتهم، فاستبدادا لأباء في البيت وعدم السماح للأبناء بالتعبير عن ذاته والحرية له في التصرف، قد يؤدي هذا السلوك إلى تصرفات مضادة من الأبناء كخروج الأبناء عن طاعة الوالدين، أو الثورة في وجوههم وعدم الاستجابة لتوجيهاتهم ومنه يمكن التطرق إلى أبرز نظريات وأراء العلماء حول السلطة الوالدية.

1-8- النظرية التفاعلية الرمزية:

تعتبر التفاعلية الرمزية واحدة من المحاور الأساسية التي تعتمد عليها النظرية الاجتماعية في تحليل الأنساق الاجتماعية، ظهرت هذه النظرية من خلال النمو المبكر لعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي في الكتابات الخاصة لـ "كولي" و "جورج ميد"، فقد طور "كولي" مفهوم الذات المنعكسة كأن ينظر الفرد إلى المرأة وهي التي ستعكس له صورته¹.

وعليه جاء في كتاب "فايز الصباغ" أن العالم "lakan" يذهب إلى أن السلطة الوالدية كانعكاس للتنشئة الاجتماعية وأن مفهوم السلطة الوالدية يرتبط بالنظام الرمزي الذي يعطي أساسا القانون الرمزي للأسرة، عن طريق التوحيد بأحد الوالدين أو كلاهما واكتساب الذات وهويتها وتطوير استقلالية الفرد، فيكتسب الطفل النظام نتيجة تفاعله المستمر مع أسرته التي تزوده بالذات الأخلاقية عن طريق التوحيد بأحد الوالدين فيتوحد سلوك البنات مع أمها فتقلد لا شعوريا لأنماط سلوك أمها ومثلها وتقمص سماتها الشخصية، وكذلك يتوحد الابن مع قيم أبيه وأنماط سلوكه وسماته الشخصية فالأسرة ما هي إلا امتدادا للثقافة السائدة التي تساعد الفرد على تحديد هويته قيم إكساب الفرد قيم معينة يسير في إطارها والتي تعمل على تطوير ذاته².

ومن خلال نظرية التفاعل الرمزي يتضح لنا أن السلطة الوالدية، عبارة عن تفاعلات من رموز ولغة وأشارات والتي تعكس لنا صورة التنشئة الاجتماعية للوالدين والتي يتأثر بها الأبناء.

2-8- نظرية التحليل النفسي:

تذهب نظرية التحليل النفسي لموقف الأفراد من السلطة، فإننا نرى بداية أن السلطة عملية داخلية تتمثل في الأنا الأعلى، الذي يتكون من دمج الفرد في السلطة الوالدية في بداية

¹ - فادية عمر الجولاني: علم الاجتماع التربوي، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، 1997، ص 125.

² - أنتوني غنندز: علم الاجتماع، تر: فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص 76.

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

حياته ثم دمج فئات السلطة فيما بعد ومن أبرز أفكار نظرية التحليل النفسي في السلطة الوالدية نذكر:¹

➤ كل إنسان بحاجة إلى سلطة تضع له حدودا لكي يتمكن من ضبط ذاته وضبط وتنظيم حاجاته البدائية ثم السلطة الاجتماعية.

➤ كما طرح "فرويد" من خلال كتابه "الأنا والهو" سنة 1920 فكرة أساسية متجسدة في وصف الشخصية كالنظام يتكون من ثلاث عناصر هي: الأنا والهو والأنا الأعلى كإجابة لسؤال طرحه: كيف يكتسب الطفل الضبط الاجتماعي؟ حيث كانت بداية الإجابة الحديث عن السلطة الوالدية .

➤ يعتبر الأنا الأعلى هو السلطة الداخلية التي تمثل القيم والعادات والقوانين الاجتماعية حيث يقوم الأنا الأعلى بوظائف العقاب والضبط في حيث يعبر الأنا عن الضمير، أما الهو فيمثل الرغبات والغرائز .

أما بالنسبة لـ "kohut" فيرى أن إدماج السلطة الوالدية أو التوحد بأحد الأبوين يؤدي إلى التفاضل واكتساب الذات هويتها النوعية فالأم الآن كموضوع للتوحد والاستقلالية المستقبلية، لذا فإن الموقف الأوديبى يعلمنا الدرس وهو أن من يرعانا لا يحررنا ومن يحررنا لا يراعينا لكنه يسيطر علينا، وهذا هو نتاج الهوية المسيطرة في ثقافتنا للرجل المسيطرة وللمرأة الاعتمادية حيث يتم إستدماج أحد الأبوين كنموذج تحتذى به ذات الطفل، ومن هنا يعنى بالحل الأوديبى التالي:

➤ أن نتفاضل أو نبقى معتمدين .

➤ أن نتجه للواقع أو نبقى أطفالا.

➤ أن ننكر احتياجاتنا أو نستبعدها².

وتوضح لنا هذه النظرية أننا نولد في العالم وتولد معنا السلطة الوالدية والسلطة بصفة عامة لتضبط لنا حياتنا الاجتماعية، وفق أطر اجتماعية ومذهبية ومعايير... أي ضمن ثقافة معينة.

¹ - عامر مصباح: التنشئة الاجتماعية والانحراف الاجتماعي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011، ص 77.

² - المرجع نفسه، ص 78.

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

3-8- نظرية "بورن" و"إكستراند":

تتلخص أفكار هذان العالمين في فكرة أساسية مفادها أن الاتجاه التسلطي للوالدين داخل الأسرة يحددان القسوة والسلوك التسلطي الممارس من قبل الوالدين على الأبناء من أجل تحقيق الضبط الاجتماعي، أي كسلطة ضابطة، إلا أنها تسبب أذى كبير على الأبناء من خلال ما يمارس عليهم من عقاب فيزيقي أو نفسي، وهما يؤثران بشكل أو بآخر على مراحل نمو الأبناء وما ينعكس على هذه السلطة مستقبلا على المستوى الاجتماعي والتربوي سلبا إذ لا بد من إيجاد حلول مبكرة تتناسب وهذا الموقف إذ لا بد من السلطة الوالدية أن تكون سلطة عقلانية ضابطة، لا سلطة قاهرة¹.

وتؤكد هذه النظرية أنّ السلطة الوالدية تمارس لأجل تحقيق الضبط الاجتماعي لكنها في نفس الوقت تسبب أذى على الأبناء وهنا يجب استعمال سلطة تعود بالنفع على الأبناء لا بالضرر.

4-8- نظرية التوحد بالنموذج:

تذهب هذه النظرية إلى رسم هذه النظرية صورة للفرد على أساس أنه فاعل، بالإضافة إلى أنه متفاعل وتؤكد أن التعلم يحدث نتيجة الخبرات المباشرة، وأن تعلم السلوك يأخذ مكانة عن طريق ملاحظة نماذج من الآخرين فهي تنطلق وفقا للنموذج والتقليد فالطفل يلاحظ أداء الشخص النموذج ثم يسلك نفس السلوك وبنفس الطريقة، عن طريق التقليد فالطفل يمكنه أن يتعلم تقريبا من خلال الملاحظة، ويحتاج أن يرى النموذج وهو يؤدي من خلاله يستطيع تعلم مختلف أنواع السلوك، وبما أن السلطة داخل المنزل تمارس من قبل الآباء والأمهات على أبنائهم فقد أشار بعض الباحثين أن اختلاف جنس الوالدين له انعكاس على أسلوب ممارسة كل منهما للسلطة داخل المنزل².

ترى هذه النظرية أنّ الطفل ينشأ عن طريق التقليد فيرى نموذج السلطة الممارس من طرف الوالدين حسب طبيعة هذه السلطة ايجابية أم سلبية ، فهي تنعكس على الطفل وعلى تصرفاته.

¹ - عامر مصباح، مرجع سبق ذكره، ص98.

² - حمودة سليمة: التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وانعكاساتها على السلطة الوالدية كما يدركها الأبناء في الأسرة الجزائرية، أطروحة دكتوراه غير منشورة في علم النفس الاجتماعي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2013/2014، ص135.

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

9- مظاهر التغير في الأسرة الجزائرية وانعكاسات ذلك على السلطة الوالدية فيها:

انعكست التغيرات الاجتماعية الثقافية والاقتصادية الشاملة التي شهدتها المجتمعات الحديثة عموماً والمجتمع الجزائري بشكل خاص، نتيجة: التحضر، والتصنيع، والتحديث...، على الأسرة الجزائرية؛ فأحدثت فيها تغييرات جذرية هامة¹، ولعل أهم تلك التغييرات ما يأتي

**** تفكك العلاقات القرابية:** لقد أضعف التصنيع الروابط القرابية ذلك أن الوظائف عزلت عن الأسرة ونقل الإنتاج من البيت إلى المصنع، فأصبح الولاء للمصنع بدلاً من العائلة الممتدة، بالإضافة إلى تفكك العلاقة القرابية وضعف الزواج من غير الأقارب وقلة الزيارات لهم... الخ. وبالتالي ساهم ذلك في تقزيم السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية، على الأقل في المناطق الصناعية (الولايات التي تم توطئ المصانع فيها في السبعينيات من القرن الماضي).

**** ظهور النزعة الفردية:** أدت النزعة الفردية إلى حراك اجتماعي واسع نحو مراكز العمل الصناعي، ما أدى بدوره إلى تضيق دائرة الاهتمام لدى العامل وتركيزها على أسرته النووية والابتعاد عن الأسرة الممتدة، إضافة إلى انتشار التعليم والديمقراطية...، وفي ضوء ذلك تغيرت السلطة التقليدية للأسرة الممتدة بالتقليص، فلم يعد لها دور يذكر في مختلف المسائل الاجتماعية كالزواج من الاختيار إلى العرس، وأصبح تواجد الآباء في هذه المسائل تواجد صوري فقط، ويأتون لترسيم ما تم تقريره من الأبناء فقط...

**** انخفاض معدلات الخصوبة:** إن التحول الذي مس العمل الزراعي وتراجعها في مقابل العمل الصناعي والخدمات، التي لا تحتاج لكثافة عمل، أدى إلى تراجع في عدد النمو الديمغرافي في المجتمعات الصناعية، بدعوى عدم الحاجة لعدد كبير من الأبناء، وكذا تأخر سن الزواج نتيجة النزعة الفردية -التي تحدثنا عنها آنفا-، وهذا أيضاً أدى إلى تدهور وتراجع السلطة الوالدية على الأبناء، فهم لا يستطيعون فرض وجهة نظرهم على الأبناء في هذه القضية، وتراجع دورهم في التأثير على الأبناء نتيجة وجود مبررات موضوعية لدى الأبناء في التخفيف من الخصوبة وإنجاب الأبناء نتيجة عدم الحاجة إليهم في الحياة، فهم عبء أكثر منهم إضافة في ظل التغيرات الكبيرة والمتسارعة التي شهدتها المجتمعات العربية والمجتمع الجزائري المعاصر.

**** التغير في القيم والعادات:** أدت مختلف التطورات والتغيرات التي شهدتها المجتمعات الصناعية (الحديثة والمعاصرة) إلى: تأخر سن الزواج، تغير الاختيار الزوجي وطهور حرية الاختيار، تقبل العمل المأجور للمرأة، فسح المجال أمام البنات للتعليم... وكل هذه العوامل

¹ - شهير أحمد سعيد، علم الاجتماع الأسري، ددن، مصر، 2009، ص ص 28-29.

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

تكاثفت للحدّ من السلطة الوالدية على الأبناء، فلم يعد أمامهم مجال كبير للتدخل في حياة الأبناء، أو فرض قيود عليهم أو فرض رقابة على حياتهم، مع محدودية التوجيه... عكس ما كان شائعاً في الأسرة الممتدة.

كما أنّ توارث الحرفة أو عمل الأب من الأبناء لم يعد قائماً ليبقى خياراً قد يقبله الأبناء أو يرفضونه، خاصة في المجتمعات الصناعية أو المجتمعات المركّبة، فأصبح الأب أو الأم عاجزين عن إقناع الأبناء بالمحافظة على إرثهما الحرفي في مقابل الزخم والحوافز والامتيازات الكثيرة التي يوقرها العمل الصناعي... وبالتالي تراجع السلطة الوالدية في هذا الجانب أيضاً.

****** تغيير أدوات أفراد الأسرة: كان الأب يشتغل في الزراعة، ويكون في معظم الأوقات قريباً من أبنائه، والأمّ يعتني بالبيت وتعمل في محيطه، والكلّ له دور في التنشئة الاجتماعية للأبناء، إضافة إلى الأعمام، العمّات والجدّة والجدّة، وحتى الأخوال والخالات... ومع التغيّر الذي طرأ على الأسرة في بنائها وتحولها من ممتدة إلى نووية، ومع تغيّر العمل من الزراعي إلى الصناعي وانتشار قيم الرأسمالية (الحرية، الفردانية، المنفعة...) وخروج المرأة للعمل ومزاحمة الرجل... واستقلالية الأسرة النووية عن الأسرة الممتدة، كلها عوامل ساهمت في تراجع دور الوالدين في التنشئة الاجتماعية للأبناء.

فتداخلت أدوار الوالدين، واهتزّت مكانتهما في نظر أبنائهم، وتراجعت سلطتهما على الأبناء نتيجة انشغالهما بالعمل خارج المنزل، ومساهمة المرأة بفعالية في الأعمال الخارجية مثلها مثل الرجل... وبالتالي إشراكها في تصريف شؤون الأسرة، أدّى إلى اختلاط المكانات، وبالتالي زعزعت السلطة الوالدية للأب بالدرجة الأولى.

إنّ انشغال المرأة بالعمل خارج البيت أدّى بها إلى الاستعانة بالخدمات تارة أو بدور الحضّانة وغيرها من المؤسسات الاجتماعية لرعاية وتنشئة وتربية أولادها، وهو أمر أضعف سلطتها على أبنائها، كما أنّ ذلك بدوره جعل النساء العاملات يرفضن تكوين أسر كبيرة العدد، باعتبار أن الأطفال يشكلون عبئاً وقد يؤدّي الانشغال عنهم إلى انحرافهم وإلى ظهور مشكلات اجتماعية الوالدين في غنى عنها نتيجة انشغالهم الكبير في المجتمع المعاصر.

****** انتشار الديمقراطية: لقد حلّت الديمقراطية محلّ التسلّط، فحلّت قيم الديمقراطية بين الأزواج، وساد التعامل الديمقراطي بينهم وبين الأبناء، فأصبح الآباء يعتقدون برأي أبنائهم في مختلف شؤون حياتهم، مثل: إقامة العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، اختيار نوع الدراسة التي

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

يريدونها، اختيار المهنة، الاختيار الزوجي... وهو أمر وسّع دائرة السلطة للأبناء وقلّصها بالنسبة للآباء.

**** انحسار أهمية كبار السن:** كان كبار السنّ في الأسرة الممتدة يلعبون دور الحكماء الفلاسفة في الدولة اليونانية، فهم ينقلون الخبرة والتجربة لأجيال الأسرة (الأبناء)، وكانت لهم سلطة كبيرة عليهم؛ فهم يقدّمون النصح ويوجّهون أبناءهم بكلّ حزم، فكانوا يحضون بالاحترام والتقدير ولهم مكانة مرموقة لدى مختلف أعضاء الأسرة الكبيرة؛ إلا أنّ التحوّلات التي شهدتها المجتمع الجزائري والتحوّل نحو الأسرة النووية، أخذت سلطتهم تتحسر ويتراجع دورهم وتتضاءل مكانتهم.

كما لا يفوتنا أن نذكر عوامل أخرى في التغيّر التي أدت أو ساهمت في تغيّر السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية، منها: الطلاق، الفقر، صراع الأجيال والهوة بين جيل الآباء وجيل أبنائهم، مجال السكن وحجم الأسرة، ارتفاع المستوى التعليمي للأب وللأم، وسائل التثقيف، استخدام الأدوات التكنولوجية الحديثة والإقبال على التجديدات...

خلاصة:

إنّ ما شهدته المجتمع الجزائري من محاولات للنهوض به، من خلال العمل على جعله مجتمعاً صناعياً من جهة، ودعاوى تحديثه من جهة أخرى، إلى جانب النهضة المنشودة التي ما فتئ ينادي بها أصحاب القرار، انعكست سلباً على الأسرة الجزائرية؛ وذلك من خلال ما مسّها من تغيّر وثورة على الموروث الثقافي وحتى على الأعراف... وكل ذلك أثر أيضاً على السلطة الوالدية فيها.

فمن خلال عرضنا لهذا المداخله يتبيّن لنا أنّ السلطة الوالدية التي كانت تعتبر مكسباً تاريخياً وثقافياً للآباء، تمّ توارثه منذ أجيال عديدة، قد مسّه الشك والريب، واهتزّ نتيجة ما يشهده المجتمع من محاولات حثيثة للنيل من الأسرة، باعتبارها اللبنة الأساسية في بناء المجتمع الجزائري.

فالمناداة إلى خروج المرأة للعمل، والديمقراطية، وشيوع قيم الفردانية، وتجاهل أو انحسار دور كبار السنّ في الأسرة الجزائرية، والاستقلالية، والمساواة بين الرجل والمرأة، وكذا ارتفاع المستوى التعليمي والثقافي للآباء والأبناء على حدّ سواء، ومع تضافر عوامل أخرى كالقفر، والصراع بين الأجيال واقتحام التكنولوجيات الحديثة في جميع مناحي الحياة الاجتماعية كان لها أثر بالغ في تراجع وتقلص السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية.

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

ومن هذا المنطلق كان لزاما الأخذ بعين الاعتبار العناية بالأسرة الجزائرية والحفاظ عليها، والعمل على تحسيس الآباء والأبناء على ضرورة التحلي بالعقلانية في التعامل مع مختلف المتغيرات وتأثيراتها عليهم، والرجوع إلى الأصل باعتبار أنّ الجزائر مجتمع مسلم، وتحتل فيه طاعة الوالدين مرتبة هامة، ولها أولوية كبيرة في حياة أعضاء الأسرة المسلمة.

قائمة المراجع:

1. أجقاوة الشيخ: موقف الطالب الجامعي من السلطة الأبوية في العائلة، رسالة ماجستير غير منشورة في علم الاجتماع، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2009-2010.
2. أنتوني غندز: علم الاجتماع ، تر: فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005.
3. باسمه حلاوة: " دور الوالدين في تكوين الشخصية الاجتماعية عند الأبناء"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، جامعة دمشق، سوريا، 2011.
4. بدوي مسعودة: أساليب المعاملة الوالدية ومشكلات الأبناء المراقبين، أطروحة دكتوراه غير منشورة في علم النفس التربوي، جامعة الجزائر، 2008-2009.
5. جابر نصر الدين، حمودة سليمة: "السلطة الوالدية وأثرها في بناء شخصية الأبناء"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع1، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2012.
6. جليل وديع شكور: أمراض المجتمع الأسباب التفسير الوقاية والعلاج، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1998.
7. حمودة سليمة: التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وانعكاساتها على السلطة الوالدية كما يدركها الأبناء في الأسرة الجزائرية، أطروحة دكتوراه غير منشورة في علم النفس الاجتماعي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2013/2014.
8. زعيمة منى: الأسرة والمدرسة ومسارات التعلم العلاقة ما بين خطاب الوالدية والتعلم المدرسية للأطفال، رسالة ماجستير غير منشورة في علم التربية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2012-2013.
9. سمير أحمد سعيد، علم الاجتماع الأسري، ددن، مصر، 2009.
10. عامر مصباح: التنشئة الاجتماعية والانحراف الاجتماعي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011.

د. خديجة شناف / د- مراد بلخيري انعكاسات التغيرات الاجتماعية على السلطة الوالدية في الأسرة الجزائرية

11. عبد الرحمن بن محمد بن سليمان البليهي: أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالتوافق النفسي)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، 2008.
12. عبد العزيز خواجه: مبادئ التنشئة الاجتماعية، دار العرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
13. فادية عمر الجولاني: علم الاجتماع التربوي، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، 1997.
14. لوكيا الهاشي، بوعجوج الشافعي: سلطة الوالدين وعلاقتها بالصراعات المختلفة لدى المراهقين في الوسط المدرسي، دار الأيام للنشر والتوزيع، الأردن، 2014.
15. محمد الشيخ محمود: "أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء الأسوياء والجانحون"، مجلة جامعة دمشق، ع4، جامعة دمشق، سوريا، 2010.
16. وفيق صفوت مختار: الأسرة وأساليب تربية الطفل، دار العلم والثقافة، القاهرة، 2004.
17. وليد حمادة: "سوء معاملة الأبناء وإهمالهم وعلاقته بالتحصيل الدراسي"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، جامعة دمشق، سوريا، 2011.

الرقابة عن طريق تقييم أداء المواد البشرية في المؤسسة

بقلم: ط.د. مال الدين عاشوري

□ امعة محمد لمين دباغين، سطيف 2

ملخص:

تقييم الأداء من المهام التنظيمية التي تركز عليها المؤسسات، لما له من أهمية عملية تسمح للمسير بوضع استراتيجيات التنظيم والتسيير، والخطط التنظيمية، بما يتناسب وخصوصية المورد البشري بالمؤسسة.

تتم عملية التقييم عبر إجراءات ترتيبية، تأخذ شكلا دائريا، وتمارس بشكل شهري أو سداسي أو سنوي، لأهداف عديدة، أبرزها الوقوف على الأداء العملي للعاملين، ومقارنته بالأداء المعياري. لا شك أن هذه العملية التفاعلية تعترضها جملة من العوائق والصعوبات، التي يمكن للقائم على التقييم بالاحتراز منها، تحقيقا للعدالة بين العمال.

ط.د. جمال الدين عاشوري الرقابة عن طريق تقييم أداء المواد البشرية في المؤسسة
تمهيد:

يعتبر تسيير الموارد البشرية من أهم الوظائف الإدارية لتركيزه على عنصر الإنتاج الأكثر أهمية والمتمثل في الفرد، فالنجاح أو الفشل في تحقيق الأهداف التنظيمية، واستمرار نشاط المؤسسة مرهون بمدى التحكم في هذا العنصر، فالنسق التسييري مطلب وظيفي مهم في أي بناء تنظيمي، يتحقق من خلاله التكامل بين الأدوار والمراتب الوظيفية المختلف بالمؤسسات، ويعزز القدرات التنظيمية، ويستقطب الكفاءات التي تمثل المادة الخام بالنسبة للمسير الذي يعمل بعد توظيف الأفراد على التصرف في هذه المادة وفقا للثقافة والسياسة التنظيمية التي تتوافق مع خصوصية الوظيفة والمؤسسة.

إدارة المورد البشرية هي الاستخدام الأمثل للعنصر البشري المتوفر والمتوقع، والاستفادة القصوى من كل فرد في المنظمة باعتباره موردا لديه القابلية للتعلم والتكيف السريعة؛ للاستثمار في مواهبه وطاقاته، وتهدئها عن طريق التكوين لاستعمالها في مجالات متعددة ضمن نشاط المؤسسة، لكن قبل الوصول إلى هذه النقطة تقتضي العملية التسييرية الوقوف على محطات قبلية وبعديّة كالجرد، والتخطيط، والاختيار، والتدريب، والحوافز، والتقييم، وكل ماله صلة بالعنصر البشري.

تقتضي التنمية المستدامة للموارد البشرية من المسيرين بالمؤسسة الاهتمام بكل ما من شأنه التحسين من مستوى الأداء، وذلك من خلال التركيز على التحفيز، والتدريب، والتصميم الوظيفي. إضافة إلى تحديد مستوى أدائهم والاهتمام برفع نسبة التوافق الوظيفي لديهم، وهذا يبني على أساس النتائج التي تسفر عنها عملية تقييم أداء العمال، والتي تعتبر جزءا من عملية التنمية الشاملة والمستدامة للعنصر البشري في المؤسسة، ويقصد بها قياس كفاءة العاملين وتحليل مستويات أدائهم، ويمكن النظر إليها كنظام متكامل يعمل على قياس وإصدار الأحكام وتقييم نتائج تحقيق أهداف أداء الموظف.

أولا: البناء الإشكالي للموضوع:

الاستثمار في المورد البشري هو غاية المؤسسات المعاصرة التي أصبحت تراهن على الإنسان لاعتباره الفاعل الأهم لبناء الدول، وتحقيق الثروة؛ لذلك أنشئت المؤسسات الناشطة في مختلف القطاعات الفلاحية والصناعية والخدماتية، العمومية والخاصة. ومنذ تزايد عدد العمال في المصانع، وكبر حجم المؤسسات، أنشأت هيئة إدارية تهتم بتنظيم شؤون الموارد المادية والبشرية للمؤسسات، فأخذت هذه الإدارة تتطور شيئا فشيئا حتى وصلت إلى الصورة التي نعرف بها الآن.

ط.د. جمال الدين عاشوري الرقابة عن طريق تقييم أداء المواد البشرية في المؤسسة
تشرف إدارة الموارد البشرية على مختلف الوظائف الإدارية كالتخطيط والتنظيم
والتوجيه والاتصال والرقابة والتقييم، وتعتبر هتين الأخيرتين من الوظائف الحساسة والمهمة في
أية مؤسسة كونهما تساعدان في التعرف على الكفاءة العامة للعاملين وضبط سلوكهم، وأوجه
التطور في الأداء.

اهتم علم الاجتماع التنظيم بموضوع الرقابة لاعتبارها عملية اجتماعية، تتم في
خضم التفاعل بين الأفراد (المراقب والمراقب)، وتتأثر بمختلف المتغيرات التنظيمية (حجم
المؤسسة، طبيعة نشاطها، عمرها، الهيكل التنظيمي...) والمجتمعية (ثقافة المجتمع)، ويتم
ممارستها على المستوى التنظيمي لمتابعة وضبط مراحل الأداء، ومراقبة عمليات التسيير.

تكتسب الرقابة التنظيمية أهميتها من المتابعة المستمرة لتطبيق الأوامر التنظيمية،
والتوجيهات التقنية النازلة إلى الأفراد في مختلف المراتب الهرمية بالمؤسسة، فتعدد مراتب
الهيكل التنظيمي يدفع بإدارة الموارد البشرية إلى انتهاج طرق مختلفة للرقابة والتقييم الوظيفي،
كما أن تباين الأدوار الوظيفية يحتم انتهاج نموذج تقييم يراعي هذين العاملين (الهيكل
التنظيمي، وطبيعة الأدوار/ الأداء)، حتى يتسم بالكفاءة والفاعلية، ويحقق العدالة في التقييم.

لكن هل مجرد توفير نماذج التقييم الثابتة كفيل بالوقوف على الأداء الفعلي للأفراد؟
على الرغم من كون الرقابة على الأداء من المهام المحورية بالمؤسسة، إلا أن الفارق عادة
ما يكون في نظام الرقابة المتبع؛ إذ من المؤسسات من تعتمد رقابة سابقة (قبل انطلاق العمل)،
ورقابة متزامنة في أوقات العمل: رقابة دورية، رقابة مفاجئة) ورقابة لاحقة: بعد الفراغ من
العمل. العامل المشترك بين هذه الأنواع الرقابية هو إتاحتها فرصة تقييم أداء الموارد البشرية.
فما هو تقييم الأداء؟ وأين تكمن أهميته بالنسبة للمؤسسة؟ وما هي المراحل التطبيقية التي
يسير وفقها ليعطي الصورة التقديرية عن الأداء؟ وما هي المشاكل التي تعترض تحقيق هذا
المطلب؟

ثانياً: تحديد مفهوم تقييم أداء الموارد البشرية:

تعددت مفاهيم تقييم الأداء بتعدد مجالات الباحثين، ولم يستطع المتخصصون في الإدارة
والمناجمنت الوصول على مفهوم دقيق وشامل لكل الأبعاد النظرية والإجرائية، وفيما يلي عرض
لبعض تعريفاته.

التقييم عند مصطلح الصالح هو: "عملية تحديد (أو تقدير) قيمة الشيء أو كميته
بالنسبة لمعايير محددة أو مدى التوافق بين فكرة أو عمل ما، وبين القيم السائدة. والهدف من

ط.د. جمال الدين عاشوري الرقابة عن طريق تقييم أداء المواد البشرية في المؤسسة التقييم هو الحكم الموضوعي على العمل المقيّم¹. فهنا التقييم لا بد أن يستند إلى قالب معياري ثابت للحكم على الشيء المادي المنجز أو غير المادي (الأفكار والقيم) كما هو موضوع مستقل عن ذات الشخص الذي يجري عملي التقييم دون زيادة أو نقصان.

تقييم الإداء عند زاهد محمد ديري هو: "تقدير كفاءة الفرد بغرض معرفة صلاحيته في القيام بأعباء العمل، ومستوى أدائه لواجباته، ودرجة تعاونه مع زملائه في جماع العمل، وسلوكه نحو المتعاملين معه، ومدى توفر القدرات لديه لتحمل أعباء أعلى مستقبلاً أو هو قياس كفاءة الفرد على أساس الأعمال التي أداها خلال فترة معينة، وتصرفاته، وسلوكه مع من يعملون معه في جماعة العمل"². فعملية التقييم حسب هذا التعريف تستوجب المتابعة الدائمة للعامل حتى يقف المسؤول المباشر على التقدير الواقعي للعامل من الناحية الشخصية والفنية والتفاعلية، للتحقق من مدى توافق مؤهلاته مع المنصب، وإمكانية ترقيته لمواجهة مسؤوليات أعلى في المستقبل.

يتقارب التعريف السابق مع تعريف شعلان الشمري الذي يرى بأن تقييم الأداء هو: "عملية إصدار حكم عن أداء وسلوك العاملين في العمل، ويتربط على إصدار الحكم قرارات تتعلق بالاحتفاظ بالعاملين أو ترقيتهم أو نقلهم إلى عمل آخر داخل المنظمة أو خارجها أو تنزيل درجتهم المالية أو تدريبهم أو تنميتهم أو تأديهم أو فصلهم والاستغناء عنهم"³. فالملاحظ من هذا التعريف هو إحاطته بالغاية العملية من عملية التقييم.

نظام تقييم الأداء هو مجموعة من الأسس والقواعد والضوابط التي تستخدم من أجل تقييم أداء وكفاءة الموارد البشرية في العمل؛ حيف في ضوء نتائج التقييم يجري تعويض ومكافأة المجدين"⁴.

تقييم الأداء "نظرة متعمقة للنتائج الفعلية بما لها من مقارنات وعلاقات مستنتجة ومستنبطة، تساعد في تحديد ومعرفة فرص التطوير تقويتها، وتحديد الإيجابيات لدعمها بالمقارنة بالنتائج المخططة، مع الأخذ في الاعتبار أن نتيجة تقييم الأداء سواء كانت بالإيجاب أو

¹ - مصطلح الصالح، الشامل: قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط1، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 1999، ص198.

² - زاهد محمد ديري، الرقابة الإدارية، ط1، دار المسيرة، الأردن، 2011، ص56.

³ - شعلان الشمري، مفاهيم في الإدارة، المملكة العربية السعودية، 2012، ص89.

⁴ - عمرو صفى عقيلي، إدارة الموارد البشرية المعاصرة: بعد استراتيجي، ط1، داروائل، الأردن، 2005، ص18.

ط.د. جمال الدين عاشوري الرقابة عن طريق تقييم أداء المواد البشرية في المؤسسة بالسلب لا بد وأن تكون لها خطة عمل بهدف التغذية العكسية والرقابة، لتكون خلفية تاريخية تفيد الإدارة في اتخاذ القرارات"¹.

تقييم الأداء إذن عملية اجتماعي تفاعلية، تتم بين فردين أو أكثر، يتم بموجبها تسجيل الأداء العملي عن طريق ملاحظات التقييم الميدانية أو المقابلات التقييمية أو نموذج التقييم أو الاستناد إلى التقارير الرقابية لمقارنته مع الأداء المعياري، ثم تقديم الحصيلة الأدائية الشهرية أو السداسية أو السنوية بلغة رقمية أو إنشائية دقيقة وواضحة، تسهل من عملية اتخاذ القرار.

ثالثاً: أهمية تقييم الأداء:

1. أهمية تقييم الأداء بالنسبة للفرد:

يستفيد الفرد من نتيجة تقييم أدائه في أنها ترشده إلى مدى نجاحه أو فشله في أداء مهام عمله المكلف بها في جماعته أو هو الضوء الذي يسترشد به في تحديد اتجاهه نحو التقدم أو التأخر. ففي حال تقدم أدائه فإنه يعلم أسباب هذا التقدم، فيعمل على الاستمرار على نفس النهج، ويسير على نفس السلوك، في حال انخفاض أدائه فإنه يعلم أيضاً الأسباب التي كانت وراء هذا الانخفاض، وبالتالي يعمل على تجنبها مستقبلاً، ومحاولة الابتعاد عن السلوك الذي يقلل من كفاءته من جهة نظر قائده².

الحكم على مدى فعالية الاختيار، فقرار اختيار فرد وتعيينه في عمل معين يفترض أن أداء هذا الفرد المختار لهذا العمل أكثر فعالية من أداء أولئك الذين لم يقع الاختيار عليهم، ما يشيع العدالة التنظيمية في أوساط العمال، ويزيد من ولائهم للتنظيم.

2. أهمية تقييم الأداء بالنسبة لقسم الموارد البشرية:

يتيح تقييم الأداء لمسؤول الموارد البشرية التعرف على الأداء الفعلي للمصالح والوحدات والفروع، وبالتالي رسم التوجهات والسياسات كالترقية والزيادة في الرواتب أو إدخال تكنولوجيات جديدة³.

¹ - محمود عبد الفتاح رضوان، تقييم أداء المؤسسات في ظل معايير الأداء المتوازن، ط1، المجموعة العربية للتدريب والنشر، مصر، 2013، ص11.

² - زاهد محمد ديري، المرجع السابق، ص- ص56-57.

³ - محمود عبد الفتاح رضوان، المرجع السابق، ص14.

- ط.د. جمال الدين عاشوري الرقابة عن طريق تقييم أداء المواد البشرية في المؤسسة
- الكشف عن الاحتياجات التدريبية: يكشف تقييم الأداء عن مجالات النقص في المعلومات والمهارات اللازمة للأفراد بناء على سائر ما تسفر عنه نتائج التقييم.
 - إعادة النظر في سياسات وأساليب اختيار الأفراد: تكشف نتائج تحليل وتقييم الأداء عن أوجه القصور في المصادر التي تلجأ جماعة العمل إليها للحصول على الأفراد المطلوبين¹.
 - تخطيط الموارد البشرية فالمعلومات المتوفرة من خلال عمليات التقييم تعد مدخلا هاما لإعداد السجلات الواقعية لتصنيف العمالة بالمؤسسة، والتي يجب أن تظهر بدورها الملامح والسمات الرئيسة للقوى العاملة وتقدير متطلبات المستقبل.
 - إعادة صياغة البناء التنظيمي، فتقييم الأداء يسمح بإعادة توزيع العمالة مما يساعد على التجديد المستمر لهيكل التنظيم.
 - اتخاذ قرارات الزيادة في الأجور والترقيات وإنهاء الخدمات ومنح العلاوات، والمكافآت التشجيعية والحوافز.
 - برمجة حصص التدريب لتدارك النقص المسجل في الأداء.
 - تعديل سلوك واتجاهات الأفراد عن طريق استخدام تقييم الأداء.
 - يؤدي تقييم الأداء الممارس على أسس موضوعية وعادلة إلى رفع الروح المعنوية للعاملين بالمنظمة.
 - إحساس العاملين بالمسئولية، فإدراكهم بان نتائج أعمالهم وسلوكهم ستكون موضع تقييم من قبل مسؤوليهم يؤدي إلى دفعهم لبذل أقصى جهودهم.

رابعا: أهداف تقييم الأداء:

- زيادة القيمة المضافة والكفاءة والفعالية التنظيمية؛ حيث أن القيمة المضافة تعبر عن ناتج طرح المدخلات من المخرجات، والكفاءة هي المخرجات الفعلية التي تم إحرازها منسوبة إلى المخرجات القياسية المتوقعة، والفعالية هي درجة تحقق الأهداف التنظيمية²، وتحقيق هذه المتغيرات في التنظيم تتطلب المتابع والتقييم الدائمين.

¹ - زاهد محمد ديري، المرجع نفسه، ص 57.

² - رضوان محمود عبد الفتاح، المرجع السابق، ص 15.

ط.د. جمال الدين عاشوري الرقابة عن طريق تقييم أداء المواد البشرية في المؤسسة
 ➤ تفادي المحسوبية بتوحيد الأسس التي تتم الترقية بناء عليها أو زيادة الأجور، وتوحيد
 أسس الفصل وتوقيع الجزاءات، وتبين كل هذا للعمال باختلاف مراتبهم المهنية، حتى يرتفع
 مستوى الرضا المهني، وتزيد ثقتهم في القواعد والإجراءات التنظيمية السائدة، فترتفع بذلك
 مردوديتهم.

➤ القياس الموضوعي للفوارق بين الوضعية الحالية غير المرضية وبين الوضعية المتوقعة، كما
 يقيس الفوارق بين النتائج المنتظرة والنتائج المتحصل عليها، ومن خلال هذه النتائج يتم تقييم
 نشاط العمل في منصبه¹.

➤ تنمية المنافسة بين الأفراد وتشجيعهم على بذل مجهود أكبر حتى يستفيدوا من فرص
 التقدم المفتوحة أمامهم، من ترقية أو نقل داخلي أو الحصول على المكافآت التشجيعية
 والعلوات. فالمسار التقييمي الشفاف يشعر العمال بجدوى التميز في الأداء الذي تكفله طرق
 التقييم المستعملة في المؤسسة.

➤ تشجيع المنافسة بين الأقسام المختلفة لزيادة إنتاجيتها، وتدعيم روح الفريق.
 ➤ معرفة مدى مساهمة العاملين في تحقيق أهداف المنشأة من خلال تقييم أداء العاملين
 وربطه بتقييم أداء المؤسسة².

➤ تسهيل تخطيط القوى العاملة عن طريق معرفة الأفراد الذين يمكن استيفادهم من التدرج
 الوظيفي مستقبلا.

➤ معرفة الأفراد الذين يحتاجون إلى عناية خاصة أو تدريب مميز لتحسين كفاءتهم.

➤ تحقيق الكفاية الإنتاجية والمحافظة عليها.

➤ مساعدة المشرفين المباشرين على تفهم العاملين تحت إشرافها نتيجة التفاعلات اليومية،
 وتحسين الاتصال في اتجاهاته المختلفة بينهم مما يساعد على تقوية العلاقات الإنسانية بين
 الطرفين، وزيادة التعاون بينهم ولتنمية قدرات الأفراد للاستفادة من فرص التقدم.

¹ - محمد مسلم، تنمية الموارد البشرية: دعائم وأدوات، تقديم: عبد الكريم بن شريف، د. ط، دار طليطلة،
 الجزائر، 2010، ص 39.

² - المرجع نفسه، ص 13.

ط.د. جمال الدين عاشوري الرقابة عن طريق تقييم أداء المواد البشرية في المؤسسة
 ➤ تزويد الإدارة بمعلومات مفصلة تلقي الضوء على السياسات المستقبلية للاستقطاب
 والتوظيف والتدريب والنقل والترقية وغيرها.

خامسا: الخطوات العملية لمتابعة تقييم الأداء:

تقييم الأداء من الناحية العملية يحتاج إلى تحضيرات مرحلية سابقة تقوم على التحديد
 الدقيق لأهداف العمل وأساسه، واستيفاء أسلوب التقييم المناسب (التقارير الرقابية ومقابلات
 التقييم، ونموذج (استمارة) التقييم)، وتطبيقه ميدانيا، ثم تحليل مخرجات التقييم لتقديم
 التوصيات المناسبة.

1. تحديد أهداف العمل:

نجاحة التنظيم واستمراره مرهون بتعريف أفرادها بالأهداف المرجوة من جماعات العمل
 والأفراد على المستوى القريب والمتوسط البعيد، لذلك تشرف إدارة الموارد البشرية على وضع
 خطة تنظيمية تعرف بمراحل تحقيق الأهداف والوسائل المستعملة في ذلك، والتراتبية الهرمية
 المسخرة لذلك على المستوى العمودي والأفقي، تجنباً لتصادم الأدوار والهدر في الطاقات
 والوقت. إن مرحلة تحديد الأهداف تحتاج إلى تقييم وتصويب دائمين بحسب الظروف
 والمستجدات الواقعية التي تعترض عمليات تطبيق الأهداف.

2. تحديد أسس المسائلة عن العمل (معايير التقييم):

إن تحديد أسس المسائلة عن العمل هي بيانات مسجلة للعمل الواجب إنجازه من قبل
 الأفراد، وكيفية تقييم هذا العمل، وفي بعض الحالات تكون المعايير أو أسس المسائلة عن العمل
 هي مسؤوليات العمل المحددة، وفي حالات أخرى يتم اشتقاق هذه الأسس من خلال أساليب
 تخطيط العمل، والتي يتم فيها تفصيل المسؤوليات الرئيسة للعمل وأهدافه، وفي بعض الأحيان
 تكون أسس المسائلة عن العمل متضمنة طبيعة العمل ذاته¹.

تكمن أهمية هذه الخطوة في كونها الفرصة المناسبة للوقوف على التطبيق الإجرائي
 للخطة التنظيمية، وتقديم الأداء المعياري الذي يمكن لكل فرد أن يطابق أدائه العملي معه،
 ويطبق الرقابة الذاتية على أدائه.

¹ - زاهد محمد ديري، المرجع السابق، ص 61.

ط.د. جمال الدين عاشوري الرقابة عن طريق تقييم أداء المواد البشرية في المؤسسة تختلف طرق التقييم والمعايير المستعملة في ذلك بحسب موضوع التقييم وطبيعته وبيئته، فمن الأعمال ما تستوجب مقابلات التقييم، ومنها ما يتطلب نموذج التقييم، وتتطلب أخرى المراقبة الميدانية للوقوف على تقديرها الفعلي، بينما تجعل أخرى من الضرورة استعمال كل هذه الطرق.

3. تطبيق معيار التقييم:

تأتي مرحلة ملاً استمارة أو نموذج التقييم اعتماداً على التقارير الرقابية التي تصل إلى القائم على عملية التقييم، والمقابلات الميدانية، وفي بعض الأحيان تفوض إدارة المؤسسة المشرف المباشر للقيام بهذه المهمة، كونه الأقرب إلى الشخص المراد تقييم أدائه أو زملاء العمل من نفس الرتبة أو لجن التقييم. وبعد الفراغ من عملية ملاً النموذج تأتي مرحلة حساب معدل الأداء الفعلي، ثم مقارنته وفقاً للأداء المعياري المحدد، والانتهاج إلى نتيجة التقييم التي ترسم جزءاً من القرارات التي قد تتخذ لاحقاً حسب محمد مسلم "للتعرف على مستوى التحكم في منصب العمل، والتدقيق في سياسة الأجور، والتكوين"¹.

يرى غياث بوفلجة أن مخرجات التقييم تزيد من نسبة الوضوح في الرؤية بالنسبة للعامل (معرفة المسار المهني ومناقشته) والمسؤول (معرفة موقع المؤسسة من الأهداف المحددة، وتصويب القرارات) وبرامج تسيير الموارد البشرية (إعداد برامج التحفيز والترقية والأجور، وإنشاء بنك المعلومات) والتنظيم (مراجعة الخطط والمناصب)². ما يعني أن التقييم الفعلي للأداء الوظيفي يخدم جميع الفاعلين بالمؤسسة، بل حتى المتعاملين والزبائن؛ إذ ترتفع جودة المخرجات التي تفرزها المؤسسة (سلع، خدمات)، وتتم التعاملات في مناخ من الثقة المتبادلة. إن التطبيق الجيد لهذه الخطوات العملية في تقييم الأداء يكشف عن طبيعة الموارد البشرية التي تمتلكها المؤسسة، والنجاح في ذلك يتطلب عديد الشروط الداخلية، المتعلقة أساساً بالثقافة التنظيمية، وتحقيق العدالة التوزيعية³، حتى تنمو روح المبادرة والإبداع لدى عناصر التنظيم باختلاف مراتبهم. الأمر الذي يجعل للمؤسسة هوية حاضرة بين المؤسسات الاجتماعية باختلاف أنواعها، ويدفع بها نحو التميز.

¹ - محمد مسلم، المرجع السابق، ص 56.

² - غياث بوفلجة، مبادئ التسيير البشري، ط 3، دار الغرب، الجزائر، 2008، ص 46.

³ - Jean-Claude Bernacheez, L'appréciation des performances au travail: De l'individu à l'équipe, -

Presses de l'Université du Québec, Canada, 2003, p8.

ط.د. جمال الدين عاشوري الرقابة عن طريق تقييم أداء المواد البشرية في المؤسسة
سادسا: صعوبات تقييم الأداء في المؤسسة الصناعية الجزائرية:
لا شك أن عملية تقييم أداء الموارد البشرية تواجهها بعض الصعوبات المتعلقة بالمراقب
والمراقب، والظروف التنظيمية والبيئية التي يعمل فيها الأفراد، والخصوصيات الاجتماعية
والثقافية التي تكون أحيانا عائقا بالنسبة لطرق التسيير المعاصرة:
نظرة العمال السلبية للقائم على عملية التقييم، واعتبار التقييم وشاية، ونقل
للمعلومات إلى المراتب الهرمية العليا، كما يعتبر العامل مسؤولا المباشر حريصا على عدم تبيان
نمط أدائه الفعلي إذا كان ذلك ينعكس سلبا على راتبه الشهري أو فرصه في الترقية.
اعتبار تقييم الأداء آلية لفرض السلطة، والتلويح بالقوة التي يمتلكها المقيم في بعض
المواقف غير الرسمية للتصرف في مصير الموظف، وتصفية الحسابات والخلافات الشخصية.
"ليمارس عملية الضغط على القرارات التي يتخذها بعض الرؤوسين، والمواقف التي يتبنونها"¹.
فلاستعمال السيء للسلطة قد يشكل لدى الموظفين بفعل الزمن تخوف من التراتبية الهرمية،
ويكون تركيزهم على إظهار الطاعة للمسؤول وليس القيام بالأدوار الوظيفية الموكلة إليهم.
عدم الفصل بين العلاقات الوظيفية (المهنية) والاجتماعية (الشخصية) داخل المؤسسة
في عموما، وعند عملية التقييم والرقابة خصوصا. فكون الموظف أو العامل من نفس مكان
إقامة المشرف أو تربطهما علاقة خاصة، قد يشكل لديه عائقا في تسجيل أدائه الفعلي،
خصوصا إذا كان الأداء غير مطابق لمعايير السلوك، وتعلق الأمر بترقية وظيفية أو مردودية
شهرية، فالعامل حينها سيعتمد إلى استعمال الأحكام المجتمعية الجاهزة التي تشجعه على
التحامل على المشرف المقيم على أنه التقييم جاء مبنيا على البخل والحسد لا غير (فيقول
العامل الجزائري في ذلك: "بخلي"، "حسدني"، "تقول خافني نريح")، فالعامل هنا يلبس ثوب
الضحية بين زملائه، وقد يقال فيه نفس الخطاب إذا كان هو الشخص المقيم.
اعتبار العامل الجزائري في غالبته أن الحصول على المردودية الشهرية حق من الحقوق
المتعلقة بالأجر القاعدي، وإذا لم يتحصر على العلاوات المتعلقة بالمردودية فسيتم تصوير القائم
على التقييم على أنه مصدر تهديد، لأنه تلاعب بفوائده المادية (كما يقول العامل الجزائري:
"لعيلي بالخبة").

صعوبة الوقوف على الأداء الفعلي للعامل، فأحيانا ما يعاني من مشاكل اجتماعية تؤثر
على أدائه، فالتقييم في هذه الوضعية لا يقف على حقيقة الأداء اليومي أو العكس؛ حيث

¹ - عدنان أبو مصلح، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ط1، دار أسامة، الأردن، 2015، ص309.

ط.د. جمال الدين عاشوري الرقابة عن طريق تقييم أداء المواد البشرية في المؤسسة يصطنع العامل سلوكه في وقت التقييم، ويرفع من مردوديته، ثم يركن إلى الكسل بعد أن يتأكد من انتهاء المشرف من عملية التقييم، وهذا يعبر عنه زاهد محمد ديري بتأثر المقيّم بصفة معينة في الحكم على باقي الصفات؛ حيث يتأثر القادة بصفة معينة من صفات رؤوسهم، فيعطون تقديرات مشابهة لبقية المواقف الأخرى¹.

أفضل ما يمكن القيام به لمواجهة صعوبات تقييم الأداء هو تعريف المشرفين والقائمين على عملي التقييم بهذه الصعوبات، والأخطاء التي قد تسبب سوء التقييم، وتدريبهم عمليا على الطرق والأساليب المناسبة في ذلك تالئما مع الأفراد والخصوصيات الثقافية والتنظيمية.

خاتمة:

عملية تقييم أداء الموارد البشرية مهم بالنسبة لكل تنظيم باختلاف حجمها ونشاطها، إلا أن الفاصل هو في أن بعض أساليب التقييم تصلح في المؤسسات الصغيرة الحجم، ولا تصلح في الكبيرة والعكس. فالمهم بالنسبة للمسير هو اختيار الأسلوب والمعيار الرقابي الذي يضمن الوقوف على الأداء الفعلي للعاملين لتقييمه، واتخاذ القرارات التنظيمية المناسبة على تبصر. يترتب على عملية تقييم الأداء عديد الوظائف التنظيمية والإدارية كالترقية، والتعيين والنقل، وتحديد الاحتياجات التدريبية، وتخطيط الموارد البشرية، وتحديد المكافآت التشجيعية ومنح العلاوات، والانضباط والمعاقبة. لتعاد العملية التقييمية في ترتيب شهري أو سنوي كأقصى تقدير، لتجديد طاقات الموارد، ومعاينة إجراءات تحقيق أهداف المؤسسة.

تتم عملية التقييم ضمن مساردائري يعود في كل مرة إلى نقطة الانطلاق في شكل رجوع للصدى، فالمرحلة التقييمية تستلزم كل واحدة منها ملاحظات تدقيقية تختار موضوعاتها وأساليبها، ومواقيت تطبيقها، فالإعداد للتقييم الشهري يكون مبنيا على المعطيات النهائية التي قدمتها عملية التقييم السابقة، وهكذا.

¹ - زاهد محمد ديري، المرجع السابق، ص 57

ط.د. جمال الدين عاشوري الرقابة عن طريق تقييم أداء المواد البشرية في المؤسسة

* قائمة المراجع:

- باللغة العربية:

1. عدنان أبو مصبح، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ط1، دار أسامة، الأردن، 2015.
2. شعلان الشمري، مفاهيم في الإدارة، المملكة العربية السعودية، 2012.
3. زاهد محمد ديري، الرقابة الإدارية، ط1، دار المسيرة، الأردن، 2011.
4. مصبح الصالح، الشامل: قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط1، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 1999.
5. عمر وصفي عقيلي، إدارة الموارد البشرية المعاصرة: بعد استراتيجي، ط1، دار وائل، الأردن، 2005.
6. محمود عبد الفتاح رضوان، تقييم أداء المؤسسات في ظل معايير الأداء المتوازن، ط1، المجموعة العربية للتدريب والنشر، مصر، 2013.
7. محمد مسلم، تنمية الموارد البشرية: دعائم وأدوات، تقديم: عبد الكريم بن شريف، د. ط، دار طليطلة، الجزائر، 2010.
8. غيات بوفلجة، مبادئ التسيير البشري، ط3، دار الغرب، الجزائر، 2008.

- باللغة الأجنبية:

9. Jean-Claude Bernachez, L'appréciation des performances au travail: De l'individu à l'équipe, Presses de l'Université du Québec, Canada, 2003.

الترقيم الدولي المعياري للدورية

ISSN :2437-0592

مراسلات التحرير تكون على العنوان الإلكتروني:

Rouadirassat@yahoo.fr

أو على البريد العادي:

مدير مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية، مخبر المجتمع الجزائري
المعاصر LSAC □ امعة محمد لمين دباغين، سطيف2، الجزائر